

١٨٩٢-١٩٤٢

الى راعى النهضة

الملك فاروق الأول

يتشرف صاحبا دار الهلال برفع هذا الكتاب الذهبى رمزاً لولائهما، وعنواناً لمجهود خمسين سنة فى خدمة العلم والأدب، طوتها هذه المجلة فى ظلال عرشكم المجيد.

وإنه لفخر عظيم أن تحظى «الهلال» بعطفكم الكريم، وتشجيعكم السامى، وأن تتوج بكلمة من كلماتكم الغالية فى عيدها الخمسينى الذى بلغته فى هذا العهد السّعيد.

اميل زيدان　　　　شكرى زيدان



حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأول

يفخر الهلال بأن يقدّم

الكلمة السّامية

التي تفضل بها

حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الأوّل

كما يقدم الكلمات التي تفضل بها

حضرة صاحب السمو الملكي الأمير عبد الإله
الوصي على عرش العراق

وحضرة صاحب السمو الأمير عبد الله
أمير شرق الأردن

وحضرة صاحب الفخامة الشيخ تاج الدين الحسني
رئيس الجمهورية السورية

وحضرة صاحب السمو الأمير عمر طوسون



في هذه الأيام، والحرب تشغل أذهان الناس، وتصرفهم عما عداها من الأحداث، يطيب لنا أن نبعث بتحية ملؤها التقدير والإعجاب والأمل، إلى الأقطار العربية الشقيقة، والأمم الإسلامية الصديقة.

وإنه لمن معززات الأمل، والثقة بالمستقبل، أن نرى الشرق، وهو يفخر بماض علمي مجيد، يتوثب لنهضة ثقافية مباركة، ويتأهب لجمع شمله، ورفع شأنه، وإعلاء كلمته، وتوثيق روابط المودة والإخاء بين مختلف شعوبه.

ومن دواعي اغتباطنا أن تكون لغة القرآن، وصحف العرب، هي الواسطة في إحياء هذه النهضة، وإذكاء تلك الروح، والوسيلة الناجعة في إشاعة البر والتقوى، وإذاعة الخير والمعروف.

وأن نرى مصر، بما لها من مجد عريق في الحضارة، وأثر محسوس في العلوم والفنون، عضداً للأمم العربية المتوثبة، وسنداً للشعوب الشرقية الناهضة، وعوناً على إنجاح تلك الحركة الفكرية المباركة.

تحريراً بقصر عابدين الملكي بالقاهرة في ٢٨ رمضان سنة ١٣٦١
٩ أكتوبر ١٩٤٢





الماسة سريعة بتاريخ نصف القرن الاخير الذى مر به الشرق العربى تثبت للمؤرخ المدقق أن العرب أمة لاتقل بتقدمها ونهضتها الأدبية عن أية أمة سارت الاشواط البعيدة فى طرق النهضات العلمية والاجتماعية والمدنية والأدبية. فلقد استطاع ابناء هذا الشرق العربى أن يبرهنوا على أنهم اهل لأن يجروا فى ميادين الثقافة فيسبقوا ويتقدموا فى مضمار الحياة الانسانية. وليس هذا بعجيب على أمة شهد لها تاريخها المجيد بأنها أمة الحضارة والمدنية والمساواة والحرية. فبمشعل علومها استفادت الدنيا وبمفاخر اخلاقها بزغت شمس المكارم فى العالم ٠ وهكذا كانت وهى المحمودة فى طارفها وتالدها، الممدوحة فى خَلقها وخُلقها، المشكورة على رفائها ونجدتها ٠ ولهذا رأى الناس منها التقدم السريع فى ما اقتضته مدنية هذا العصر الذى لا ينجح فيه الا العاملون ولا يسعد به الا المجدون. وانا لنرى أن هذه النهضة وان كانت تسير بنا بسرعتها المتناهية لن تتم الا اذا أسرع أبناء هذا الجيل فى سيرهم أكثر مما هم عليه الآن، وتقبلوا بصدور رحبة ما تقتضيه هذه الايام من تضحية فى الماديات فى سبيل غرس الفضائل وازالة الرذائل ومقاومة الجهل والاكثار من ورود مناهل العلوم والبعد عما خلقته الافكار القديمة من التقاليد البالية التى لا تمت الى الشرائع الالهية بصلة ولا سبب. فليس فى دين أبناء هذا الشرق ما يقف حجر عثرة فى سبيل التقدم. وما جعل الله علينا فى الدين من حرج. فليكن الشرق الآن كما كان مهد الحضارة ونبراس المدنية ومدرسة العلوم ومنهل الأدب العذب، وليأخذ الشرق من الغرب ما يزيده فضلا وعلما كما أخذ الغرب عنه ما جعله فى طليعة الناس تقدما وحضارة. وليس على أبناء الشرق الا أن ينبهوا من غفلتهم وينهضوا من كبوتهم ويؤدوا ما فرض الله عليهم من طلب العلم لخدمة الانسانية وما أوجبه من بث العلوم لتأدية حقوق البشرية. ويجب أن يعلموا أن العلم غير محدود وأن باب الاختراع والابتكار والاكتشاف لا يزال غير مسدود، وأن المرء مهما ظن أنه قد بلغ غايته فهو لا يزال مستطيعا التقدم أكثر وأكثر. هذا ما نراه شافيا لكل داء جالبا كل سعادة وهناء ٠ ونحن نسأله تعالى أن يأخذ بأيدينا ويوفقنا لاداء ما فرضه علينا من الواجبات الانسانية ويمكننا من أن نحقق لامتنا ما يتطلبه منا الواجب المفروض، أنه سميع الدعاء ٠

بغداد فى ٧ حزيران ١٩٤٢



عبد الله بن الحسين

عمان في ٢٠ ربيع الآخر ١٣٦١

الموافق ٦ مايس ١٩٤٢

لئن طلب الينا من دار الهلال الغراء بواسطة رئيس ديواننا أن نتحف مجلة الهلال بكلمة تصدر فيها بمناسبة بلوغها الخمسين من سنيها في خدمة العلم والأدب فعلينا اجابة طلبها النبيل بالشكر والرضى .

ونبتدئ القول بالتهاني القلبية موجهة الى دار الهلال على التوفيق الملازم لها منذ نشئتها الى اليوم مع الأمل في ان تزداد توفيقا وعزما واقداما في ذلك النهج والأساس . ان خدمة العلم والأدب هي افضل الخدمات وابلغها اثرا واثبتها على كرّ الليالي والايام نتيجة ، وان لكل أمة مفاخر وآثارا ، والعلم اكبر أثر ومفخرة ، وان للعرب فيه الحظ الأوفى . فاذا خدمت مجلاتنا علمنا بابقائه على صبغته وتحليته بما تجدد منه والاضافة اليه فهي الغاية المقصودة والهدف المرموق . أما الآداب فالأخلاق صنو لها . وان لكل امة صبغة فلنبق على صبغتنا ، ولنفتخر بمجدنا ، ولنحض الناس على التمسك به نبق في بلادنا ولم تتغير صبغتنا ولم نخسر شيئا مما كنا نتحلى به مع الأستزادة مما تخرجه العبقرية البشرية من مفاخر مستحدثة وعلوم مكتسبة والعلم مشاع ، وكل يوم يتجدد ، والشرق صاحب الفخر فيه وفي خدمة الأنسانية الكاملة ، والشرق منبع البيئة الجميلة والنسب المعرّق فلتحرص المجلات على هذا .

عبد الله



في هذه الظروف العصيبة التي تعيشها الانسانية ، وأمام هذه المرحلة الخطرة التي يجوزها تاريخ البشر ، يتطلع العرب الى المستقبل ، بقلوب مفعمة بالرجاء ، قوية بالايمان لاتنال من رجائها وايمانها زعازع الدهر ، واهوال الزمان فالعرب أمة لها من تاريخها وأمجاد عظامها ، ونبل لغتها ، وفضيلة دينها ، مقومات راسخات ، انما هي الدعائم الركينة في التيار الجارف ، والحدث العاصف ٠

اني لعلى يقين وطيد اذا ما انجلت الغمرة وانقشعت الغمامة بأن بلاد العرب ستأخذ بالقسط الاوفر من نصيبها في نظام العالم الجديد وستحتل مكانتها الجديرة بتاريخ امجادها في المجموعة الدولية العتيدة ، التي سيرتفع بنيانها على دستور الحرية والعدل ، دستور يعزز الأمل بتكون وحدة هذه الاقطار على اسس تضمن ظهور الشخصية العربية والطابع الذي يميز عبقريتها ٠ وسيكون الشباب جيل العرب الصاعد ، في طليعة عمال النهضة ورجال البعث ، فالشبيبة بما تحلت به من ثقافة واسعة وعلم غزير ، وادراك واع ، ستؤدي واجبها نحو بلادها ، على انبل صورة وأكملها ٠ وانه لمن بديهيات نشوء الامم أن تضطلع بأعباء نهضتها اجيال جديدة ، تحمل ميسم التجديد ، وتزخر بقوى العمل الشاب ٠

ان اقبال الجيل العربي الصاعد على العلم ، واغترافه من ينابيع الثقافة وأخذه بأسباب النهضات العالمية المحررة ، ثم نشوء وسط عربي واع ، تغلغلت فيه نزعات المعرفة ، واضطربت فيه اشواق الادراك ، ان من هذه الاسباب كلها تباشير فجر ساطع ، يعزز الايمان به ، والرجاء فيه ، تدبير العلم ، ونشاط العمل ، وارادة الابداع والبناء ٠

دمشق في ١٩٤٢/٥/٥



يطيب لنا التحدث عن النهضة العلمية الحديثة فى مصر وذكر باعثها ومؤسسها فى الشرق والغرب الأدنيين بعد أن هجعت فيهما وطال نومها حتى ظن أن لا رجعة لها . وقد أجمع الباحثون فى هذا الشأن أن حكومة محمد على الكبير التى أسست المدارس وبعثت البعوث العلمية للاقتباس من نهضة أوربا وأنشأت المصانع المختلفة لصناعة أدوات الحرب وغيرها مما تطلبه مرافق الحياة وظلت ردحاً طويلا اتسع لها الوقت فيه لهذا العمل الجليل فى مختلف النواحى الحيوية والصناعية ، ثم نهضت بالصحافة نهضة طيبة كما نهضت بالطباعة والمطابع – نقول إن هذه الحكومة الفتية الناهضة هى أول من أيقظ مصر وبعث فيها روح النهضة العلمية الحديثة بما قام به الرجال الذين عادوا اليها بعد ما تزودوا من مناهل أوربا ووضعوا وترجموا ونشروا كتباً كثيرة فى هذه العلوم والفنون بواسطة ما أسسته هذه الحكومة من مطابع كانت نواة صالحة لتغذية النهضة ونشر تلك المؤلفات التى بثت الثقافة فى الأمة بمكافآتها للعلماء والمتعلمين والصناع والمحترفين وتشجيعها لكل عمل صالح يرجع على البلاد وأبنائها . وقد استعان محمد على فى ذلك بنخبة صالحة من علماء أوربا ومهرة أساتذتها ورجال الحرب فيها

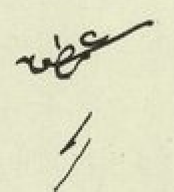
وناهيك بالجيش العظيم البرى والبحرى الذى أنشأه هذا العاهل الكبير ، وما استلزمه إنشاؤه من مدارس ومصانع ومعامل ومؤسسات طبية الى غير ذلك من سبل النهضة ووسائل الثقافة للأمة ورجالات الحكومة ، وما عمله وقام به من الفتوحات الواسعة فى الحجاز واليمن والسودان واليونان والشام وما استتبعته هذه الفتوحات من بعث تلك النهضة وبث الحياة فى كل هذه الأرجاء وما جاورها . فكان عهد محمد على عهد إصلاح وتأسيس وإنشاء أينعت فيه هذه الغراس فآتت أكلها وأخذت البلاد تزدهر وتثمر

ولقد جرى خلفاؤه من بعده على تعهد هذه النهضة فنجحوا فى بعض نواحيها ووقفت لهم أوربا بالمرصاد فى النواحى الأخرى حتى غدت تلك النهضة الشاملة مقصورة على النهضة العلمية النظرية . ولو قدر لنهضة مصر أن تظل كما بدأت وتعهدها من خلفوا مؤسسها ولم تقف فى طريقها هذه العقبات لكان لمصر الآن شأن أى شأن ولكن هكذا قدر ، وهم على أى حال قد أصابوا نجاحاً كبيراً .

وساعدهم ما قام به فى عهودهم المؤلفون والعلماء والكتاب وأرباب الفن والصحفيون فأدى كل نصيبه بما وسعه جهده وعمل فى ذلك العاملون وتنافس المتنافسون حتى بلغت النهضة هذا المبلغ وغدت الصحافة دولة كان لها فى هذا المضمار الشوط البعيد والقدح المعلى . واشترك فيها بسهم وافر ونصيب عظيم علماء البلدان المجاورة وأدباؤها ومؤلفوها وصحفيوها ممن أيقظتهم هذه النهضة وكانت محرضة لهم على المساهمة فيها والهجرة الى مصر والعمل تحت سمائها و بين ظهرانى حكومتها التى شجعتهم على اتخاذها وطناً لهم فهاجروا اليها زرافات ووحداناً لما وجدوا من الحرية التى لم يجدوها فى بلادهم الأصلية ورغد العيش الذى أصابوه فى حياتهم الجديدة . وكان فى طليعة هؤلاء جميعاً اخواننا السوريون ومن فى حكمهم فشاركوا فى هذه النهضة مشاركة كبيرة وخدموها خدمات جلى خصوصاً فى الصحافة والمجلات العلمية والأدبية التى تسابقوا فى حلبتها وأحرزوا فيها قصب السبق . وهذا حق يجب الاعتراف به لأبناء شقيقتنا سورية الذين أبلوا بلاء حسناً فى هذا السبيل ونهجوا له سبلا ذللا بجدهم المشهور ونشاطهم المأثور

وتاريخ الصحافة فى مصر حافل بجليل أعمالهم وعظيم فضلهم يدلك على ذلك ما أنشأوه من الصحف والمجلات العلمية والأدبية التى كانت فى أوائلها مجلتا المقتطف والهلال الغراوان . وقد سبقتهما فى ذلك مجلة « روضة المدارس » التى ظهرت فى مصر عام ١٨٧٠ م فى عهد الخديو اسماعيل وهى مجلة مصرية صرفة كان يحررها نبغاء مصر ونخبة من أساتذة مدارسها وشبابها النابه

ومجلة الهلال التى نحن بصددها والتى أنشأها طيب الذكر العلامة جرجى بك زيدان كان النفع بها طويل المدى جليل الفائدة والجدوى . ومن تصفح سنواتها ومجموعتها فى سنيها الخمسين كان ملماً بتطور النهضة العلمية الحديثة فى مصر فى هذه الحقبة الطويلة . وقد بذل فيها مؤسسها المرحوم جهوداً محمودة مشكورة فألف فى أثناء صدورها المؤلفات التاريخية النفيسة الرائعة والروايات البديعة التى لم ينسج على منوالها والتى تضمنت أكثر الفتوح الاسلامية . ثم تولاها من بعده ولداه البارعان أميل بك زيدان والأستاذ شكرى زيدان اللذان أصدرا معها عديداً من الصحف والمجلات ونجحا فى ذلك نجاحاً باهراً ، فأقبل جمهرة القراء على صحفهما إقبالا واستمرا فى عملهما بمجلة الهلال الى أن سلخت من عمرها الطويل خمسين سنة ، فاستحقت أن يقام لها عيد ذهبى وأن نشارك فى هذا العيد فنهنئها به ونهنىء صاحبيها الأديبين راجين لهما عمراً طويلا ولمجلتهما «الهلال» الغراء انتشاراً وازدهاراً على مدى السنين والأعوام





المغفور له الملك فؤاد الأول

البيت العلوى المالك

فى الخمسين سنة الأخيرة

اقترن تأسيس البيت العلوى المالك فى مفتتح القرن الماضى بتأسيس نهضة مصر الحديثة ، فقد جاء محمد على باشا الكبير ، فأسس لأسرته مجدا ، وأقام لمصر عرشا ، وأنشأ لها نهضة جديدة شملت جميع نواحى الحياة فى هذه البلاد . وقد ربى أولاده على نهجه تربية عسكرية وسياسية ، وأشربهم حب الاصلاح والاستقلال ، والعمل الدائب لمصر لتكون دولة مستقلة ذات سيادة . ثم جاء اسماعيل ، فوطد دعائم هذا البيت الكريم ، وأراد أن يجعل من مصر دولة مستقلة وامبراطورية واسعة ، وقال كلمته الشهيرة : « ان بلادى لم تعد قطعة من افريقا ، بل هى جزء من أوربا »

وقد أصبحت هذه الكلمة دستور أبنائه الذين حكموا مصر من بعده ، فعملوا للاستقلال ، والاخذ بأسباب المدنية الحديثة ما شاءت لهم الظروف ، وكانت مصر فى الخمسين سنة الاخيرة مدينة بتقدمها ، وتطورها السريع لابناء اسماعيل الذين بذلوا كل عنايتهم لمصلحة هذا الشعب

الخديو عباس حلمى الثانى

من يناير سنة ١٨٩٢ إلى ديسمبر سنة ١٩١٤

وقد تولى الخديو عباس حلمى الثانى عرش مصر فى يناير سنة **١٨٩٢** ، وبقى حاكما لمصر اثنين وعشرين عاما . وفى عهده نشأت الحركة الوطنية بزعامة مصطفى كامل باشا ، ونشطت الصحافة المصرية ، وتألفت الاحزاب السياسية الاولى ، ونالت الحركة الادبية فى مصر تشجيعا كبيرا من سموه . وأنشئت فى عهده بعض المشروعات العمرانية الكبرى كخزان اسوان ، وكان يميل الى تشجيع الحركات الوطنية . وقد أنجب سموه أميرين وأربع أميرات ، هم : الامير محمد عبد المنعم ، والامير محمد عبد القادر ، والاميرة أمينة ، والاميرة عطية الله ، والاميرة فتحية ، والاميرة لطفية شوكت — وكلهم من زوجته الاولى الاميرة اقبال هانم



الخديو السابق
عباس حلمى الثانى

السلطان حسين كامل بعد أن ولى العرش

السلطان حسين كامل

من ديسمبر سنة ١٩١٤ إلى اكتوبر سنة ١٩١٧

تولى السلطان حسين العرش فى ١٨ ديسمبر سنة ١٩١٤ اثناء الحرب العظمى وفى ظروف دقيقة . وقد ضربت فى عهده الحماية على مصر ، وشمل البلاد قلق على مستقبلها ، ولكنه استطاع أن يفتح أمامها أبواب الآمال ، وأن يقودها بحكمته واتزانه ، فما لبث الشعب أن أحبه وزاد فى حبه له عنايته بالفلاح ، وعطفه على الطبقات الفقيرة ، وقد اشتهر بلقب « أب الفلاح »

وأنجب رحمه الله سبعة أنجال ، خمسة من الاميرة عين الحياة أحمد ، وهم : الامير كمال الدين حسين ، والاميرة كاظمة ، والاميرة كاملة ، والامير أحمد كاظم ، والاميرة بديهة . واثنتان من عظمة السلطانة ملك ، وهما الاميرة قدرية حسين ، والاميرة سميحة حسين



« الأمير » حسين
كامل فى شبابه



صورة نادرة للمغفور له الملك فؤاد الأول ــ الأمير أحمد فؤاد فى ذلك الحين

الملك فؤاد الأول

من ١ كتوبر سنة ١٩١٧ إلى ابريل سنة ١٩٣٦

يمتاز عهد الملك فؤاد بأنه أول عهد للحرية والاستقلال فى مصر فى العصر الحديث . وقد تولى رحمه الله سلطانا فى ٩ اكتوبر سنة ١٩١٧ ، وتوفى ملكا فى ٢٨ ابريل سنة ١٩٣٦ . وفى عهده ظهرت الحركة الوطنية الاخيرة بزعامة سعد باشا زغلول ورفعت الحماية عن مصر ، وصدر تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ باعتراف انجلترا باستقلال مصر وسيادتها ، وصدر الدستور المصرى فى سنة ١٩٢٣ ، وتأسس البرلمان وافتتحه فى مارس سنة ١٩٢٤ . وقد نهض جلالته بمصر نهضة واسعة شملت جميع نواحى الحياة الزراعية والاقتصادية والتعليمية والعمرانية . وقاد جلالته هذه النهضة بعزيمة صادقة ، وارادة حكيمة . وكان عهده من ازهر عهود الاصلاح

الملك فؤاد الأول
فى التاسعة من عمره


شجرة حكام مصر من ذرية اسماعيل
السلطان حسين كامل
الاميرة قدرية
الاميرة سميحة
الامير كاظم
الاميرة كاظمة
الاميرة بديعة
الامير كمال الدين
الاميرة كاملة
الخديو محمد توفيق
الاميرة نازلي
الاميرة خديجة
الاميرة نعمت الله
الامير محمد علي



جلالة الملك فاروق الاول
الاميرة فوزية
الاميرة فريال
الاميرة فائزة
الامبراطورة فوزية
الاميرة فوقية
الامير اسماعيل
الاميرة فائقة
الاميرة فتحية
الملك فؤاد الاول
الاميرة امينة
الاميرة لطفية
الامير محمد عبد القادر
الامير محمد عبد المنعم
الاميرة عطية الله



صورة نادرة لصاحب الجلالة الملك فاروق الأول وشقيقاته تتوسطهن جلالة الملكة نازلى فى جلسة عائلية

وقد أنجب من جلالة الملكة نازلى خمسة أنجال ، هم : جلالة الملك فاروق ، والاميرة فوزية ، والاميرة فائزة ، والاميرة فائقة ، والاميرة فتحية . ومن الاميرة شيوه كار : الامير اسماعيل ، والاميرة فوقية

الملك فاروق الأول

تولى العرش فى ابريل سنة ١٩٣٦

تولى الفاروق عرش مصر وسنه ستة عشر عاما وبضعة أشهر ، وقد طبع جلالته منذ نشأته على حب وطنه ، والعناية برقى بلاده ، والسهر على مصالحها . وقد استهل عهده السعيد بأعظم حادث فى تاريخ مصر الحديث ، وهو ابرام المعاهدة المصرية الانجليزية التى اعترفت باستقلال مصر استقلالا تاما . وكان من نتائجها معاهدة مونترو التى نصت على الغاء الامتيازات الاجنبية ، وكان ذلك فألا حسنا ، ونجاحا كبيرا لمصر بعد جهاد شاق طويل

واعقب هذا النجاح نجاح مطرد فيما قام به الملك الشاب من اصلاح قومى شامل ، فتقدم فى عهده التعليم ، وضوعفت معاهده ، واتسعت النهضة الاقتصادية والزراعية والصناعية ، ونشط الاصلاح الاجتماعى والعمرانى نشاطا كبيرا

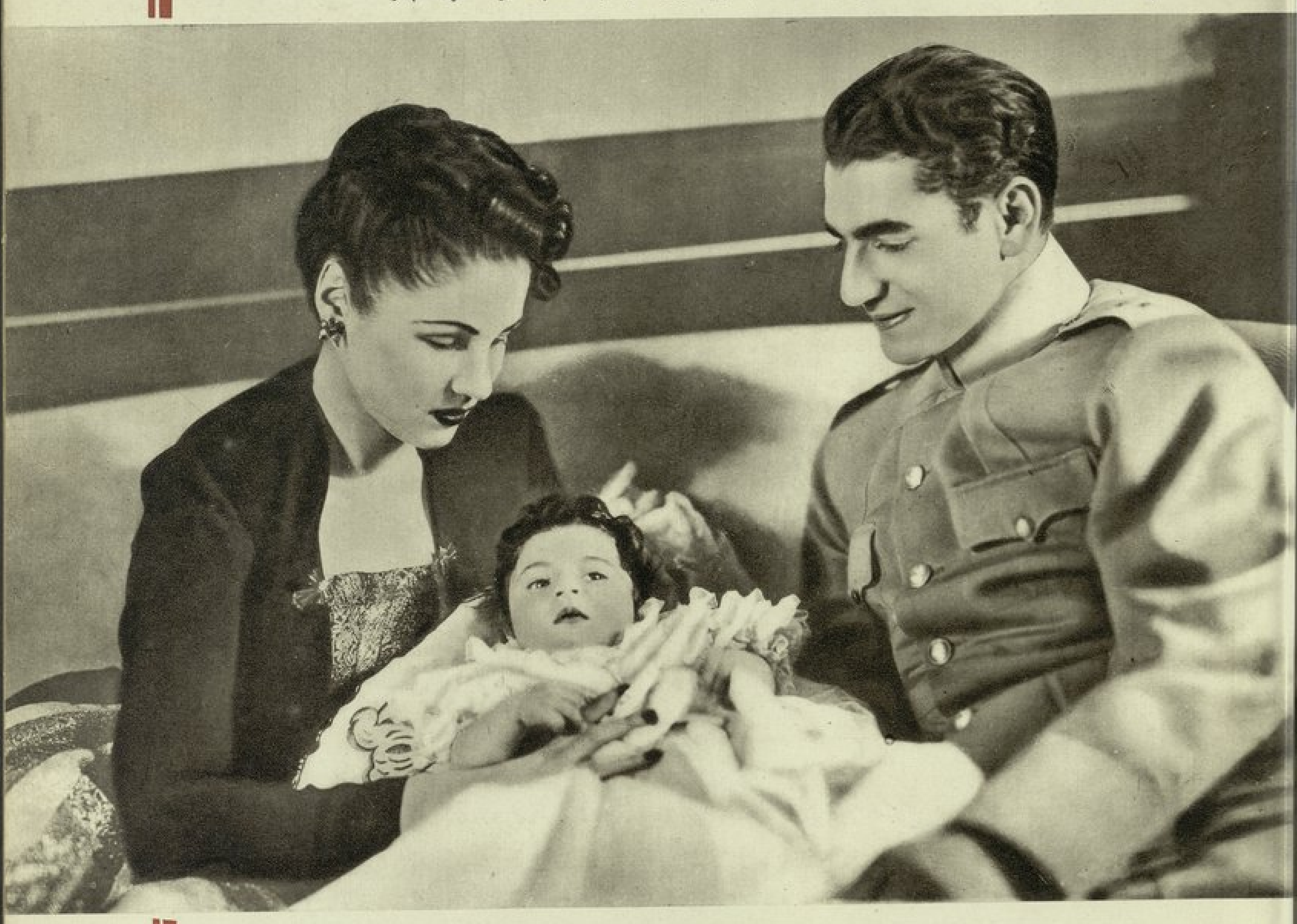
والعمرانى نشاطا كبيرا . وقد امتاز هذا العهد بالعمل الجدى لتحسين أحوال الطبقات الفقيرة ، وترقية القرية المصرية والعناية بصحة الفلاح وارشاده وتوجيهه توجيها نافعا

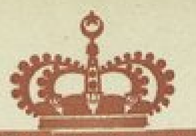
كما امتاز عهد الفاروق ـ علاوة على ذلك ـ بتوثيق الروابط الاخوية بين مصر والاقطار الاسلامية ، فعقدت أواصر المصاهرة الملكية بين العرش الايرانى والعرش المصرى بزواج الامبراطورة فوزية بالامبراطور محمد رضا بهلوى ، كما عقدت المؤتمرات الثقافية والطبية والمعاهدات التجارية والاتفاقات الودية بين البلاد المصرية وكثير من الاقطار العربية والاسلامية الاخرى

وقد أنجب جلالة الملك أميرتين محبوبتين ، وهما : الاميرة فريال ، والاميرة فوزية

وكان لجلالة الملكة عناية خاصة بنهضة الفتاة المصرية ، وتشجيعها تشجيعا كريما والاهتمام بالامومة والطفولة ، فشملت برعايتها السامية كثيرا من الجمعيات الخيرية ورأست جلالتها جمعية سيدات الهلال الاحمر ، وبذلت لها المعونة المالية الكبيرة كما رأست جمعية المرشدات المصريات ، وبثت بذلك فى الاوساط الاجتماعية روحا جديدة . ودفعت النهضة النسوية بسامى تشجيعها خطوات واسعة الى الامام

↓ صاحب الجلالة شاهبور محمد رضا امبراطور إيران ، والامبراطورة فوزية ، يداعبان طفلتهما الجميلة الاميرة شهناز



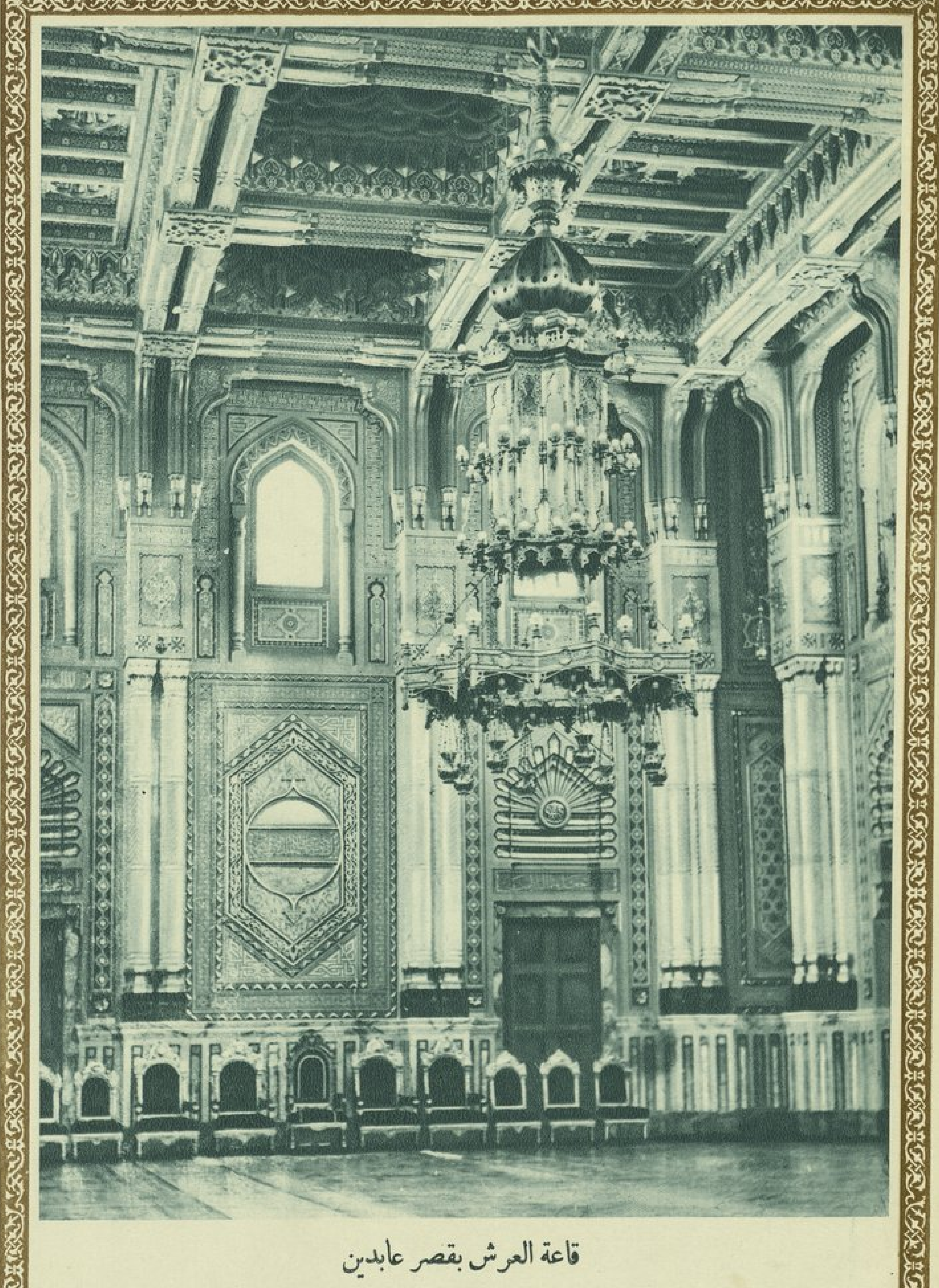


البيت المالك

صاحبا الجلالة الملك فاروق الأول والملكة فريدة والأميرتان المحبوبتان « فريال » و « فوزية »



حضرة صاحبة الجلالة الملكة



قاعة العرش بقصر عابدين

تطوّر مصر
فى خمسين سنة

الحياة السياسية

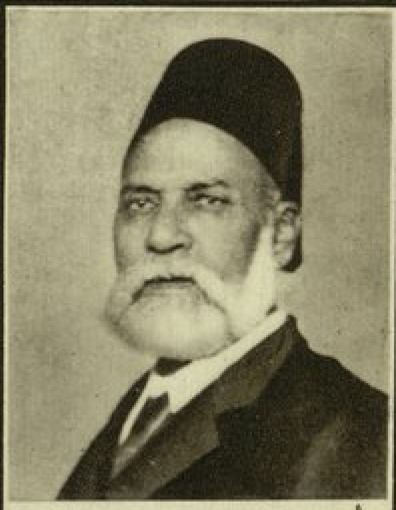
بقلم الدكتور بهى الدين بركات باشا

كانت مصر منذ القرون الوسطى ايالة تركية بكل معنى الكلمة . وكان البكوات من المماليك يتولون شؤونها على نظام الاقطاعات الذى كان معروفا فى أوربا فى ذلك الزمان . وكان الباشا يعين من تركيا لمدة سنة ليشرف على نظام الحكم . وان شئت قولا أقرب الى الحق والصدق فقل انه كان يفد على مصر ليحصل الجزية من أهلها لحساب الدولة العثمانية . وليملأ جيوبه بما يستطيع من مال ليثرى هو وذووه عند عودته

وشاء ربك ان يرزق البلاد بمحمد على الكبير واليا على مصر فقضى على المماليك ، وجعل من مصر كلها قطرا واحدا له حكومة واحدة ونظام واحد . وقضى على الاسلوب الذى كان متبعا من تغيير باشاوات مصر فى كل عام . وتولى هو الاحكام ونظم ديوان الوالى، كما نظم الجيش والمصانع ورقى الزراعة والتجارة. وبالجملة وضع بذرة مصر كدولة متحدة مستقلة . وحصر ارث المملكة المصرية فى ذريته ، فصار الولاة يتولون الحكم عن طريق الارث لا عن طريق التعيين. ولو ان نظام الفرمان الشاهانى الذى يصدر بتولية الوالى أو الخديو ظل محترما وساريا الا ان ذلك لم يكن ليغير شيئا من طبيعة النظام ، بل كان مقصودا به مجرد اثبات حق سيادة الدولة العثمانية على مصر . ولكنها سيادة أخذ يتقلص ظلها رويدا رويدا

وكان المصريون يشعرون تبعا لذلك بشخصيتهم تولد تدريجا ، وبحقهم يبدو ويظهر . وكان الخديوون يوسعون لذلك صدورهم كل بحسب ما أحاط به من ظروفه الخاصة . ولكن طابع الحكم ظل تركيا أو للاتراك ، كما ان الجيش ظل ضباطه من الاتراك ، ولم يكن للمصريين حق تولى المناصب العالية فيه الا لحد محدود ، مما اثار غضبهم وحنقهم . وتولى قيادتهم اذ ذاك زعيم من الجيش هو احمد عرابى. وكانت مطالبه أول الامر مقصورة على السعى الى تولى المصريين الوظائف العليا . فولى هو وزارة الحربية . غير ان الثورة تفاقمت تحت قيادته ، حتى صارت الى مطالبة بالدستور وبالحكم النيابى وبالاشراف على جميع نظم الدولة

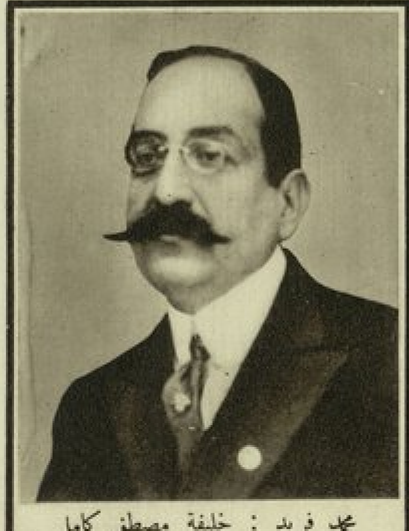
وعند هذا رأى الانجليز الفرصة سانحة لهم فدخلوا البلاد باسم حماية خديويها والدفاع عن عرشه — وكان ذلك فى سنة ١٨٨٢ — ثم لم يلبثوا ان حاكموا زعماء الثورة ونفوهم الى سيلان بعد ان جردوهم من



أحمد عرابى : وقد جاءت سنة ١٨٩٢ وهو فى منفاه، ثم أفرج عنه سنة ١٩٠١



مصطفى كامل : الزعيم الأول ، وكان ظهوره سنة ١٨٩٤ بعثاً للوطنية المصرية



محمد فريد : خليفة مصطفى كامل وقد كانت حياته مثلا أعلى للتضحية



الجمعية التشريعية : وقد افتتحت فى ٢٢ يناير سنة ١٩١٤ ولم تنعقد إلا دوراً واحداً ثم عطلت بسبب الحرب الماضية



سعد زغلول

على شعراوى

عبد العزيز فهمى

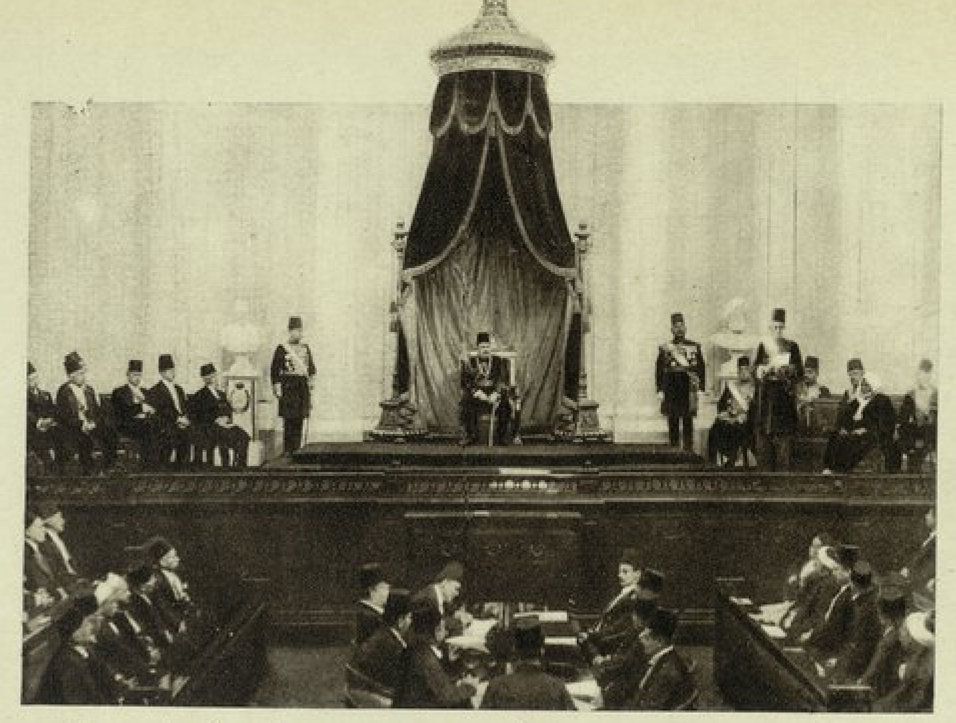
رتبهم ونياشينهم ، وجردوا الجيش من سلاحه ، وأصبحوا هم أصحاب النفوذ والسلطان، ولكن على الطريقة الانجليزية . بمعنى انهم تركوا هيكل الحكم مصريا ، واكتفوا هم بالعمل من وراء الستار . فممثل انجلترا ظل يلقب قنصل انجلترا العام ووكيلها فى مصر، والموظفون الانجليز كانوا مديرى مصالح أو مفتشين . ولم يعين مستشارون من الانجليز فى الوزارات الا تدريجا ، وكانوا مقصورين فى مبدأ الامر على واحد أو اثنين. ومع ذلك فقد أخذ الانجليز ينفثون روحا جديدة فى الحكم . وكان لهم الفضل فى تنفيذ بعض الاصلاحات التى نادى بها رجال الثورة العرابية . فما جاءت سنة ١٨٩٢ الا وقد نظمت الضرائب على اساس جعل الثقة والاطمئنان يسودان البلاد . ونظمت المحاكم الاهلية على نحو أبعد الشكوى والمظالم التى كان يئن منها الشعب بأكمله صغيره وكبيره على السواء. واحترمت الحرية الشخصية وحرية الصحافة حتى صارت مقصد اللاجئين من الاقطار الشقيقة المجاورة ممن ذاقوا ظلم سلاطين الترك ومرارة العهد الحميدى . وانتظم الرى ونشطت الزراعة ، وبدأ عهد السلام والرخاء . مما جعل الناس ينظرون الى مصر كأنها المثل الاعلى للشرق الاوسط فى حسن النظام وثبات الحكم واستقرار العدل والسكينة فى البلاد

ولكن الشعوب كالافراد ، لا يكاد الواحد منها يخطو خطوة نحو الكمال حتى ينظر الى ما بعدها . ولا يكاد يبلغ مرتبة من الرقى حتى يرمق التالية لها ويسعى اليها . وكذلك الحياة . فمن قال حياة قال حركة وازديادا . اما الرضى ، اما الركود ، فانهما سبيل الفناء لا سبيل البقاء . فمصر وشعبها ان رضوا بما وصلوا اليه بعد عشر سنين من الاحتلال الانجليزى فانهم أخذوا بعدها يرتفعون بمثلهم العليا . تلك سنة الوجود . وما الشعوب الا كالكائنات الحية لا تلبث ان تبلغ طورا من حياتها حتى تتطلع الى ما بعده

غير ان الانجليزى لم يكن ينظر الى البلاد تلك النظرة ، فهو يرى انه رقاها وهو يرى انه رفع الكثير من المظالم عن عاتقها . وهو يرى ان مصر الحديثة ملك له كما يملك الصانع الماهر قطعة الرخام أو الخشب التى صاغ منها تمثاله

وكذلك بدأ النزاع بين مصر وانجلترا . بدأ أول أمره سهلا لينا ، ثم أخذ يزداد على مر الزمان كلما كبرت مصر وعرفت حقها وشعرت بكيانها

أخذ الانجليزى يؤثر فى الوظائف العامة الاتراك على الخصوص ، ومن كانوا من أصل اجنبى على العموم . حتى اننا رأينا الوزارات تشكل من غير المصريين عدا وزيرها القبطى . وظل الحال على هذا المنوال حتى سنة ١٩٠٦ عند ما دعى الزعيم الخالد سعد زغلول ليتولى وزارة المعارف ، فكان ذلك بدءا لعهد جديد لم يلبث ان آتى ثمرته



المغفور له الملك فؤاد الأول يفتتح أول برلمان مصرى فى عهد الدستور سنة ١٩٢٤ ، وقد وقف المغفور له سعد زغلول باشا يلقى خطاب العرش وحوله أعضاء وزارته ورئيس مجلس الشيوخ وأكبر النواب سناً ، وعن يمين العرش جلس أمراء البيت المالك

كذلك كانت سياسة الحكومة سياسة اجنبية لا مصرية . فكثيرا ما جاهر عاهل قصر الدوبارة – اللورد كرومر – بأن وظيفة الحكومة ليست ترقية التعليم ولارفع مستوى العلم ، ولكن وظيفتها تنحصر فى اعداد الموظفين الذين تحتاج اليهم الحكومة المصرية فى ادارتها

ولم تكن سياسة الحكومة الاقتصادية أكثر تسامحا أو توفيقا من سياستها التعليمية ، فالمصرى بطبعه ولد زارعا ويجب أن يبقى عمله الزراعة . أما التجارة ، اما الصناعة ، فهما عمل الاوربيين لا الشرقيين . وعلى هذا الاساس جرت السياسة الاقتصادية. فمصر يجب ان تنتج القطن ، ولكن لتصدره الى اوربا ، دون ان يحق لها محاولة صنعه فى بلادها

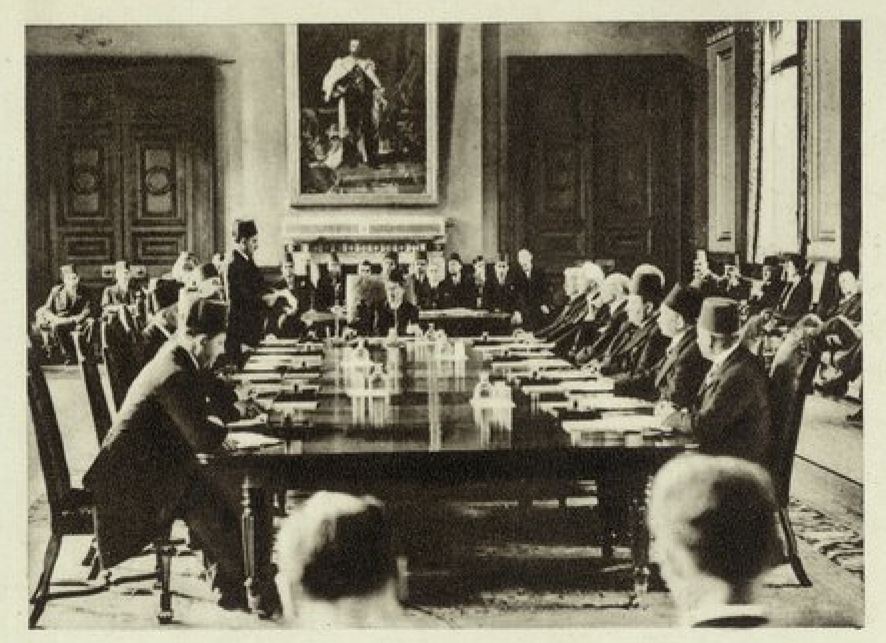
وأخيرا كانت سياسة الدولة فى اساسها وجوب خضوع المصرى للاجنبى عامة ، وللانجليزى خاصة . حتى انه كثيرا ما تردد على الالسنة ان الموظف المصرى مهما علت درجته يجب ان يخضع للموظف الانجليزى ولو كان دونه رتبة أو درجة . وما زال الحال يتدرج على هذا النحو حتى فكر الانجليز فى وقت من الاوقات فى الغاء الامتيازات الاجنبية ، ولكن على ان تحل محلها محاكم انجليزية . كما فكروا فى ايجاد مجلس تشريعى يكون له حق تقرير القوانين ، ولكن على ان يكون نصف مقاعده للاجانب من كل الجنسيات ، وان تكون أغلبية هذا النصف من الانجليز



[الوفد فى باريس] من اليمين : عبداللطيف المكباتى ، حمد الباسل ، سعد زغلول ، محمد محمود ، لطفى السيد . الواقفون محمد على علوبة ، سينوت حنا ، حافظ عفيفى ، مصطفى النحاس ، ويصا واصف ، جورج خياط



[فى لندن] الوفد الذى سافر الى لندن سنة ١٩٢٠ لمفاوضة الحكومة الانجليزية لأول مرة . من اليمين محمد على علوبة ، على ماهر ، حمد الباسل ، عبدالعزيز فهمى ، سعد زغلول ، لطفى السيد ، واصف غالى



توقيع المعاهدة

أعضاء الجبهة الوطنية المصرية برياسة « دولة » مصطفى النحاس باشا ، ومندوبو بريطانيا العظمى برياسة المستر أنتونى إيدن وزير الخارجية البريطانية فى اجتماعهم التاريخى فى ٢٦ أغسطس سنة ١٩٣٦ بقاعة لوكارنو التاريخية بوزارة الخارجية البريطانية لتوقيع معاهدة الصداقة والتحالف بين الدولتين

ولقد كانت هذه الاقتراحات تنعت بنعوت مختلفة : فتارة هى نظام راق للدولية العالمية . وطورا هى تطور تقضى به العدالة لان كل ارباب المصالح يجب ان يكون لهم نصيب فى نظام الحكم فى البلاد . وطورا هى انظمة قضى بها حق الفتح وحق الاصلاح للفاتحين والمصلحين فى البلاد . الى آخر ما كانت تلوكه الالسن . اما حق مصر بصفتها شعبا حرا له ان يتمتع بجميع الحريات التى تتمتع بها الدول الاخرى ، فهو ما لم يكن يرد على بال أو ينطق به لسان . حتى جاءت الحرب العالمية فى سنة ١٩١٤ ، وأخذت دعاية الحلفاء تمتد باسم حق العامل وحق تقرير المصير ، فأخذت تلك الافكار تتسرب رويدا رويدا الى الاذهان ، وأخذ المصريون يفكرون فى أمرهم وفيما يجب أن يكونوا عليه بين الامم . فما كادت الحرب تنتهى حتى بدأت ثورة مصر تظهر وتنضج ، وأخذت الافكار التى كانت مجرد هواجس او خطرات نفس تتبلور وتتكون تحت زعامة رجال ممن عركوا الدهر وكابدوا عهد الاحتلال وعرفوا سر الحياة . فهم لم يكونوا زعماء خياليين ولا شبانا خلبت عقولهم النظريات ، ولا متمردين ممن لم يذوقوا طعم النجاح فى الحياة فيسعون الى انقلاب عسى ان يجدوا فيه خيرا . لا بل انهم رجال علم وتجربة . فهذا سعد زغلول الذى اشرف على الستين وكان محاميا فذا ومستشارا يشار اليه بالبنان ووزيرا مبرزا . وهذا على شعراوى صاحب الضياع الواسعة والثروة الطائلة والجاه الكبير . وهذا عبد العزيز فهمى نقيب المحامين والمدره الممتاز والمنطيق الذى لا يشق له غبار . وهذا محمود سليمان الشيخ الوقور ذو الثراء الوافر والمجد العريض . وهل لى ان أذكر من جانب آخر عدلى يكن وحسين رشدى . وان اذكر بجانب هؤلاء وهؤلاء ابطال الثورة من الشبان وغيرهم ممن تتداول ذكرهم الالسن ولا يتسع لسرد اسمائهم المقام

قامت تلك الثورة وأخذت تتسع ، والانجليز يعالجونها طورا باللين وطورا بالشدة مدة سبعة عشر عاما ، تم فى نهايتها الاتفاق المصرى الانجليزى فى ٢٦ اغسطس سنة ١٩٣٦ ، ومعاهدة مونترى سنة ١٩٣٧ وهما اساس النظام الذى يحدد مركز مصر السياسى فى الوقت الحاضر

ولا شك فى اننا اذا ما استعرضنا تاريخنا فى الخمسين السنة الماضية تبين لنا بأجلى بيان مقدار التطور الذى تطورته مصر فى نظامها السياسى وفى مركزها بين الدول فى نصف قرن

ففى سنة ١٨٩٢ كانت مصر ولاية أو شبه ولاية عثمانية تدفع للدولة العثمانية جزية مقررة

وفى سنة ١٨٩٢ كان لتركيا قاض يسمى قاضى القضاة ، يشرف على القضاء الشرعى ويتدخل فى تعديل لوائح المحاكم الشرعية ويستمد سلطانه من الخليفة مباشرة

وفى سنة ١٨٩٢ كان من التقاليد المتبعة ان يحج والى مصر أو الخديو الى تركيا لزيارة المتبوع الاعظم

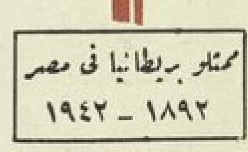
لورد كرومر

سير الدون جورست

لورد كتشنر

سير ريجنالد ونجت

لورد اللنبى

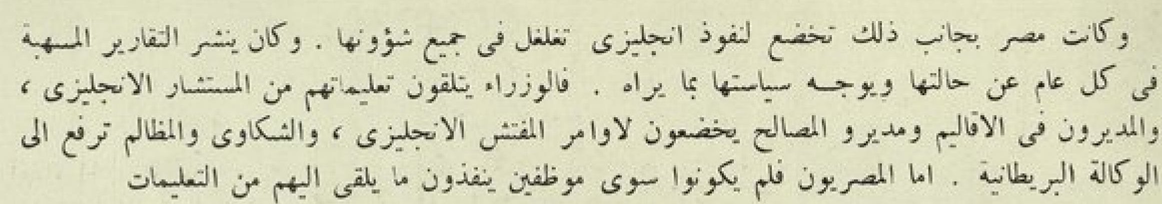












وكانت مصر بجانب ذلك تخضع لنفوذ انجليزى تغلغل فى جميع شؤونها . وكان ينشر التقارير المسهبة فى كل عام عن حالتها ويوجه سياستها بما يراه . فالوزراء يتلقون تعليماتهم من المستشار الانجليزى ، والمديرون فى الاقاليم ومديرو المصالح يخضعون لاوامر المفتش الانجليزى ، والشكاوى والمظالم ترفع الى الوكالة البريطانية . اما المصريون فلم يكونوا سوى موظفين ينفذون ما يلقى اليهم من التعليمات

وانه ليجدر بنا ان نشير فى هذا المقام الى سلطة ثالثة كانت موجودة فى البلاد وكان لها نفوذها ومقامها، وهى سلطة الامتيازات الاجنبية التى كانت تتمثل فى المحاكم المختلطة . فهذه المحاكم كانت دولية بكل معنى الكلمة ، وكانت خاضعة فى تشريعها للدول الاجنبية . فلا يغير قانون الا باتفاق جميع الدول صاحبات الامتيازات ، ولا يعين قاض اجنبى الا بناء على اقتراح الدولة التابع لها أو بموافقتها ، ولا تعقد جلسة فى المحاكم الا برياسة اجنبية وبأغلبية اجنبية



وبجانب تلك المحاكم لم يكن للحكومة المصرية حق فرض الضرائب على الاجانب الا فى حدود ضيقة جدا وبعد الاتفاق مع الدول صاحبة الامتيازات فى البلاد. بل كانت رسوم الجمارك نفسها خاضعة لهذه الاتفاقات

هذا كله بالامس

اما اليوم ففى مصر برلمان تام السلطان على شؤونها الداخلية وأمورها المالية . والادارة المصرية فى يد المصريين يصرفونها حسب رأيهم وبمقتضى وجدانهم . فهم يفرضون ما يرونه من الانظمة لصالح الدولة ، وهم يتمتعون بسلطة تشريعية واسعة ، وهم يسنون من النظم المالية والاقتصادية ما يرون ضرورته



ونحن اذا قلنا ذلك فليس معناه اننا نجهل الواقع او نتغاضى عما لا يزال امامنا من القيود فى سبيل استكمال استقلالنا . فلئن صح ان سيادتنا الداخلية أصبحت كاملة أو تقرب من الكمال (عند ما تصبح معاهدة مونترى نافذة) فاننا لا يصح أن نغفل القيود التى فرضتها علينا المعاهدة ، من وجود الجيش الانجليزى فى انحاء البلاد الى ان تبنى له الثكنات على شاطىء القناة ، والى حق الانجليز على مطاراتنا . والى وجوب ان تكون السياسة المصرية متمشية مع السياسة الانجليزية الخارجية

ولكن من يتأمل تاريخ مصر الحديث ويرى مقدار الخطى الواسعة التى خطتها فى الماضى ، ومقدار الرقى السريع الذى ارتقته ، لا يشك فى ان جانبه الاعظم انما كان بفضل الحرب العالمية الماضية وما كان لها من أثر فى حرية الامم والشعوب ، وفى ان الحرب الحاضرة ستكون ـ اذا ما انتهت ـ الحلقة الاخيرة التى يتم بها لمصر مجدها وحريتها واستقلالها

بهى الدين بركات



الأحزاب السياسية التى ظهرت فى ٥٠ سنة

اسم الحزب	سنة تأسيسه	اسم رئيسه الاول
حزب الأحرار	١٩٠٧	وحيد بك الأيوبى
حزب الأمة	١٩٠٧	حسن باشا عبد الرازق
الحزب الوطنى	١٩٠٧	مصطفى باشا كامل
حزب الاصلاح	١٩٠٧	الشيخ على يوسف
الوفد المصرى	١٩١٨	سعد زغلول باشا
الأحرار الدستوريون	١٩٢٢	عدلى يكن باشا
حزب الاتحاد	١٩٢٥	يحيي ابراهيم باشا
حزب الشعب	١٩٣٠	اسماعيل صدقى باشا
الهيئة السعدية	١٩٣٨	الدكتور احمد ماهر باشا

الغاء الامتيازات

« دولة » مصطفى النحاس باشا يوقع معاهدة « مونترو »





مصطفى فهمي
من ١٤/٥/٨٩١
إلى ١٦/١/٨٩٢
مصطفى فهمي
من ١٧/١/٨٩٢
إلى ١٤/١/٨٩٣
حسين فخري
من ١٥/١/٨٩٣
إلى ١٨/١/٨٩٣
مصطفى رياض
من ١٩/١/٨٩٣
إلى ١٢/١١/٨٩٥
مصطفى فهمي
من ١٢/١١/٨٩٥
إلى ١١/١١/٩٠٨
بطرس غالي
من ١٢/١١/٩٠٨
إلى ٢٣/٢/٩١٠
محمد سعيد
من ٢٣/٢/٩١٠
إلى ٤/٤/٩١٤
حسين رشدي
من ٥/٤/٩١٤
إلى ١٨/١٢/٩١٤
حسين رشدي
من ١٨/١٢/٩١٤
إلى ١٠/١٠/٩١٧
حسين رشدي
من ١٠/١٠/٩١٧
إلى ٢٢/٤/٩١٩
محمد سعيد
من ٢١/٥/٩١٩
إلى ١٧/١١/٩١٩
يوسف وهبة
من ٢١/١١/٩١٩
إلى ٢٠/٥/٩٢٠
توفيق نسيم
من ٢٢/٥/٩٢٠
إلى ١٦/٣/٩٢١
عدلي يكن
من ١٧/٣/٩٢١
إلى ٢٤/١٢/٩٢١
عبد الخالق ثروت
من ١/٣/٩٢٢
إلى ٢٩/١١/٩٢٢
توفيق نسيم
من ٣٠/١١/٩٢٢
إلى ٩/٣/٩٢٣
يحيى ابراهيم
من ١٥/٣/٩٢٣
إلى ٢٧/١/٩٢٤
سعد زغلول
من ٢٨/١/٩٢٤
إلى ٢٤/١١/٩٢٤
احمد زيور
من ٢٤/١١/٩٢٤
إلى ٧/٦/٩٢٦
عدلي يكن
من ٧/٦/٩٢٦
إلى ٢١/٤/٩٢٧
عبد الخالق ثروت
من ٢٦/٤/٩٢٧
إلى ١٦/٣/٩٢٨
مصطفى النحاس
من ١٧/٣/٩٢٨
إلى ٢٥/٧/٩٢٨
محمد محمود
من ٢٧/٧/٩٢٨
إلى ٢/١٠/٩٢٩
عدلي يكن
من ٣/١٠/٩٢٩
إلى ٣٠/١٢/٩٢٩
مصطفى النحاس
من ١/١/٩٣٠
إلى ١٨/٦/٩٣٠
اسماعيل صدقي
من ١٨/٦/٩٣٠
إلى ٢٧/٩/٩٣٣
عبد الفتاح يحيى
من ٢٧/٩/٩٣٣
إلى ٢١/١١/٩٣٤
توفيق نسيم
من ٢٢/١١/٩٣٤
إلى ٢٣/١/٩٣٦
علي ماهر
من ٣٠/١/٩٣٦
إلى ٩/٥/٩٣٦
مصطفى النحاس
من ١٠/٥/٩٣٦
إلى ٣٠/١٢/٩٣٧
محمد محمود
من ٣٠/١٢/٩٣٧
إلى ١٠/٨/٩٣٩
علي ماهر
من ١٨/٨/٩٣٩
إلى ٢٣/٦/٩٤٠
حسن صبري
من ٢٥/٦/٩٤٠
إلى ١٤/١١/٩٤٠
حسين سري
من ١٥/١١/٩٤٠
إلى ٢/٢/٩٤٢
مصطفى النحاس
من ٦/٢/٩٤٢
رؤساء الوزارات المصرية في ٥٠ سنة

الجيشُ المصرى

بقلم الفريق احمد حمدى سيف النصر باشا

أذكر جيدا تلك الايام الاولى لما كنت ضابطا حديث الخدمة ، والاعوام السابقة لتخرجى فى المدرسة الحربية عام ١٨٩٤ – وكانت فى ذلك الحين تلاصق سراى الزعفران

كانت هذه السنين مليئة بالنشاط العسكرى وتحركات قوات الجيش الى الحدود الجنوبية . فقد كانت ثورة المهدى ناشئة تهدد القطر ، وكان عام ١٨٩٦ يأذن ببدء نشوب المعارك الفاصلة

ففى المدة التى وقعت بين عامى ١٨٩٦ و١٨٩٩ اشترك الجيشان المصرى والانجليزى فى حملة استرجاع السودان . فكان جنودنا يخرجون من ظفر ليدركوا ظفرا جديدا . وكان تاريخ الجيش المصرى فى هذه الحملة صفحة مجيدة من الجهود المصرية . وحسبنا فى تأييد هذا القول ان ننوه بشهادة جهر بها اللورد كتشنر على رؤوس الاشهاد ، فانى لاذكر جيدا تلك العبارة التى فاه بها لما زار الخرطوم فى سنة ١٩٠٢ فى حفلة التكريم التى دعاه الضباط المصريون اليها ، بعد انتصاره فى حرب جنوب أفريقية ، فقد قال وهو يصف المآزق الحرجة التى وجد نفسه فيها فى حرب البوير : « وكثيرا ما فكرت وأنا فى تلك المآزق فى شجعانى المصريين وتمنيت أن يكونوا الى جنبى »

ولا شك ان القائد العظيم كان يعنى ما قاله وما وقف عليه عن كثب فى معارك توشكى وجنيفس وفيركة والحفير والعطبرة وسواكن والجميزة وأم درمان ، تلك المعارك التى اشترك الجيشان فيها فى حرب استرجاع السودان والتى كسب فيها الجيش المصرى ثقة قواده المصريين والانجليز على السواء ، بجرأته وشجاعته وثباته العجيب ، فأضاف بذلك الى صفحاته معارك جديدة خرج منها فائزا منتصرا

ولا أنسى موقف الوحدات المصرية عقب انتصارها على قوات الدراويش ودخولها مدينة الخرطوم . كان الجيش فى أوائل هذا القرن موزعا بين الاقاليم المصرية والسودانية . وكانت اسلحته الرئيسية تشتمل على وحدات المشاة والخيالة والمدفعية والهجانة وارط العرب والموسيقات . وكان تعداده لا يتعدى ١٦٫٠٠٠ جندى وحوالى ٦٠٠ من الضباط ومائة من البريطانيين

وكانت المصالح العسكرية هى الاشغال العسكرية، والتعيينات ، والاسلحة والمهمات ، والقسم الطبى والبيطرى . فلم تكن الاسلحة الحديثة قد عرفت بعد من طائرات ودبابات وسيارات مدرعة . وقد اكتسب الضباط المصريون القدماء خبرة ودراية خلال الدوريات والملاحم العسكرية فى شتى انحاء القطرين الشقيقين فى اسوان وبربر ومروى وحلفا وكسلا والقضارف والقلابات وسواكن والخرطوم وام درمان والرصيرص والابيض وكودوك ومنجلا والناصر

وقد عرفت كل هذه الجهات بصفتى ضابطا فى سلاح الخيالة الى ان عينت مأمورا لام درمان

وكان احتياط الجيش فى اوائل هذا القرن لا يتجاوز عدده اثنى عشر الف ، وكان متوسط عدد المحالين الى الاحتياطى (الرديف) ثلاثة آلاف سنويا، يستدعون للتدريب لمدة ثلاثة اسابيع كل سنة . واذكر ان قوات كبيرة من الاحتياطى استدعيت خلال حرب استرجاع السودان وتألفت منه بضع أورط قامت بأعباء الاعمال الشديدة وراء خطوط القتال

ولما نشبت الحرب الاوربية الكبرى (١٩١٤–١٩١٨) تولت بعض وحدات الجيش المصرى الدفاع عن قناة السويس وحافظت وحدات أخرى على المواصلات بينها وبين فلسطين . وعاونت بعض وحدات الاورطة





معركة أم درمان : ٢ سبتمبر ١٨٩٨

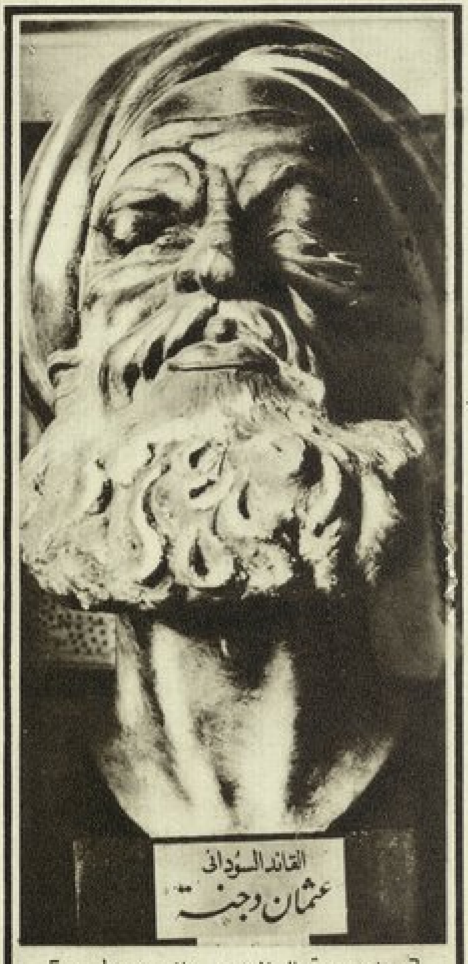
وقد أحاطت فيها القوات المصرية والبريطانية بقوات الدراويش فكانت احدى المعارك الحاسمة فى استرجاع السودان

الثانية المشاة القوات الانجليزية والهندية فى بعض معارك سيناء. وفى الصحراء الغربية اشترك قسم الاشغال العسكرية فى بعض الاعمال الفنية كما سافرت بعض وحداته الى ميدان الدردنيل

وفى عام ١٩١٦ قامت المشاة والمدفعية المصرية بأعمال جليلة فى الحجاز كان من نتائجها حصول العرب على استقلالهم ـ كذلك فى السودان قامت بإخماد الثورات المحلية فى دارفور. وكان المغفور له الملك فؤاد الاول شغوفا بالجيش يشرف عليه ، فأمر جلالته بزيادة العناية بنواحى التعليم العسكرى وتوسيع الكلية الحربية الملكية (المدرسة الحربية وقتذاك) واختيار نخبة من الضباط الانجليز لتولى بعض شؤون الجيش والنهوض به. وشجع جلالته على تأليف الكتب العسكرية باللغة العربية . واخراج المؤلفات التى تبحث فى نهضة الجيش المصرى منذ عهد جده الاكبر محمد على الكبير ـ وكان يبغى من وراء نشرها بث الروح القومية فى نفوس الشعب وتحبيب الجندية الى القلوب

ولما أمضيت معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا العظمى ، وأطلق يد مصر فى أمر جيشها ، بادرت حكومة الشعب التى كانت تتولى الحكم وقتذاك الى النهوض بالجيش والاستعداد لما سوف تتمخض عنه الايام من حوادث

ولما كان الوفد يعلم ان لا نهوض لامة من الامم الا على أكتاف جيشها ، فقد بادرت عند ما كنت وزيرا للدفاع عام ١٩٣٧ الى الاتفاق على جلب عدد كبير من مدافع الميدان والمدافع الرشاشة والمدافع المضادة للطائرات وأخرى مضادة للدبابات



[نقلا عن تمثاله المعروض بالمتحف الحربى]

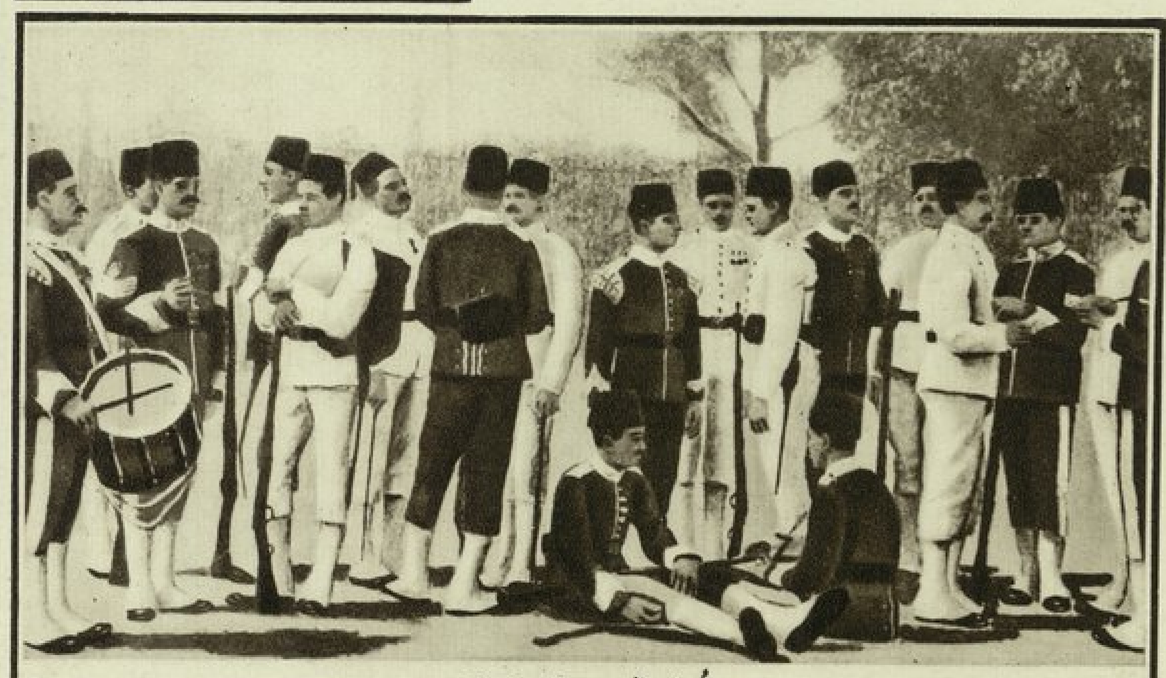
ومدافع لحصون الشواطىء وغيرها .. كما جلبنا عددا كبيرا من الدبابات والسيارات المصفحة والبنادق الحديثة والقنابل المنوعة الاغراض . كذلك زود الجيش المصرى عقب المعاهدة بأجهزة الانوار الكاشفة والجرارات والطائرات الحديثة

واذن تكون نهضة الجيش الحديثة قد بدأت فى عام ١٩٣٧ وقد زيد فى عدد قواته وحولت بعض وحداته من المشاة الى وحدات ميكانيكية ونظم الجيش بمعاونة رجال البعثة العسكرية البريطانية التى نصت المعاهدة على وجوب قيامهم بأعباء تعليم الجيش المصرى واعداده على أحدث الاساليب الحربية .. نظم الجيش على نمط جيش الحليفة من كافة الوجوه واضطلع بمهمة النهوض بالجيش الى جانب رجال البعثة العسكرية البريطانية عدد وفير من الضباط المصريين الاكفاء الذى رأينا ايفادهم فى بعوث الى المعاهد العسكرية البريطانية للتزود بكل جديد

ولعل من ابرز مظاهر نهضة الجيش المصرى الحديث معاهد التعليم العسكرية التى أنشئت لتعليم افراده من ضباط وجنود الجديد والمستحدث فى العلوم العسكرية المتنوعة ، فأنشئت كلية أركان الحرب الملكية التى تجارى الآن مثيلاتها من كليات اركان الحرب فى أرقى الدول الاوربية ، لتزويد ضباط الجيش بالثقافة العسكرية العامة . وأنشئت مدرسة ضباط الصف لتخريج ضباط صف من بين الجنود يقومون بالاشراف على تمريناتهم وتعليمهم . وأنشئت مدرسة علم الصحة العسكرية وألحقت بالقسم الطبى ، ومدرسة الهندسة العسكرية وألحق بها

أعلام الفخار

علمان من أعلام الكتائب التى اشتركت فى حملة السودان وعلى كل منهما أسماء الوقائع التى خاضتها كتيبته



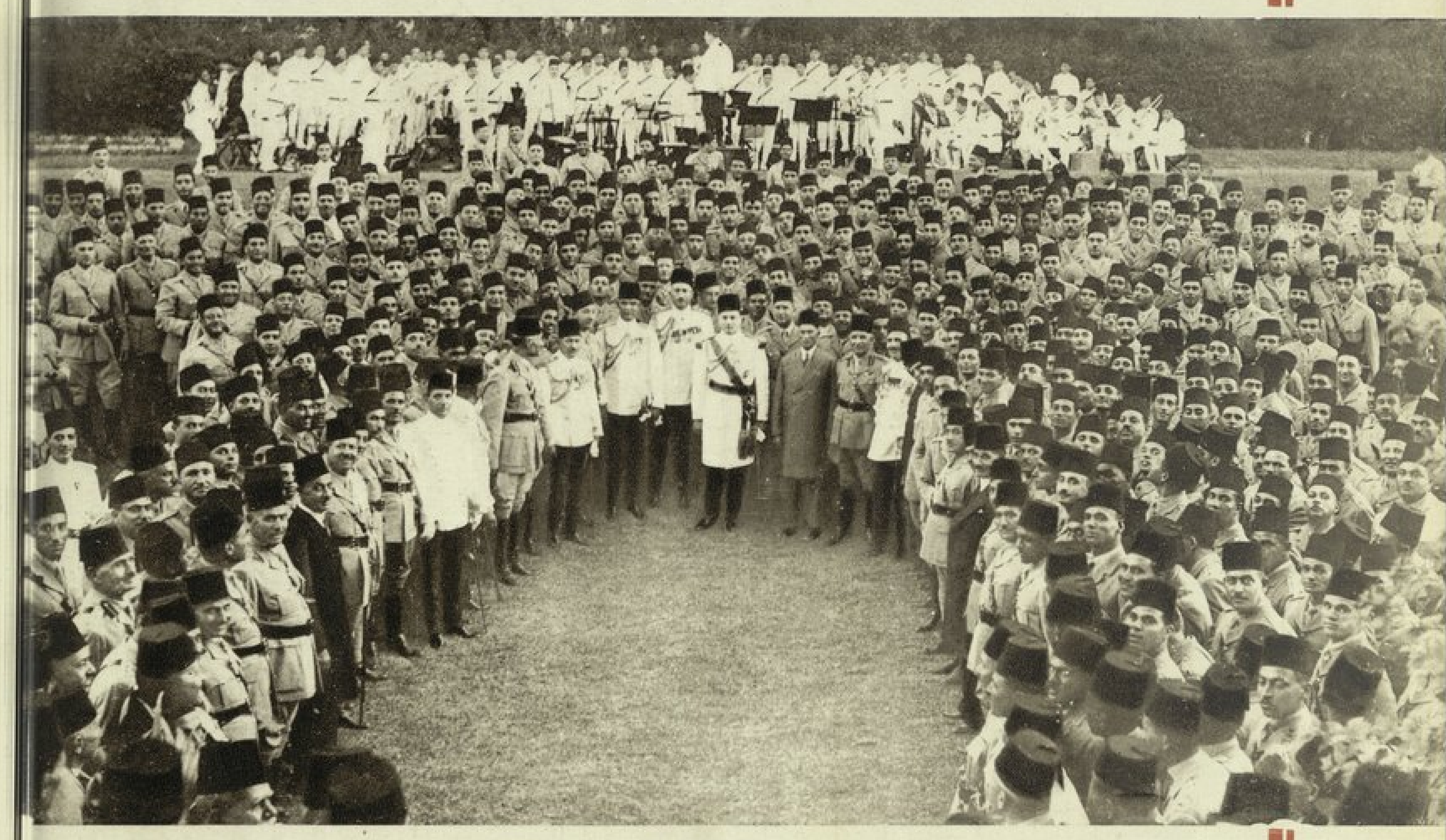
أزياء الجيش منذ ٥٠ سنة

التقطت هذه الصورة من إحدى اللوحات المعروضة فى المتحف الحربى وهى تمثل أزياء جنود الجيش المصرى من مختلف الأسلحة فى الفترة التى صدر فيها العدد الأول من مجلة « الهلال » .. ويلاحظ القارىء فيها ما بين أزياء ذلك العهد وأزياء العهد الحاضر من فروق

خريجو كلية الهندسة بجامعة فؤاد الاول ليتخرجوا ضباطا مهندسين يؤدون للجيش أجل الخدمات .. وأنشئت مدرسة الصناعات الميكانيكية الحربية لتستقبل الطلبة من خريجي المدارس الصناعية وطلبتها ليخرجوا منها عمالا عسكريين مهرة على جانب كبير من الثقافة الصناعية العسكرية

كما أنشئت مدارس للطيران والاشارة والمدفعية وغيرها . وكلها الآن تؤدى رسالاتها لخير الجيش والبلاد معتمدة على وطنية ضباطها وجنودها ورغبتهم الاكيدة فى رفع مستوى الجيش والنهوض به

ورغبت حكومة الشعب عقب المعاهدة فى تحبيب الجندية الى النفوس واظهار فضائل الخلال العسكرية

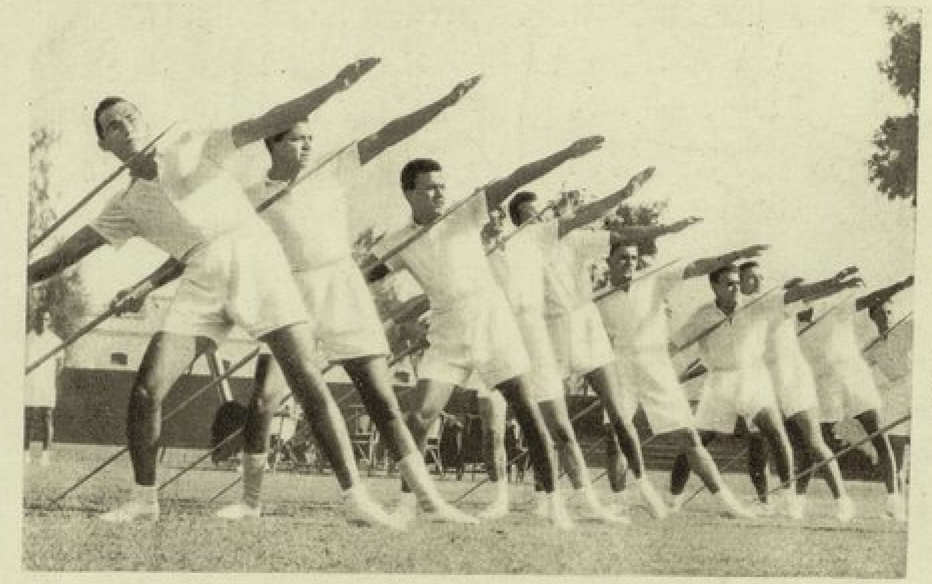


ضباط الجيش حول قائده الاعلى

صورة تاريخية أخذت فى سنة ١٩٣٧ عقب تولى جلالة الملك فاروق سلطته الدستورية ، وهى تمثل كبار ضباط الجيش المصرى وقواده وقد أحاطوا بجلالة القائد الأعلى عقب حفلة الشاى التى تفضل جلالته فأمر باقامتها لهم فى حديقة قصر عابدين

وما يكسبه المنتظمون فى سلكها من صحة وعافية وفخر الدفاع عن البلاد ، فأبانت عن المجد الذى ينتظر كل من ينتظم فى سلك الجيش ، ثم أباحت نظام التطوع فأقبل الافراد من الشباب يؤدون فى حماسة فائقة ضريبة الدم بنفوس تواقة لخدمة الوطن والعرش

وانه لمن نافلة القول التحدث باسهاب عن مظاهر نهوض الجيش المصرى الحديث .. سواء من ناحية زيادة قواته وتسليحهم وتزويدهم بكل مستحدث من آلات الدفاع والهجوم ، أو من ناحية وطنية افراده الذين يستمدون شجاعتهم وشدة مراسهم والتهاب عزيمتهم من جلالة قائدهم الاعلى مليك البلاد حفظه الله وأبقاه



قذف الرمح

إحدى الرياضات التى يتلقاها طلبة مدرسة التربية البدنية من ضباط أسلحة الجيش المختلفة وهذه المدرسة هى إحدى مدارس الجيش الحديثة

وها هم أولاء جنود الجيش يؤدون رسالتهم الوطنية فى حماسة ورغبة ساهرين على حدود البلاد مدافعين عن خط الحياة العالمى « قناة السويس » مستبسلين فى عملهم الجليل ابتغاء مرضاة الله والوطن والملك

واذا استعرضنا حالة جيشنا خلال الخمسين السنة الاخيرة لوقفنا على ما يزيد فى اطمئناننا الى احاطة البلاد بسياج منيع من مهج الجنود وارواحهم ، فان التطور الذى لازم الجيش المصرى الحديث لم يقتصر على نواحيه المادية من وجهة المسكن والمآكل والملبس والنظم المعيشية ، بل تعداها الى النواحى الفكرية للجنود ، فان ثقافتهم قد زادت وتنوعت ، وعقولهم قد استنارت واستساغت عظم المهمة الملقاة على عواتقهم وجعلتهم يشعرون أن مجد البلاد وقف على ما يبذلونه من جهود وما يؤدونه من اعمال بتفان واخلاص وهذا غنم عظيم جدير بتقدم أعرق جيوش العالم

الفريق احمد حمدى سيف النصر

١٨٨٠	١٨٩٠	١٩٠٠	١٩١٠	١٩٢٠	١٩٣٠	١٩٤٠
٨٩,٠٨٨	١٠,٩٦٠	٢٢,٨٢٣	١٧,٥٠٠	١٠,٤١٥	١٢,٣٧٠	٤١,٩٠٦

الجيش المصرى فى خمسين سنة

وضع هذا الرسم البيانى من واقع الأرقام التى حصلنا عليها من المراجع الرسمية عن عدد الجيش المصرى خلال الخمسين السنة الأخيرة ، وهو يمثل تطوره زيادة ونقصاً كل عشر سنوات ، فبعد أن كان فى عهد « اسماعيل » يقرب من تسعين الف جندى ، هبط فى العشر السنوات الأولى للاحتلال الى نحو عشرة آلاف ، وظل يتأرجح الى أن بلغ ٤٢٫٠٠٠ جندى تقريباً فى سنة ١٩٤٠

النّهضة النّسائيّة

بقلم السيدة الجليلة هدى شعراوى

ان النهضة النسائية بالمعنى الصحيح لم تخلق بمصر الا بعد صيحة قاسم أمين مطالبا بوجوب تحرير المرأة ولو ان المغفور له الخديو اسماعيل باشا يعتبر واضع الحجر الاول فى أساس النهضة النسوية بحثه صغرى زوجاته الاميرة جشم آفت هانم افندى على تأسيس المدرسة السنية فأسستها سنة ١٨٧٣ لتكون نواة لنشر تعليم الفتيات فى مصر والنهوض بمستوى المرأة . ولم تقتصر جهود اسماعيل العظيم على ذلك بل خصص بسرايه جناحا لتعليم كريماته وربيبات نعمته على يد مدرسين اكفاء ليكن مثلا يحتذى فى تثقيف المرأة والنهوض بمستواها ورغبة منه فى سرعة الوصول الى هذه الغاية . وفعلا أثمرت جهوده فوجد من بين معتوقاته من تزوجن بعد ذلك وأسسن البيوت تأسيسا صالحا وساهمن فى اصلاح الأسرة . ولم تلبث ان ظهرت الاميرة نازلى فاضل فى أفق الحياة الاجتماعية وفتحت أبواب دارها لعظماء الرجال من ساسة وأدباء وعلماء أمثال السيد جمال الدين الافغانى وسعد زغلول وقاسم أمين وفارس نمر وابراهيم اللقانى وابراهيم المويلحى وغيرهم من اعلام النهضة الفكرية والعلمية اذ ذاك . وبذلك ساهمت مساهمة فعلية فى بناء النهضة الحديثة

وظهر فى عالم الادب فى ذلك الوقت بعض شاعرات وكاتبات كعائشة التيمورية والسيدة فاطمة عليه وزينب فواز وغيرهن . وفى اعتقادى ان هذه كانت نهضة فردية الا انها ساعدت على نمو تلك الروح التى بثها اسماعيل

ثم قام قاسم أمين يطالب بتحرير المرأة فى شجاعة نادرة وأخرج كتابيه (تحرير المرأة) و (المرأة الجديدة) فنبه الاذهان بدعوته الى وجوب اشتراك المرأة اشتراكا فعليا مع الرجل فى وضع أساس النهضة العامة لانه ما من أمة أمكنها النهوض الا بشطريها متعاونين

وبدأت المرأة تحس بوجودها وتشعر بأن لها حقوقا وعليها واجبات وتزايد عدد الفتيات الراغبات فى التعليم وبدا جليا شغف المرأة بالعلم فعولنا على تنمية هذه الروح فيهن وتغذيتها ، فبدأنا قبل الحرب العظمى بايجاد رابطة أدبية لهن سميناها (جمعية الرقى الادبى للسيدات) وصادف ذلك المشروع عندهن كل ترحيب وارتياح فأقبلن على المحاضرات التى بدأنا تنظيمها . وأول محاضرة ألقيت على السيدات كانت فى الجامعة المصرية عام ١٩٠٩ ، وقد استرعى ذلك النشاط النسائى أنظار رئيس الجامعة اذ ذاك الامير فؤاد (جلالة المغفور له الملك فؤاد الاول) فعمل على تشجيعها بتنظيم سلسلة محاضرات تلقى على السيدات فى أيام خاصة بهن فى الجامعة المصرية . وكم كان جميلا منظر تلكم المحاضرات أمثال باحثة البادية ونبوية موسى ولبيبة هاشم ورحمة صروف والنابغة (مى) تلقى كل منهن بدورها محاضرتها على لفيف من السيدات كما كانت دار الجريدة برئاسة مديرها الاستاذ الجليل أحمد لطفى السيد (باشا) وقتئذ ترحب بمحاضرات الباحثة تشجيعا لهذه النهضة النسائية المباركة . وبدأ أثر ذلك التشجيع جليا عند ما

الاميرة نازلى فاضل
وكان صالونها ندوة العظماء والأدباء ، ومجمع أعلام النهضة الفكرية والعلمية

عقد المؤتمر الوطنى برياسة رياض باشا سنة ١٩١١ بضاحية هليوبوليس حيث بعثت (الباحثة) الى ذلك المؤتمر بمطالبها المعروفة



وقد كان للصحافة المحلية والخارجية فضل كبير فى تشجيع هذه النهضة منذ نشأتها اذ تعهدتها بالعناية فى جميع أدوارها وما زالت تفسح لها صدرها وتنشر عن أعمالها وتطرى جهودها . وقد بلغ من تقديرها لجهود المرأة واخلاصها فى العمل ان رحبت بالسيدات اللاتى قمن بتحرير الابواب المختلفة من علمية وأدبية ونسائية حتى لم تبق جريدة أو مجلة الا واندمجت المرأة فى أسرتها

وظلت المرأة تسير بخطوات جدية فى طريق النهضة وما شبت نار الحركة الوطنيـة حتى خاضت المرأة غمارها وساهمت بقسط وافر فيها واظهرت كفايتها فاعترف بفضلها وتبوأت مكانا ملحوظا . وكانت تلك فرصة مواتية لاثبات وجود المرأة والاعتراف بها . وفى اعتقادى ان هذه الوثبة تعتبر بحق فاتحة النهضة النسائية بمصر

وقد تمخضت الحركة الوطنية عن تشكيل الاتحاد النسائى الذى وجه سير تلك النهضة الناشئة توجيها صالحا بما قام به من دفاع عن المرأة ومطالبة بحقوقها . وقد كان من محاسن المصـادفات ان دعيت المرأة المصرية لحضور مؤتمر روما النسائى الدولى سنة ١٩٢٣ فمثلها الاتحاد النسائى ابان تشكيله فى هذا المؤتمر حيث اندمج فى الحركة النسائية العالمية وصـار فرعا فى الاتحاد النسائى الدولى للمطالبة بحقوق المرأة السياسية والاجتماعية والعمل على نشر مبادىء السلام وتوطيد دعائمه . فأصبحت جهود المرأة المصرية عالمية لا محلية فقط وهذا نصر كبير لبنات القرن العشرين . وبعد ذلك مضى الاتحاد جادا فى تحقيق برنامجه مطالبا بتنفيذ قوانين الاصلاح الشرعية والاجتماعية والعلمية المحلية منها والعالمية يؤيده الاتحـاد النسائى الدولى ووفق بحمد الله الى مساواة البنت بالولد فى جميع أدوار التعليم ففتحت امام الفتاة ابواب التعـليم الثانوى والعالى وأوفدت الحكومة والاتحاد النسائى بعثات من الطالبات للدراسة فى البلاد الاوربية كن مثال النجابة والجد والاخلاق القويمة وعدن بأحسن النتائج ويشغلن الآن وظائفهن فى الاعمال الحرة والحكومية عن جدارة واستحقاق . وقد انشأ الاتحاد النسائى مدرسته الابتدائية لتعليم البنات ومشغله الخيرى لتعليم الفتيات الاشغال اليدوية والتدبير المنزلى والتربية الوطنية ليكفل لهن الحياة الشريفة السعيدة من وراء هذه المهن . ولقد ضربت المدرسة والمشغل بسهم وافر فى رفع مستوى الفتاة الفكرى والاخـلاقى والعلمى اذ تخرج فيها فى مدى ربع قرن عدد لا يستهان به من الفتيات المثقفات اللاتى ارسل منهن بعثات علمية لتركيا وبلجيكا وقد اشتغل بعض خريجاته بالتعليم واحترف بعضهن المهن اليدوية فى شتى النواحى وكثير منهن أصبح المثل الاعلى للزوجية والامومة



ولقد كان للاتحاد النسائى حظ وافر وشرف كبير بأن قدم للجمهور أولى الخريجات المصريات فى الطب والآداب والمحاماة والطيران والحاصلات على دبلومات اللغات القديمة



ومما تحقق من برنامج الاتحاد النسائى المصرى تقرير السادسة عشرة سنا أدنى لزواج البنت ليتسنى لها تكوين عقلها وتحصيل قسط مناسب من الثقافة والتعليم قبل مباشرتها الحياة الزوجية والاضطلاع بواجب الامومة وخوض معترك الحياة الاجتماعية وكذلك وفق الى اصلاح بعض نظم الاحوال الشخصية فيما يتعلق بنظام الخطبة والزواج لتهيئة الجو الصالح للاسرة واستقرار الحياة الزوجية ووضع حد لفوضى الطلاق ومنع تعدد الزوجات الا لضرورة حفظا لكيان الاسرة ومنعا من انهيارها وكذلك وفق الى تقرير مد أمد حضانة الأم للطفل ومراعاة جانب المرأة فى شروط بيت الطاعة الذى يتخذه بعض الرجال وسيلة لارهاق الزوجة وارغامها على التنازل عن حقوقها . كذلك طالب بتحسين حالة الشعب الصحية بمعالجـة الامراض



أم المصريين تقود الثورة

عند ما نفى سعد الى جبل طارق بقيت أم المصريين تقود الثورة الى أن لحقت بزوجها فى منفاه . وها هى ذى فى طريقها الى الباخرة التى أقلتها الى جبل طارق يحيط بها مودعاتها من سيدات مصر اللواتى اشتركن فى ثورتها



حاملة الجرة



بالحبرة والبرقع



من الطبقة الراقية

عن نماذج تطور الأزياء بمتحف الجمعية الجغرافية

المستوطنة وغيرها من الادواء الاجتماعية وتقدم للحكومة باقتراحات الاتحاد النسائى الدولى فى هذا الصدد واهم تلك المقترحات الغاء البغاء الرسمى

ولم يأل الاتحاد النسائى جهدا فى نشر الثقافة فقام منذ نشأته بتنظيم المحاضرات العلمية والادبية فى داره تلك المحاضرات التى كان يلقيها أكابر أهل العلم والادب ويستفيد منها جمهور غفير من رواد العلم والثقافة

ولقد اشترك الاتحاد النسائى المصرى فى المؤتمرات الدولية المنعقدة سنة ١٩٢٣ فى روما وسنة ١٩٢٥ فى جراتس وسنة ١٩٢٦ فى باريس وسنة ١٩٢٧ فى أمستردام وسنة ١٩٢٩ فى برلين وسنة ١٩٣٣ فى مرسيليا وسنة ١٩٣٥ فى استانبول وسنة ١٩٣٦ فى بروكسل وسنة ١٩٣٧ فى بودابست وسنة ١٩٣٩ فى كوبنهاجن . وكان لمندوبات مصر نصيب كبير فى بحوث وقرارات هذه المؤتمرات العالمية كما كان لهن شأن كبير فى الدعاية الموفقة لمصر فى الخارج بالقاء الخطب والمحاضرات فى المجتمعات والحفلات المتبادلة ونشر الاحاديث فى الصحف والمحافل مما أدى الى دحض الافتراءات الكاذبة التى كانت تروجها الدعاية الاجنبية الضارة بسمعة بلادنا . وكانت تبلغ قرارات هذه المؤتمرات الى عصبة الامم وحكومات الدول للاسترشاد بها فى مشروعات الاصلاح

وانه لمن دواعى فخر الاتحاد النسائى المصرى مساهمته مساهمة فعلية فى الغاء الامتيازات الاجنبية بما كان ينشره من دعاية واسعة النطاق ضد هذا النظام الممقوت فى كل مؤتمر دولى متخذا حجته فى ذلك انه يعرقل فى مصر تنفيذ قرارات المؤتمرات الاصلاحية حتى انتهى الامر بأن اصدر مؤتمر برلين سنة ١٩٢٩ ومؤتمر استانبول سنة ١٩٣٥ قرارين باستنكار بقاء نظام الامتيازات الاجنبيـة بمصر وضرورة الغائهـا وتكليف مندوبات الدول تبليغ ذلك الى حكوماتهن ومطالبتها بالتنازل عن امتيازاتها فى مصر . ولما عقد مؤتمر مونترو لالغاء الامتيازات الاجنبية دوى فيه صوت المرأة بما تبودل من برقيات بينى وبين رئيسة الاتحـاد النسائى الدولى وسكرتير مؤتمر الامتيازات وكان لهذا الصوت أثر فعال فى نجاح مؤتمر مونترو

ولقد ساهمت المرأة المصرية بقسط وافر فى مناصرة عرب فلسطين ودافعت عن قضيتهم العادلة دفاعا مجيدا

فوجه الاتحاد النسائى فى اكتوبر سنة ١٩٣٨ دعوة عامة الى السيدات العربيات فى أنحاء الشرق العربى الى حضور المؤتمر النسائى الشرقى بالقاهرة وقد جاء ذلك المؤتمر الخطير برهانا ساطعا على نهضة المرأة المصرية خاصة والشرقية عامة وكان فاتحة عهد ائتلاف واخاء بين نساء الشرق العربى . ومن نتائج النهضة النسائية التى دعمها الاتحاد النسائى وأعلى صرحها ظهور المرأة المصرية فى ميدان الاعمال المنتجة حكومية أو حرة أو اجتماعية فقد أصبحنا نرى المرأة المصرية موظفة فى دواوين الحكومة والمصارف تعمل مع الرجل جنبا الى جنب او مشتغلة بالاعمال الحرة ما بين طب او تعليم أو محاماة أو تجارة أو صحافة أو فى ميدان الخدمة الاجتماعية أو مثالا للأم الصالحة تساهم بأوفر نصيب فى اصلاح حال الاسرة ورعاية الطفل

وما زال الاتحاد النسائى يدأب فى تحقيق مطالبه الاجتماعية والسياسية ويسعى فى وجوه الاصلاح المختلفة لتحقيق ما تبقى من مطالبه الاجتماعية والاخلاقية وما زالت المرأة تخطو خطوات واسعة فى سبل المدنية الحقة وطرق النهضة الحديثة حتى اتسع أمامها مجال العمل وتشعبت نواحى نشاطها وتكاثرت الجمعيات النسائية تعمل بجد واخلاص فى شتى نواحى الاصلاح الاجتماعى وخدمة الانسانية

ولقد كان لرعاية حضرة صاحبة الجلالة مليكتنا المحبوبة وتشجيعها للجمعيات النسائية الخيرية وتزعمها حركة المرشدات ومساهمة جلالتها فى اعمال البر يد عظيمة توجت نهضتنا باشراف جلالتها على أعمال المرأة وتعهدها بعطفها وعنايتها

ولنا وطيد الامل فى ان يحقق الجيل القادم آمالنا فيه ويترسم خطانا فى سبيل الاصلاح التى رسمناها له مقدرا ما لقينا من صعوبات وعراقيل فى تمهيد الطريق الوعر الذى مهدناه حبا فى سعادته ورفاهيته

وفقنا الله الى ما فيه الخير وسدد خطانا فى خدمة الوطن العزيز فى ظل حضرة صاحب الجلالة مولانا الفاروق المفدى والله ولى التوفيق ونعم المعين

هدى شعراوى



بدوية . .



ريفية . .



قبطية . .

عن نماذج تطور الأزياء بمتحف الجمعية الجغرافية



المرأة المصرية فى ثورة ١٩١٩

اشتركت المرأة المصرية فى ثورة ١٩١٩ اشتراكا فعلياً ، فكانت السيدات يعقدن الاجتماعات السياسية ، ويؤلفن المظاهرات السلمية على نحو ما ترى فى هذه الصورة التى تمثل إحدى هذه المظاهرات وقد رفع المتظاهرات الأعلام التى تجمع الهلال مع الصليب شعاراً للاتحاد



قاسم أمين : أول من نادى بتحرير المرأة

وكانت دعوته أشبه بقنبلة انفجرت فى المجتمع المصرى فأحدثت دوياً هائلا حمل أنصار الرجعية على محاربته بمختلف الوسائل ، ولكن دعوته ما لبثت أن أثمرت أبرك الثمرات ، إذ بدأت المرأة تحس بوجودها ، وتشعر بأن لها حقوقاً وعليها واجبات



الفتاة المصرية تطير

وكان من آثار تلك الدعوة أن نافست المرأة الرجل فى مختلف الميادين ، وكان الطيران بعض هذه الميادين ...



تترافع فى المحاكم

... ورأيناها كذلك ترتدى روب المحاماة كى تترافع أمام المحاكم ، عن المرأة والرجل على السواء



فى ميادين الرياضة

ورأيناها فوق هذا وذاك ترتدى « الشورت » وتزاول الرياضة كما يزاولها الرجل ، مما كان « عاراً » فى نظرها منذ خمسين سنة !



فى كليات الجامعة

ورأيناها وهى تتلقى علومها الجامعيـة تجلس مع الرجل جنباً الى جنب ، وتشترك معـه فى المناقشة ، وكثيراً ما رأيناها تتفوق عليه فى الامتحانات !

هدى شعراوى

زعيمة النهضة النسائية المصرية عند ما كانت فى السادسة عشرة من عمرها

البرلمان المصرى

الحياة الاقتصاديّة

بقلم الدكتور حافظ عفيفى باشا

لاجل أن نعرف مدى تطور الحياة الاقتصادية فى مصر فى الخمسين السنة الماضية يجب أن نستعرض باختصار التطور المادى الذى أصابته هـذه البلاد منذ سنة ١٨٩٢ الى الآن ، لان هذا التطور هو النتيجة الطبيعية لما أصاب فى هذه الفترة ـ الزراعة والصناعة والتجارة المصرية التى هى أركان الحياة الاقتصادية
الطبيعية لما أصاب ـ فى هذه الفترة ـ الزراعة والصناعة والتجارة المصرية التى هى أركان الحياة الاقتصادية
بصفة عامة

فاذا رجعنا الى تاريخ مصر منذ سنة ١٨٩٢ وجدنا أن عـدد سكانها فى ذلك الوقت كان دون العشرة الملايين ، وقد وصل فى هذه الخمسين السنة الى ما يزيد على الستة عشر مليونا . وزيادة النسل بهذه النسبة الكبيرة تعتبر دليلا على تقدم اقتصادى محسوس ،كما تدل على أمن واطمئنان ورفاهية نسبية فى البلاد

كذلك كانت ايرادات الدولة فى أول هذه الفترة لا تزيد عن العشرة الملايين جنيه ثم قفزت فى نهايتها الى ما يزيد على الخمسين مليونا

وايرادات الدولة ميزان لموارد الافراد . ويمكن أن تعطينا زيادة هذه النسبة بين ايرادات الدولة فى سنة ١٨٩٢ وبينها الآن ـ صورة تقريبية عن زيادة موارد الامة

وهذا التقدم المادى الذى أصاب البلاد فى الخمسين السنة الماضية هو نتيجة ـ كما قدمنا ـ لتقدم الزراعة والصناعة والتجارة المصرية

فأما التقدم الزراعى فلم يكن نتيجة لزيادة كبيرة فى الاراضى المنزرعة ، اذ كانت مساحة هذه الاراضى ٤٫٨٠٠٫٠٠٠ فدان تقريبا فى سنة ١٨٩٢ . وهى لا تزيد الآن عن الخمسة ملايين الا قليلا . ولكنها كانت نتيجة لتحويل جزء كبير من هذه الاراضى التى كانت تروى بالحياض الى رى مستديم ، نتيجة للقيام بتنفيذ مشروعات الرى الكبرى التى تمت تدريجا فى الخمسين السنة الماضية ، فزادت غلة الارض المنزرعة عموما بتوفير المياه اللازمة لها طول السنة

فقد قامت مصر بناء خزان اسوان الذى بدأ العمل فيه سنة ١٨٩٨ وانتهى فى سنة ١٩٠٢ ، ثم على مرتين ، وبلغ مجموع ما انفق على انشائه وتعليته نحو التسعة الملايين من الجنيهات

وأنشئت قناطر أسيوط سنة ١٩٠٢ ثم عليت ، وزادت تكاليفها قليلا عن المليون جنيه



النقود والبنكنوت

بالرغم من أن مرسوم تأسيس البنك الأهلى الذى صدر سنة ١٨٩٨ منحه حق إصدار أوراق البنكنوت ، الا أن هذه الاوراق لم تتداول بين الجمهور الا فى أعقاب الحرب الماضية . وقد جمعت هذه الصورة طائفة من الأوراق التى أصدرها البنك فى فترات مختلفة ، ومن مختلف الفئات ، مع طائفة أخرى من النقود الفضية والنيكلية المتداولة



البنك الاهلى
أسس سنة ١٨٩٨ ومنح حق إصدار «البنكنوت» ، وظل يؤدى مهمة بنك الدولة ، حتى قبل أن تقرر الحكومة فى سنة ١٩٤١ جعله بنكا مركزياً

ثم أنشئت قناطر اسنا سنة ١٩٠٨ ، وبلغت تكاليفها نحو المليون جنيه أيضا
وأنشئت قناطر زفتى على فرع دمياط بين سنة ١٩٠١ وسنة ١٩٠٣
وفى سنة ١٩٣٠ انشئت قناطر نجع حمادى مع ترعتى الفاروقية والفؤادية ، وبلغت تكاليفها جميعا نحو اربعة ملايين جنيه
وتم انشاء خزان جبل الاولياء فى سنة ١٩٣٨ ، وقد زادت تكاليفه عن الثلاثة الملايين جنيه
وأخيرا بنيت قناطر محمد على فى سنة ١٩٣٩ ، وبلغت تكاليفها نحو مليونين ونصف مليون جنيه
وبهذه الاعمال الكبرى التى كلفت الدولة ما يزيد قليلا عن العشرين مليونا من الجنيهات قد انتفعت الزراعة المصرية بما يأتى :
أولا ــ تحسين حالة المناوبات الصيفية والتبكير بطفى الشراقى فى الوجهين البحرى والقبلى ، وضمان زراعة اكثر من ٢٠٠ ألف فدان أرزا كل عام
ثانيا ــ التوسع فى الوجه القبلى بتحويل حياض مساحتها نحو ٦٠٠ ألف فدان الى رى مستديم وتوفير المياه لرى مساحة لا تقل عن خمسين ألف فدان من الاراضى البور وسواحل النيل فى الوجه القبلى
ثالثا ــ استصلاح حوالى نصف مليون فدان من الاراضى البور فى الوجه البحرى
وقد ترتب على تنفيذ هذه المشروعات وعلى توفير مياه الرى لكثرة الاراضى المصرية طوال السنة أن ارتفع منسوب مياه الرشح فى القطر عامة وفى الدلتا بوجه خاص . فأخذت غلة الارض تضعف تدريجا مما استدعى مصلحة الرى أن تقوم فى هذه الفترة بشق المصارف فى جميع انحاء القطر . وهى جادة الآن فى تعميمها بما يضمن تصريف الزائد من هذه المياه
ومن الظاهر الجلى الآن أن سياسة الرى التى سارت عليها الحكومات المصرية سواء فى عهد سيطرة الانجليز او فى عهد تقلد المصريين زمام الحكم فى بلادهم كانت سياسة حكيمة رشيدة من الوجهة الاقتصادية . فان ما عاد على مصر ماديا من اتباع هذه السياسة يفوق كثيرا ما انفقته البلاد على هذه المشروعات
وفى الواقع يحق لمصر أن تفتخر بمشروعات الرى فيها فهى من أكبر وأنفع الاعمال التى نفذت فى العالم أجمع . بل يمكن أن يقال ان سلسلة أعمال الرى فى مصر هى أحسن مثال للاتقان من جهة الفن والفائدة
ولا يزال هناك كثير من مشروعات الرى الكبرى التى درست من عشرين سنة ، والتى قطع الخبراء بفائدتها ، والتى هى برنامج المستقبل




كانت النقود المتداولة فى مصر منذ خمسين سنة مضروبة باسم سلطان تركيا (فوق) الى أن نشبت الحرب الماضية فأصبحت تسك باسم السلطان حسين كامل (تحت)






بنك مصر
أسس سنة ١٩٢٠ ليكون نواة لاستقلال مصر الاقتصادى ، واليه يرجع أكبر الفضل في نهضة مصر الصناعية بما أنشأ من مختلف الشركات والمصانع

ولقد ذكر السير مردوخ ماكدونالد بالتفصيل فى كتابه « ضبط النيل » هذه المشروعات كما بينها حضرة صاحب الدولة حسين سرى باشا فى كتابه « الرى فى مصر » وهى تشمل باختصار الاعمال الآتية :

١ ــ خزان بحيرة تانا
٢ ــ تعميق النيل فى منطقة السدود لحصر مياهه فى دائرة ضيقة
٣ ــ خزان بحيرة البرت
٤ ــ خزان بحيرتى كيوجا وكوانيا

ومن رأى الخبراء الذين ذكرت أسماءهم أن فى تنفيذ هذه المشروعات التى قد تتكلف عشرين مليون جنيه أخرى ما يسمح بتحويل نحو ٧٠٠ ألف فدان من أراضى الوجه القبلى الى نظام الرى المستديم ، وباستصلاح مليون فدان فى الوجه البحرى وبامكان توفير المياه لما يمكن أن يجفف من بحيرات الدلتا الشمالية

فاذا تمت هذه المشروعات أمكن لمصر أن تستوفى نموها الزراعى وأن تزيد مساحة أراضيها المنزرعة ــ التى لا تزيد الآن كثيرا عن خمسة ملايين فدان كما قدمنا ــ الى سبعة ملايين ونصف مليون فدان تقريبا كما يضمن تنفيذ هذه المشروعات للمنزرع من الارض كفايته من المياه فى جميع الظروف





وفي عهد « فؤاد الاول » سكت النقود باسمه مرتين : الاولى وهو سلطان والثانية وهوملك (فوق) فلما توفى صارت تسك باسم جلالة الملك فاروق (تحت)

* * *

وفى اعتقادى انه يجب على الحكومة المصرية أن تفكر جديا فى تنفيذ هذه المشروعات تدريجا . ويخيل الى أن الوقت الحاضر هو من أنسب الاوقات لعمل الاتفاقات اللازمة التى يجب أن تسبق الاستعداد للتنفيذ

فالاتفاق مع الحبشة مثلا على مشروع خزان تانا أيسر منه الآن فى أى وقت مضى

وليس من شك فى أن الاتفاق على تنفيذ مشروع السدود ممكن فى الوقت الحاضر لانه فى مصلحة مصر والسودان معا ، فهو يوفر على مصر مقدارا كبيرا من الماء يتبخر الآن فى الهواء ، ويوفر على السودان مساحة كبيرة من الاراضى هى الآن مستنقعات لا نفع منها بل هى مصدر لكثير من الامراض والآفات





وأعتقد أيضا انه من الخطأ ومن الظلم البين لهذا الجيل أن تنفذ مثل هذه المشروعات الكبرى من ايراد الدولة العادى فيترتب على ذلك زيادة الضرائب على الممولين من هذا الجيل وينتفع بهذه المشروعات أهل الجيل القادم . بل المعقول أن ينفق على هذه المشروعات من قروض أهلية تقترضها الحكومة لمدة عشرين أو ثلاثين سنة فيشترك بذلك أهل الجيل الحاضر والمستقبل فى نفقاتها . والوقت الحاضر أيضا أنسب الاوقات لطرح مثل هذا القرض ــ الذى يجب أن يخصص لتنفيذ هذه المشروعات ــ لاسباب لا تخفى على أحد

وقد حصل فى هذه الفترة من تاريخ مصر تحسين كبير فى طرق الزراعة وأساليبها . اذ قد عنيت مصلحة الزراعة أولا ووزارة الزراعة ثانيا والجمعية الزراعية الملكية بتحسين البذور فنتج عن ذلك تحسين فى أنواع المنتجات الزراعية . كما فطن الزراع أيضا الى استعمال الاسمدة الكيماوية التى لم يكونوا يعرفونها من ربع قرن مضى – الى غير ذلك من الاصلاحات الكثيرة التى أدخلتها وزارة الزراعة وغيرها من المنشآت الزراعية الاهلية بناء على تجاريب علمية طويلة – فى الاساليب الزراعية . وقد تحسنت بنوع خاص أنواع القطن المصرى ، كما نمت وازدهرت زراعة الفواكه فى مصر

اما تاريخ تقدم الصناعة فى مصر فهو تاريخ حديث

صحيح انه قامت فى مصر منذ عهد بعيد عدة صناعات كصناعة السكر والصناعات المعروفة بذات المنفعة العامة كشركات الكهرباء والغاز والمياه . وقد نجحت هذه الصناعات وأينعت بتقدم البلاد وبالاحتكار الذى تمتعت به وحماها مدة طويلة من خطر المنافسة . واستطاعت أن تعيش بجانبها صناعات كثيرة أخرى كالصناعات اليدوية والميكانيكية الصغيرة . ولكن يمكن القول بأن الصناعة لم تتقدم فى مصر الا منذ بداية الحرب الماضية فى سنة ١٩١٤ فانه لما أعلنت تلك الحرب وانقطعت عنا اكثر الواردات أو زادت أثمانها زيادة كبيرة قامت صناعات كثيرة أخرى قضت الضرورات الملحة وحدها بانشائها دون استعداد أو تحضير فنى ودون أن تعمل الحكومة من جانبها شيئا ملحوظا فى سبيل هذا الانشاء فاستطاعت أن تحيا فى غيبة المنافسة . ولكن ماكادت تلك الحرب تنتهى حتى أغرقت الاسواق المصرية بالبضائع الاجنبية فلم تقو هذه الصناعات الحديثة على المنافسة فمات أكثرها . وكان السبب فى هذه النتيجة المحزنة ذلك النظام السقيم الذى كانت تتسم به تعريفتنا الجمركية القديمة – اذكانت الرسوم لا تتعدى ٨ ٪ من قيمة جميع الواردات سواء أكان الوارد من الضروريات أو الكماليات أم كان من المواد اللازمة للصناعة المحلية أو من المواد المصنوعة التى تنافس مصنوعاتنا المصرية

فلما عدلت التعريفة فى سنة ١٩٣٠ أتيحت الفرصة لكثير من الصناعات ان تبدأ حياة جديدة تبشر بالخير والتفاؤل والرخاء

اننا كثيرا ما نقول مع القائلين ان مصر بلاد زراعية ، وانها ستعيش أبدا بلادا زراعية ، ولكن تاريخ الامم القديم والحديث دلنا على أن الامم التى تعيش من الزراعة وحدها أمم فقيرة لان موارد الزراعة لا تكفى لرفع مستوى المعيشة الى الحد الذى ترجوه . ونحن أمة يزداد عدد سكانها زيادة مطردة كل عام . وعلى ذلك تكون الزراعة وحدها – أمام تزايد عدد السكان – موردا غير كاف لتحقيق الرخاء الذى تنشده مصر لاهلها أجمعين . ومن ثم يكون اعتمادنا على الزراعة وحدها غير متفق مع ما يجب لمواجهة المستقبل من الحيطة والتبصر . واذن لا مفر من الاتجاه الى ناحية الصناعة وتشجيع الصناعات النافعة القائمة . ولا مفر أيضا من الاكثار منها ، فانها المنفذ الوحيد – بجانب الزراعة – لتيسير سبل الحياة على أهل هذه البلاد ولبث روح الاقدام فيهم وتعويدهم العناية بأحوالهم المعاشية والاهتمام بترقيتها وبعدم التواكل والاهمال



طلعت حرب : واضع حجر الأساس فى صرح استقلال مصر الاقتصادى



احمد عبد الوهاب : واليه يرجع معظم الفضل فى تخفيف آثار الأزمة الاقتصادية



سيد كامل : وقد كان أحد الذين قام على اكتافهم بنك مصر وشركاته

ويكفى لمعرفة قيمة الصناعة المصرية الآن كعامل فى الثروة الاهلية أن نذكر ان نصيب الصناعات المصرية فى هذه الثروة لا يقل عن نصيب الزراعة بل قد يزيد عنها

فالبلاد تنتج الآن من الصناعات ما لا يقل ثمنه عن ثمن محصول القطن المصرى. كما لا يقل عدد العمال المصريين الذين يشتغلون فى الصناعة ويعيشون منها عن المليون عامل، وهم يتناولون مرتبات سنوية لا تقل عن ستة ملايين جنيه. كما فتحت الصناعة المصرية أبوابا واسعة لآلاف الشبان المتعلمين الذين كانوا لا يجدون من عشر سنوات بابا للرزق غير التوظف فى الحكومة

وقد أثبتت الظروف والتجارب ان فى مصر كنوزا يمكن استثمارها استثمارا صناعيا يدر الخير والرخاء على سكانها أجمعين

على أن هذه الكنوز لا يمكن الاستفادة بها على الوجه المرغوب ما لم يكن هناك برنامج مرسوم تعمل الحكومات المتتالية على تنفيذه. اما الارتجال وترك الميدان الصناعى بلا ضابط ولا سياسة مرسومة فسيؤدى بنا حتما الى أن نواجه مشكلة عويصة هى مشكلة ازدياد عدد السكان وانخفاض مستوى المعيشة بينهم والتى لا حل لها - كما قدمت - الا بتشجيع صناعاتنا الناشئة على الاستقرار والنمو والعمل على تعزيز النهضة الصناعية

أما عن التجارة فى مصر فقد تقدمت فى الخمسين السنة الماضية تقدما محسوسا تبعا لتقدم الصناعة والزراعة

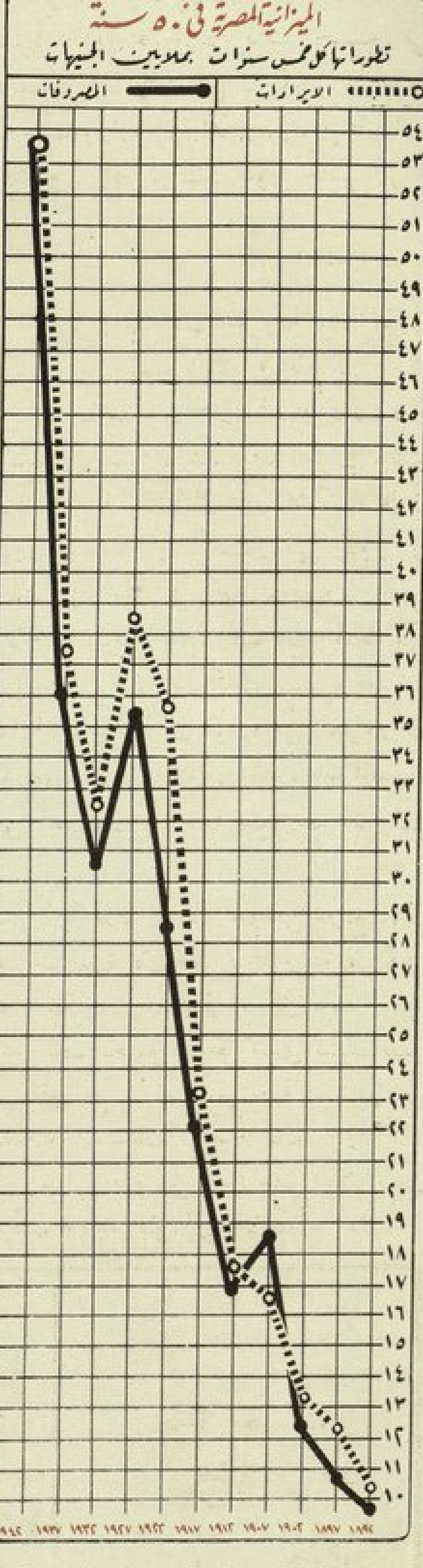
ونحن نعتمد فى مركزنا الاقتصادى على تجارتنا الخارجية - ذلك بأننا ننتج من الاصناف الزراعية المختلفة ما يزيد على حاجتنا ولا ننتج من المصنوعات ما يسد كل هذه الحاجة. فنحن مضطرون لحفظ التوازن الاقتصادى بأن نبيع الى الخارج ما يزيد على حاجتنا من منتجاتنا الزراعية لنستطيع شراء ما نحتاج اليه من المواد الاولية والمصنوعات ولنستطيع أن ندفع فوائد ما علينا من الديون العامة وأرباح رؤوس الاموال الاجنبية التى تستثمر فى البلاد

* * *

هذا ملخص موجز عما أصاب الزراعة والصناعة والتجارة فى نصف القرن الماضى يرسم للقارىء خطوطا لصورة تقريبية لما بلغه التطور المادى فى مصر فى هذه الفترة من حياتها الاقتصادية

وليس من السهل طبعا الاحاطة بأطراف هذا الموضوع احاطة شاملة فى مثل هذا الحيز المحدد من صفحات الهلال. ولعلى أستطيع فى فرصة أخرى أن أستكمل من هذه الصورة بعض ما حال دونه ضيق الوقت وضيق المقام

حافظ عفيفى



يصور هذا الرسم تطورات الميزانية المصرية فى خمسين سنة، ومنه يتبين كيف كانت فى سنة ١٨٩٢ لا تزيد على عشرة ملايين، وكيف كانت الايرادات دائماً أكثر من المصروفات إلا فى سنة ١٩٠٧، مما يدل على سلامة مالية الدولة

التقدّم الصّناعى

بقلم حضرة صاحب الدولة اسماعيل صدقى باشا

رئيس الاتحاد المصرى للصناعات

كانت مصر فى جميع العصور ، وستظل فى مستقبل الايام ، بلدا حياته الزراعة ، ويرجع سبب ذلك الى ما تمتاز به من خصب تربتها وغيره من الظروف الطبيعية المؤاتية للزراعة

ولذلك كادت الزراعة تكون مورد دخلها الوحيد حتى سنة ١٩٣٠ وهى السنة التى استهلت فيها عهد سياسة جمركية أقيمت على أساس اقتصادى ، وهى سياسة يرجع الفضل فى انتهاجها الى الجهود التى ظل اتحاد الصناعات يبذلها من غير كلال ، والى تزايد عدد السكان وعبئه على ذلك المورد الوحيد

والواقع أن نشاط بلادنا الصناعى بالمعنى الصحيح – اذا استثنينا الحرف اليدوية وبعض صناعات قليلة ضيقة النطاق – كان ينحصر فى تحويل عدد قليل من المنتجات الزراعية التى تستهلك فى جميع الاقطار ، وذلك بقصد اصدارها الى الخارج أو استهلاكها فى داخل البلاد كالقطن وبذرته ، وقصب السكر ، والجلود ، والالبان ، وفى طائفة من معامل الصيانة والاصلاح الصغيرة

ولهذا السبب كان دخل الحكومة الى ذلك الحين ، بل الى وقتنا هذا ، ينصرف جميعه أو جله – بعد اقتطاع النفقات الادارية العامة – الى تنمية الثروة الارضية واستغلالها عن طريق اصلاح العدة الاقتصادية القومية أى طرق المواصلات والثغور والمستودعات والاسواق وما اليها ، وأعمال الرى والصرف وتحسين أسباب الحياة الريفية ، واتخاذ التدابير الكفيلة بالتشجيع على توسيع نطاق المنتجات الزراعية وتصديرها

ولهذا السبب أيضا كانت رؤوس الاموال الاجنبية حتى ذلك الحين تستغل فى الاراضى الزراعية ، شأنها فى ذلك شأن الاموال القومية التى يدخرها الاهلون ، ولا يزال قسم كبير من هذه الاموال يستغل فى ذلك الوجه

ولا يصعب ادراك علة ذلك ، فالانتاج الزراعى فى مصر يمتاز بأنه يكاد يخلو من كل خطر ، فضلا عن ملاءمة ظروف تصريفه ، وانخفاض مستوى المعيشة وقلة الرسوم الجمركية فى ذلك الوقت ، فقد كان نظامنا الجمركى ماليا بحتا يعادل سياسة « الباب المفتوح » فى مصلحة منتجات الصناعة الاجنبية . يضاف الى ذلك انتفاء التقاليد الصناعية والعمال المتخصصين مما كان من شأنه أن يحول دون قيام الصناعة القومية على شىء من سعة النطاق

غير انه قد طرأت فى خلال الربع الاول من القرن الحاضر سلسلة من الظروف الداخلية والخارجية غيرت حالة البيئة من ناحية السكان ومن النواحى الاقتصادية والنفسية والسياسية . وكان من شأن هذه الظروف أن حملت رجالات البلاد وحكامها على البحث عن موارد جديدة للدخل غير الزراعة مع المضى فى تنظيم الانتاج الزراعى وتحسينه . وقد كتب لهم فى سبيل هذا التحسين الشىء الكثير من التوفيق . واليك أهم ما حدث :

(١) اختلال التبادل بسبب الحرب الماضية اختلالا جعلنا ندرك مدى اعتمادنا على البلدان الاجنبية فى التموّن من المنتجات اللازمة لسد حاجات الامة الاساسية الحيوية



بتاح

إله الصناعة عند قدماء المصريين

(٢) تنبهنا بدافع هذه الظروف الى أن مصر تستطيع أن تنتج في بلادها طائفة من تلك المنتجات . وفعلا أدى شح الاسواق بها الى انشاء عدد كبير من الصناعات التحويلية

(٣) الضرورة الادبية والاجتماعية والاقتصادية التي كانت توجب العمل على تمكين هذه الصناعات الجديدة من البقاء ، وبالتالى تأمين سبل الارتزاق للايدى العاملة التى تدربت عليها وكانت تعمل فيها

(٤) ضغط الزيادة السنوية فى عدد السكان فى بلد يمتاز بكثرة النسل وتعذر استيعاب الفائض منهم فى الاعمال الزراعية

(٥) ازدياد حاجات طبقات الامة جميعا من جراء التقدم الثقافى والاتصال بالمدنية الغربية

(٦) هبوط أسعار المنتجات الزراعية وغلة الاراضى المالية

(٧) ازدياد نفقات الحكومة بالنسبة الى ما كانت تطمح اليه الامة من المضى فى سبيل تحقيق استقلالها الادارى والاقتصادى والسياسى

(٨) تحقيق هذا الاستقلال وما ترتب عليه من التزامات أدبية ومالية

(٩) ضغط الشبان المثقفين ممن يطمحون الى حياة أليق بهم من التى تتاح لهم فى الريف المصرى

(١٠) ازدياد رؤوس الاموال التى تكونت فى خلال الحرب الماضية وسنوات الرخاء التى تلتها وضرورة استخدام هذه الاموال

(١١) ازدياد عبء الضرائب فى أوربا وبحث أصحاب الاموال الاجنبية عن أوجه استغلال رابحة لاموالهم

* * *

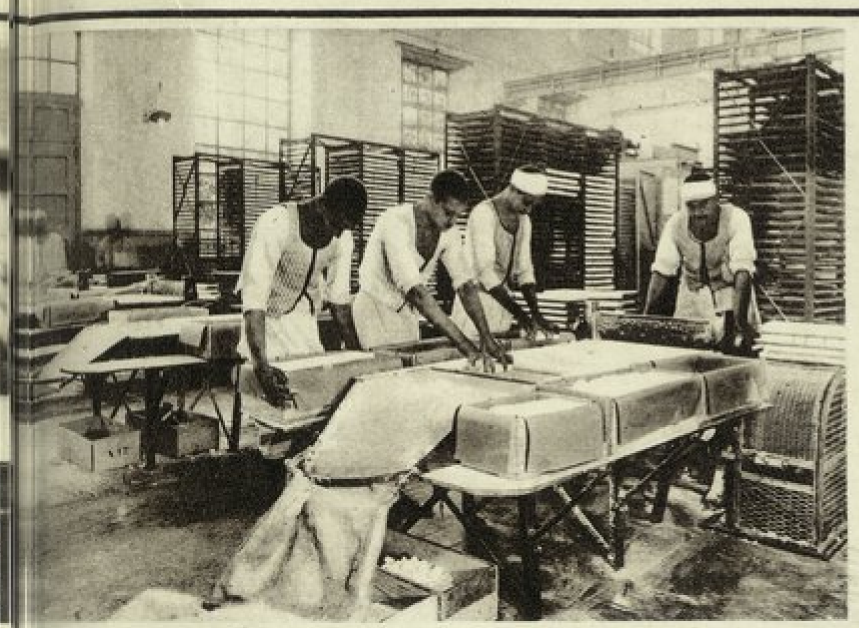
وقد كان من أثر هذه الظروف جميعا أن اتجهت الجهود الشخصية والمادية نحو الصناعة فبدأت تبذل فى أول الامر فى شىء من التردد حتى سنة ١٩٣٠ ، ثم أخذت فى التكاثر والاندفاع فى هذا السبيل منذ تلك السنة التى كانت فاتحة عهد جديد للاقتصاد المصرى

ففى تلك السنة تم الاصلاح الجمركى فكفل القسط المعقول من الحماية لاوجه الانتاج التى يرجى لها التقدم الاقتصادى فى مصر . والى



راعى النهضة الصناعية

هو الملك فاروق الأول ، الذى يقتفى أثر والده وينسج على منواله. وتراه هنا فى زيارته لمدرسة الهندسة التطبيقية يوم عيدها المئوى





من أكثر الصناعات نجاحاً فى مصر صناعة السجاير . وقد كانت هذه الصناعة فيما مضى تعتمد على الأيدى ، أما اليوم فتكاد الآلات الحديثة لا تترك للعمال سوى مجرد التعبئة

وكذلك الحال فى صناعة السكر ، ولو أنها أقدم وأوسع وأوفر ربحاً ، حتى ليزيد إنتاجها على حاجة البلاد فيصدر الفائض الى الخارج ، وبنوع خاص الى الأقطار العربية الشقيقة

هذا الاصلاح يرجع الفضل فى قيام كثير من الصناعات الحيوية واتساع نطاق بعض ما كان قائماً منها فى البلاد ، مما نذكره هنا على سبيل المثال :

١ ـ صناعات الغزل والنسيج المختلفة الخاصة بالقطن والحرير والتيل والصوف والكتان

٢ ـ الصناعات الزراعية كصناعة السكر وحلج القطن وتبييض الارز وطحن الحبوب

٣ ـ صناعة الأثاث

٤ ـ الصناعات الكيميائية كصناعة استخراج الزيوت وصناعة الصابون والصودا وحامض الكبريتيك

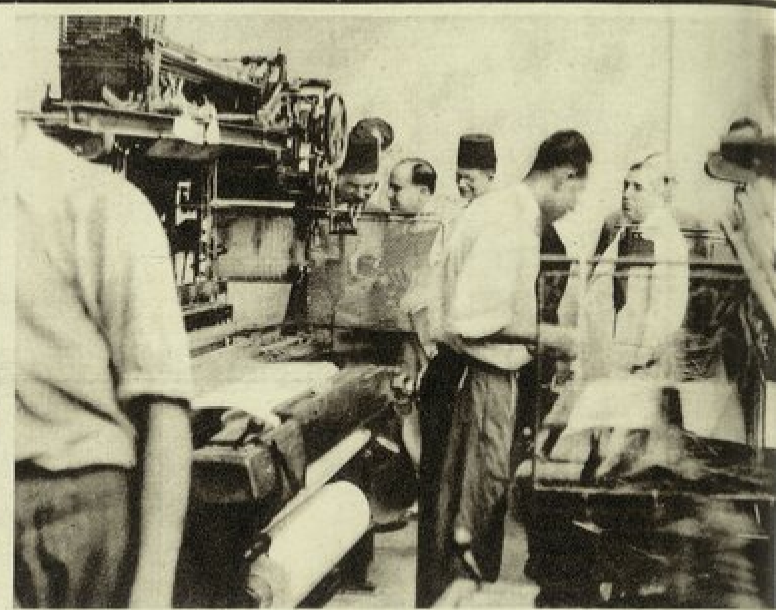
٥ ـ صناعة المعادن كالأثاثات المعدنية والاسرة والادوات الصحية والصنابير وأنابيب الرصاص والحديد



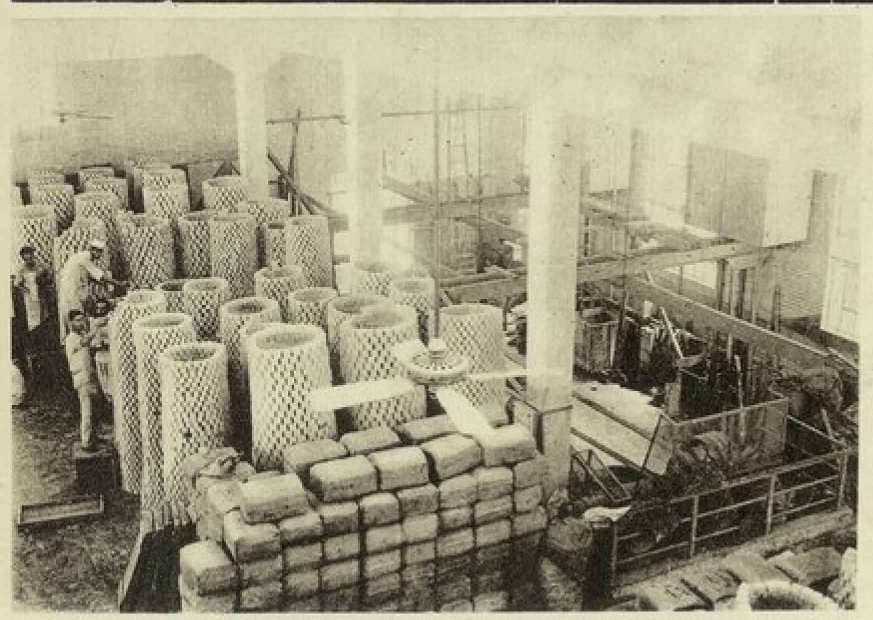
وقد وسعت الظروف الحاضرة نطاق طائفة أخرى من الصناعات فى مقدمتها الصناعات الحربية التى تحاول أن تستعيد مجدها الغابر



وغزل الصوف . . إنه صناعة حديثة ورابحة أيضاً . وقد تخصص فيها مصنع القرش فاستطاع أن يسد الكثير من حاجات وزارة الدفاع



النسيج فصناعة حديثة لم تبدأ إلا فى أعقاب الحرب الماضية ، وها هى الحرب الحاضرة أفسحت المجال لهـذه الصناعة الناشئة التى تدعو حالتها الراهنة الى كثير من التفاؤل



واذا استثنينا صابون الزينة وجدنا إنتاجنا المحلى من بقية أنواع الصابون يكفى حاجة الاستهلاك خصوصاً بعد الذى اتخذته الحكومة لحماية هـذه الصناعة من تدابير

والاقفال والمسامير وقطع اصلاح الماكينات وأدوات الانارة والتسخين والمطابخ وكثير من أدوات المستشفيات وخصوصا أدوات التعقيم والاجهزة الجراحية

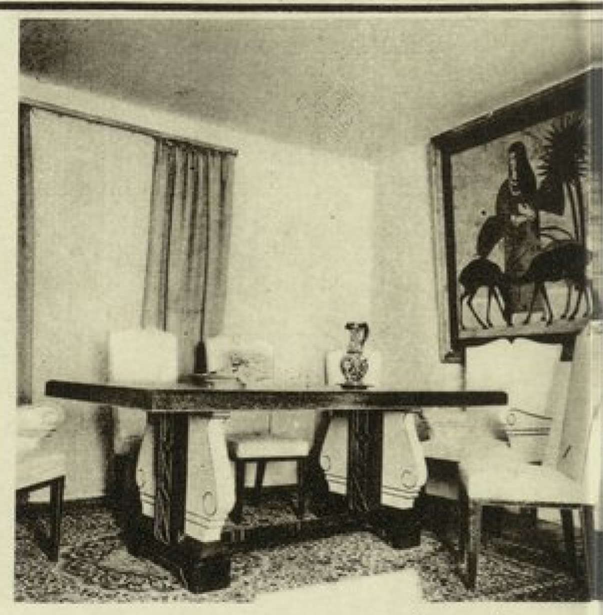
٦ ـ صناعة الجلود كعمل السيور وسروج الخيل والشنط والاحذية

٧ ـ صناعات الفخار والقيشانى والسيراميك والبلاط والرخام والاسمنت

٨ ـ صناعة الطباعة بأنواعها وأشكالها المختلفة

٩ ـ صناعة المواصلات البحرية والنهرية والارضية والهوائية

وهذه الصناعات التى يبشر نجاحها بعصر ذهبى للرخاء فى مصر يمكن أن نصل بهـا الى أرقى درجات



ـد صناعة الأثاث من أروج الصناعات التى تقدمت بسرعة فى العهد ـخير وزادت رسوخاً حتى أصبح لا يخشى عليها من المنافسة الأجنبية



وثمة أيضاً صناعة دبغ الجلود ، فقد تقدمت فى السنوات الأخيرة تقدماً أصبحت مصر بفضله فى غنى عن كل ما كانت تستورده من الخارج

الصناعة	عدد المشتغلين
البناء والتشييد	١٢٠,٧٠٦
صنع الملابس	١٠٧,٩٨٧
التجارة والأثاث	٧٦,٧١٧
الغزل والنسيج	٩٥,٩٩٧
الأطعمة النباتية	٤٢,٠١٥
توليد الكهرباء	٤٠,١٩٧
الأدوات المعدنية	٢٢,٥٩٢
تجهيز المعادن	٢١,١١٢
صنع وسائل النقل	١٥,٩٤٠
الفخار والخزف	١٣,٠٩٦
المناجم والمحاجر	١٠,٨٢٨
صنع الأدوات	١٠,٧٩٠
الطبع والتصوير	١٠,٧٤٣
التنجيد والبياضة	٩,١٦٠
الساعات والجواهر	٧,٨١٨
الجلود والفراء	٥,٢٧٠
الدخان والسجاير	٤,٧٧٠
الأطعمة الحيوانية	٢,٣١٧

الصناعات المصرية . . والصناع المصريون

يمثل هذا الرسم البيانى أكثر الصناعات المصرية انتشاراً وعدد المشتغلين بكل منها من العمال والصناع .. وهناك صناعات أخرى لم يشملها هذا الرسم لقلة عدد المشتغلين بها

الكمال اذا استمرت الامة ــ حكومة وشعبا ــ على تأييد أصحاب الصناعات الذين أخذوا فى صناعاتهم بالاساليب العلمية الفنية وأقاموا بناءها على أساس اقتصادى سليم

وها هى نتائج هذا الانقلاب نكاد نلمسها بأيدينا ، فقد أصبح فى مقدور مصر أن تقوم بسد حاجاتها من طائفة كبيرة من المنتجات التى كانت الى ربع قرن مضى لا غنى للبلاد عن استيرادها من الخارج

ثم نشبت الحرب الحاضرة فكان من أثر المصاعب التى جرتها فى أذيالها أن قامت فى البلاد صناعات جديدة شتى زادت كثيرا من الاصناف التى كنا ننتجها قبل قيامها . ومن ثم أصبح من المتعين على الحكومة أن تضع للصناعة سياسة فعالة لم أفتأ أنادى بها منذ ثلاثين سنة

أما اليوم فاننا ، كما كنا منذ نصف قرن ، نحاول أن نجد فى ميزانية الدولة أو فيما تسنه من التشريع دليلا ملموسا على رغبتها فى مناصرة الانتاج الصناعى

وهذا ولا شك موضع نقص خطير ولا سيما أن حاجتنا الى مثل هذه السياسة عقب انتهاء الحرب الحاضرة سوف تكون أعظم مما كانت عليه عند نهاية الحرب الماضيــة . ولا غرو فان على مصر اليوم من الواجبات القومية والدولية ، ولاهليها من الحاجات المادية والثقافية ماهو أعظم بكثير مماكانت تحتاج اليه فى أى وقت مضى

واذا فكرنا قليلا فى نتائج تدهور أسعار المنتجات الزراعية بين عشية وضحاها عقب انتهاء الحرب بعد أن ارتفع مستواها الى حد بعيد بسبب كثرة الطلب ، والرخاء الناشىء عن وجود جيوش الحلفاء فى البلاد ، ثم اذا فكرنا فيما سوف يقوم بين الامم من تنافس تجارى بعد ابرام الصلح وفى نوع المعيشة الذى اعتادته الطبقات العاملة فى المدن فى خلال الحرب من جراء ارتفاع الاجور سواء بحكم ناموس العرض والطلب أو بسبب تدخل الحكومة ، نقول اذا فكرنا فى كل ذلك أدركنا ما لا غنى عنه اطلاقا من تمهيد السبل واعداد العدة للابقاء على انتاجنا الصناعى وتوسيع نطاقه مهما كلفنا ذلك من ثمن

اسماعيل صدقى



مبخرة من النحاس الأصفر المنقوش . . وتلك إحدى الصناعات الدقيقة المعروفة فى مصر من زمن طويل

التطور الزراعى

بقلم حضرة صاحب السعادة فؤاد أباظة باشا

المدير العام للجمعية الزراعية الملكية

هل تقدمت الزراعة فى مصر فى الخمسين السنة الماضية ؟ أجل . لقد تقدمت تقدما بارزا فى هذه الحقبة ، فمصر بلد جل اعتماده من قديم الزمن على الزراعة التى استقرت على نظم وقواعد هى وليدة الخبرة الطويلة التى توارثها فلاحها جيلا بعد جيل

ولما كان معظم الاراضى يروى فى الازمنة السابقة ريا حوضيا فقد كان الفلاح المصرى يرتب دورة زراعية ملائمة ، بحيث تشغل الارض فى سنة بالحاصلات البقولية التى تترك فى الارض بقايا غنية بالعناصر السمادية (الأزوت) التى تفيد منها الحاصلات النجيلية وغيرها مما يحل محلها فى السنة التالية . ولم يك يستخدم فى فلاحة أرضه الا أبسط الآلات مثل الفأس البسيطة والمحراث الذى ما يزال يستخدم الى اليوم ، لا نتيجة لجمود الفلاح المصرى أو تقصيره فى الاخذ بأساليب التقدم ، ولكن لان هذه الآلة هى أفضل ما يلائم التربة المصرية من أنواع المحاريث ، وذلك لعدم حاجة الارض الى حرث عميق أو قلب طبقة عليا مكان السفلى ، مما يغنى عنه بعض ظواهر الطبيعة بتشقق الارض عقب حصاد الحاصلات الشتوية ، وظهور الاخاديد العميقة فيها ، وزيادة الحرارة داخلها بفعل الشمس والهواء الساخن . وهذه ظواهر ما لبث الفن أن أثبت أن نتائجها تساوى الحراثة العميقة وقلب الارض

ولما ازدهرت العلوم الزراعية الحديثة فى أواخر القرن التاسع عشر لم تقف مصر مكتوفة اليدين ازاءها ، بل أخذت بنتائج تقدم هذه العلوم ولم تتأخر عن الانتفاع بكل ما جد من اختراعات . وعندى أنه يجب على الباحث فى تقدم الزراعة المصرية خلال الخمسين السنة الاخيرة أن يتناول بالبحث ثلاث نواح كان لها أكبر الأثر فى تقدم الزراعة ونهضتها وهى :

أولا — تحسين وسائل الرى وتوفير المياه اللازمة لسد حاجة الزراعة وصرف الزائد من هذه المياه

ثانيا — تقدم العلوم الزراعية كالكيمياء الزراعية والصناعية وعلم النبات والوراثة وعلوم الحيوان والحشرات

ثالثا — تقدم الشؤون الاجتماعية للفلاح ومحاولات تحسين الريف وحالة القرية والعناية بالصحة والأمن والتعاون

كذلك يجب أن نشير الى بعض المؤسسات البارزة التى كانت ذات أثر ظاهر فى ذلك التقدم وكانت خير أداة لتحقيقه .. ففى سنة ۱۸۸۹ انشئت مدرسة الزراعة بالجيزة فكانت أول معهد زراعى فى مصر ، ثم أخذت تزدهر عاما بعد آخر حتى أصبحت من أهم كليات الجامعة ، يتخرج فيها كل عام عدد وفير يزيد على المائتين ،

النيل

تمثال بديع يرمز الى النيل وهو محفوظ فى الفاتيكان وقد أهديت نسخة منه للحكومة المصرية أودعتها متحف فؤاد الزراعى



أبو الفلاح

هو المغفور له السلطان حسين كامل الذى كان همه الأول قبل أن يلى العرش العناية بالشؤون الزراعية ورعاية الفلاح حتى صار يلقب بهذا اللقب . . وهـذه الصورة الطريفة تمثله وهو يتفقد مزارعه فى « جبارس »

بعد أن كان لا يتجاوز العشرة في سنيها الاولى . . وقد أنبت خريجوها فى مختلف الهيئات الزراعية الفنية وكان لهم القدح المعلى فى النهضة الزراعية المصرية

وفى ابريل سنة ١٨٩٨ انشئت الجمعية الزراعية الخديوية (الملكية الآن) برئاسة المغفور له البرنس حسين كامل ـ وقتذاك ـ وبانشائها وضعت النواة الاولى للنهضة الزراعية المصرية على أحدث الطرق العلمية والعملية

وفى سنة ١٩٠٩ أنشئت مصلحة الزراعة على أكتاف طائفة كبيرة من موظفى الجمعية الزراعية الفنيين ، ثم أخذت فى الازدهار حتى أصبحت « وزارة » فى سنة ١٩١٥ وقد تم على يديها كثير من نواحى التقدم الزراعى الذى ستأتى الاشارة اليه

ويتبع هذه المنشئات فى الاهمية انشاء مصلحة الاملاك الاميرية التى كانت خير عون لكل باحث فى الشؤون الزراعية

ولنتكلم الآن عن كل واحدة من تلك النواحى على حدة :

تحسين وسائل الرى والصرف :

لا جدال فى أن الماء عامل حيوى للتقدم الزراعى فى مصر . وقد فطن لذلك القائمون على شؤون الرى فى مدى الخمسين عاما الاخيرة ، وكان من أثر ذلك انشاء عدة مشروعات هامة كخزان اسوان وخزان جبل الاولياء بأعالى النيل وقناطر اسنا ونجع حمادى واسيوط وسدى دمياط ورشيد وقناطر زفتى وقناطر محمد على التى أنشئت حديثا بجوار القناطر الخيرية ، وكانت النتائج المباشرة لهذه المشروعات التدرج فى تحويل أراضى الحياض الى أراض تروى ريا مستديما ، وان أصبحت جملة المساحة الزراعية فى الوجه البحرى ثلاثة ملايين وثلاثة أرباع المليون بسبب استصلاح جزء كبير من الاراضى البور ، كما أصبحت جملة المساحة الزراعية من مختلف المحاصيل حوالى ثمانية ملايين ونصف مليون من الافدنة بعد أن كانت منذ نحو خمسين سنة أقل من خمسة ملايين ، بفضل السياسة المائية التى تسير عليها البلاد والتى ان كانت نجحت نجاحا ملحوظا الا انها

ساعدت على رفع مستوى الماء الجوفى الى حد ظهرت آثاره السيئة على كثير من الاراضى التى كانت معروفة بخصوبتها بسبب تأخر مشروعات الصرف وعدم سيرها الى جانب مشروعات الرى خطوة بخطوة ، مما تنبه اليه المسئولون وعملوا على تفاديه بشق المصارف فى طول البلاد وعرضها حتى بلغ مجموع أطوالها الآن نحو أحد عشر ألف كيلومتر ، أى أكثر من ضعفى ما كانت عليه منذ خمسين سنة ، فساعد ذلك على خفض مستوى الماء الجوفى وغسل الاملاح السطحية التى نشأت من ارتفاعه ، والسير بخطى واسعة الى استصلاح الاراضى الواطئة فى شمال الوجه البحرى التى كانت تغمرها مياه البحر قبل انشاء هذه المصارف

تقدم العلوم الزراعية :

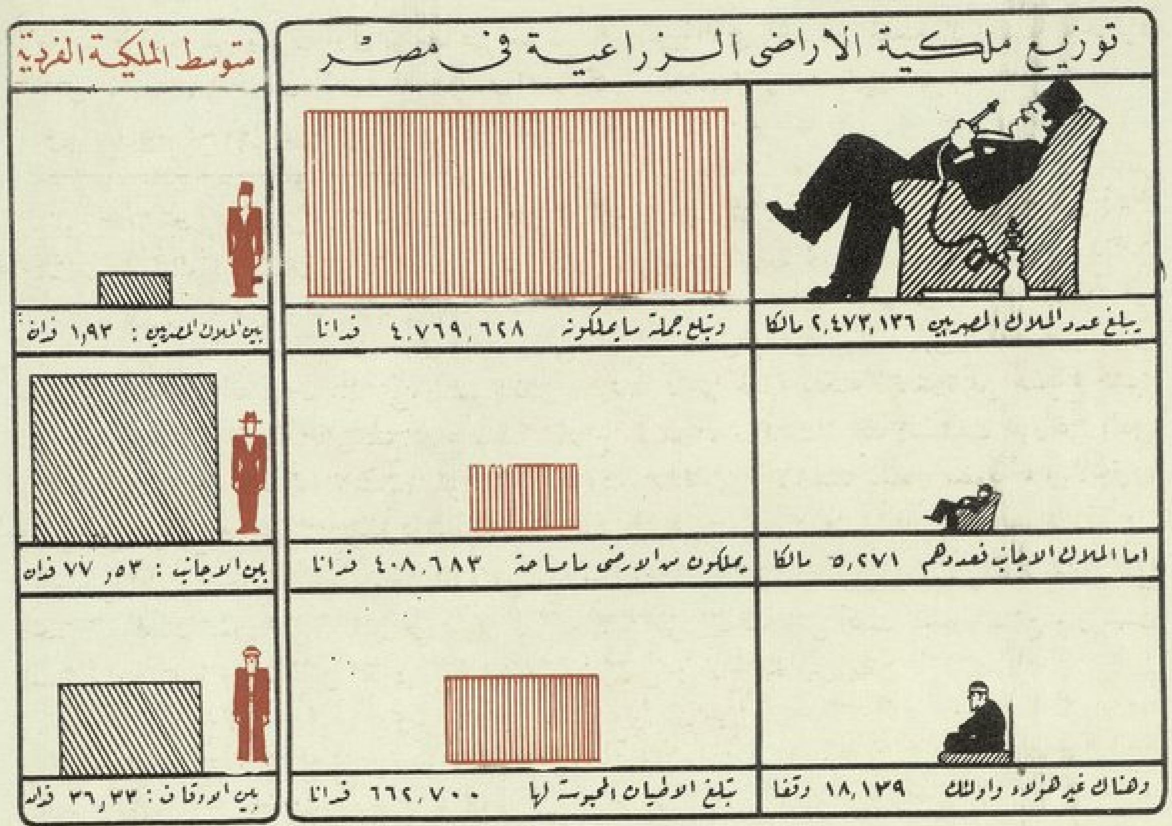
ذكرنا أن مصر سايرت التقدم الزراعى من قديم ، وما كان ذلك ليتم باصلاح وسائل الرى والصرف من غير أن يتناول هذا الاصلاح أساليب الزراعة الفنية ، ومن غير الاستعانة بنتائج العلوم الزراعية بشعبها المختلفة فى تحسين التربة واصلاح ما فسد منها ، وتوفير عوامل الخصب وقواعد التسميد بالاسمدة الكيماوية والعضوية ، والعمل على تحسين أنواع الحاصلات الزراعية وأشجار الفاكهة وأنواع الخضر بخلق أنواع جديدة وسلالات نقية واستيراد نباتات جديدة لم يسبق وجودها واستيطانها ، وغير ذلك مما يزيد المحصول ويساعد على تحسين نوعه وصفاته بما يلائم أوجه الاستهلاك المتعددة

وقد خطت مصر فى هذا السبيل خطوات موفقة ، فما فتىء المختصون يبحثون أفضل الطرق الزراعية التى تلائم كل نوع من أوان الزرع والرى ووسائل الوقاية من الآفات الحشرية والفطرية ، مضافا الى ذلك تحسين نوع الحيوان للعمل وادرار اللبن ووقايته من الأوبئة والامراض الفتاكة ، وأخيرا مساهمة العلوم الزراعية فى انشاء الصناعات الزراعية والعمل على تقدمها فى الفترة الاخيرة من هذا العهد مما نلمسه فى الآونة الحالية بعد أن تعذر استيراد الكميات الكبيرة من الاغذية المحفوظة من الخارج



من هذه الارض السوداء يخرج الذهب الابيض

والذهب الأبيض هو القطن ، عماد ثروة البلاد ومحصولها الأول . . والفلاح المصرى الذى عرف من آلاف السنين بالصبر والنشاط هو الذى يخرج هذا الذهب الأبيض من أرضه السوداء

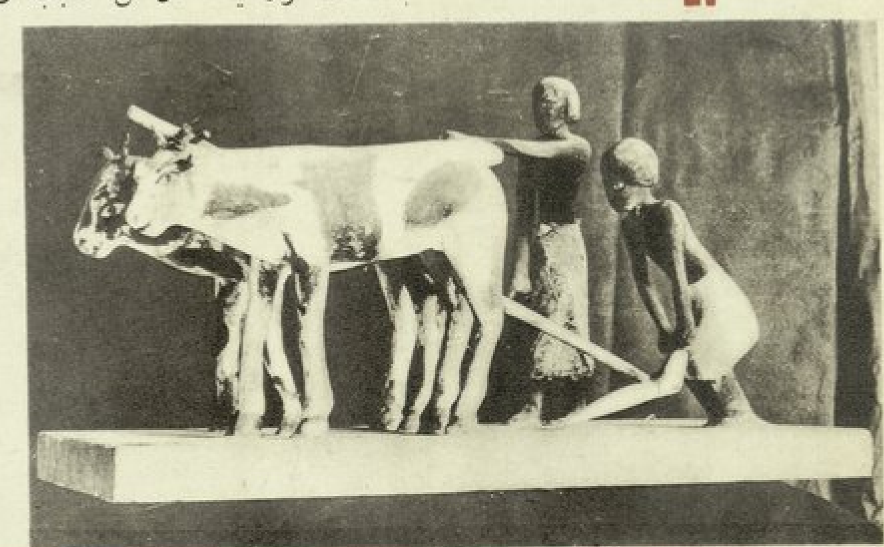


من أسباب مشكلة الفقر فى مصر ، سوء توزيع الثروة الزراعية . ففضلا عما ينطق به هذا الرسم البيانى من حقائق ، تقول الاحصائيات إن أكثر من مليونى فدان مملوك لاثنى عشر ألف مالك ، أى أن ٤٠ ٪ من الأطيان يملكها $\frac{٧}{١٠٠٠٠}$ من مجموع عدد السكان !

وليس هنا مجال تفصيل ما أداه كل فرع من هذه الفروع على حدة وانما حسبنا أن نذكر هنا للتدليل أن مساحة القطن فى سنة ١٨٩٢ كانت حوالى مليون فدان محصولها حوالى خمسه ملايين قنطار فأصبحت فى العهد الاخير حوالى مليون وثلاثة أرباع المليون من الافدنة محصولها تسعة ملايين قنطار تقريبا . وكانت مساحة القمح فى سنة ١٩٠٢ مليون وربع مليون فدان ، محصولها سبعة ملايين أردب . فأصبحت حوالى مليون ونصف مليون محصولها تسعة ملايين أردب تقريبا ، وكانت مساحة الارز فى السنة نفسها أقل من أربعين ألف فدان فأصبحت تربو على نصف مليون فدان . وكان محصول السكر فى سنة ١٨٩٢ أربعة عشر مليون قنطار ونصف قنطار فبلغ فى سنة ١٩٤٠ ستة وخمسين مليون قنطار – وكانت جملة الصادرات الزراعية والحيوانية ثلاثة عشر مليون جنيه ارتفعت الى اربعة وثلاثين مليون جنيه . . وفى هذه الارقام وحدها أبلغ الدلالة على ما بلغته مصر من التقدم الزراعى وما أدته العلوم الزراعية لها من خدمات

* * *

أما الصناعات الزراعية ، فان من العجب أن مصر التى خصها الله بالخصب حتى أمدت فى الماضى كثيرا من البلدان بأغذيتها تستورد فى العهد الحالى من الاغذية الزراعية المشغولة وغير المشغولة ما يساوى ٢,١٢٥,٠٠٠ جنيه سنويا . ذلك أنها لم تفطن الى مقدرتها على السير فى سباق الصناعة من مواردها الخام ، سواء أكانت صناعات زراعية أو تمت للزراعة بصلة مثل الغزل والنسج . وسبب ذلك فى الغالب ما كان يظن من عدم صلاحية الجو أو عدم توفر الوقود أو عدم صلاحية المادة الخام الموجودة ، بيد أن



المحراث المصرى فى عهد الفراعنة – عصر الدولة الوسطى – نقلا عن النموذج الأصلى المحفوظ بمتحف فؤاد الأول الزراعى

الابحاث الاخيرة التى ظهرت أولى نتائجها فى المعرض الزراعى الذى أقامه الجمعية الزراعية بالجزيرة بالقاهرة عام ١٩٢٦ كشفت لاعيننا عن صناعات محلية كثيرة كنا نجهل وجودها بين ظهرانينا .

تحسين الشؤون الاجتماعية فى الريف :

لما كان العامل الزراعى هو العمود الفقرى فى بنيان الثروة الزراعية وتقدمها ، فانه كلما تحسنت شؤونه وزادت صلاحية حاله ، بزيادة أمنه وحمايته من الامراض مع تثقيفه وتوفير رزقه ، وتأمين عياله ، وحماية ملكيته الصغيرة ، ومنعه من الوقوع فى أيدى المستغلين ــ زاد نصيبه فى العمل على تقدم الزراعة على الوجه المرغوب . واذا نحن نظرنا الى ما عمل فى سبيل تحقيق الاغراض السابق ذكرها فى مدى الخمسين عاما نجد أنه قد تم منها شىء ليس بالقليل . ونبدأ بما تم لحماية ملكيته الصغيرة من الضياع فنشير الى قانون الخمسة الافدنة الذى يمنع نزع ملكية الفلاح الصغير ، ثم انشاء بنك التسليف الزراعى الذى يقرضه المال اللازم لاعماله الانشائية بفوائد قليلة ، ويمده بالتقاوى والاسمدة بأسعار معقولة ، وبالاجل ، فينجيه من الوقوع فى شراك المرابين والمستغلين لضعفه وحاجته . .

وليس أقل مما تقدم أهميه التعاون الزراعى وانشاء الجمعيات التعاونية ، ومزاياها معلومة لا تخفى على أحد . . كذلك عمل الشىء الكثير فى سبيل دراسة الامراض المتوطنة التى كانت تفتك بالفلاح ، وأنشئت المستشفيات الثابتة والمتنقلة بين القرى لمحاربة هذه الامراض وعلاج المصابين بها

أما عن مسكن الفلاح أو « وكره » الذى يأوى اليه مع عياله وماشيته فان العناية لم تبذل فى تحسينه الا منذ عهد قريب ولم تعد دائرة ضيقة ، بدأها المغفور له الملك فؤاد حيث أنشأ فى مزارعه مساكن تتوافر فيها شروط الصحة من شمس وهواء . وفى سنة ١٩٣٢ وجهت الجمعية الزراعية الملكية عنايتها نحو هذه الغاية ، فأنشأت عزبتين نموذجيتين ــ افتتحت الاولى منهما سنة ١٩٣٤ والثانية سنة ١٩٣٦ وجعلتهما نموذجين كاملين للزراع يقتدون بهما حيث تتوافر فى منازلهما الشروط الصحيه مع مراعاة القواعد الملائمة للبيئة الريفية، ومدت هذه البيوت بالمياه اللازمة للشرب ، وأنشأت حمامات ومغاسل ودار ندوة يجتمع فيها أهل العزبة ويقيمون فيها أفراحهم ومآتمهم ، ومسجدا للصلاة ، ومدرسة أولية ، وبالجملة كل ما يكفل للمقيمين بهما الراحة بعد عنائهم اليومى

ومع ان بعض كبار الزراع أخذوا يقتفون أثر هذه الحركة المباركة الا أن معظمهم كثيرا ما يتردد فى انشاء مساكن للفلاحين بسبب ارتفاع التكاليف ظنا منهم انه يتحتم أن يكون البناء الجديد بالطوب الاحمر أو الحجارة لكى تتوافر فيه الشروط الصحية المطلوبة ــ ولكننا أثبتنا بانشائنا العزبة النموذجية الصغيرة المبنية بالطوب الاخضر انه يمكن توافر الشروط الصحية اللازمة مع البناء بالطوب الاخضر . وليس هذا بدعة فقد شاهدت فى رحلاتى بالولايات المتحدة فى أمريكا أن بعض الولايات الجنوبية التى يماثل جوها طقس بلادنا تقيم بعض المساكن والمكاتب الحكومية والفنادق فى المدن من الطوب النىء . والواقع أن فلاحينا فى تفتيش بهتيم يفضلون سكنى بناء الطوب الاخضر نظرا لتكييفه جو الغرف بحيث يقيه ارتفاع الحرارة فى الصيف وانخفاضها فى الشتاء . وعندى انه يستطاع تعميم استعمال

المحراث المصرى فى العصر الحاضر ، وهو لا يختلف عن زميله منذ آلاف السنين ، لأنه أكثر ملاءمة للتربة المصرية من سواه



العزبة النموذجية الخضراء بتفتيش بهتيم التابع للجمعية الزراعية وقد بنيت بالطوب الأخضر « النيء » فكانت خير أنموذج لتوافر الشروط الصحية مع قلة التكاليف . وقد زودت وشقيقتها « الحمراء » بالحمامات والمغاسل مع مدرسة أولية ومسجد للصلاة

الطوب الاخضر فى الوجه البحرى أيضا ما عدا الاقاليم الشمالية النائية التى تكثر فيها الامطار ويقرب مستوى الماء من سطحها

* * *

ولا بد من الاشارة الى انشاء مصلحة الشؤون القروية بوزارة الصحة ، ثم وزارة الشؤون الاجتماعيه التى يدخل ضمن نشاطها العناية بشؤون الفلاح جميعا . وقد ظهرت بعض أوجه نشاطها فى تحسين حال القرية والفلاح فكان من باكورة أعمالها انشاء المراكز الاجتماعية في بعض القرى ، ولهذه المراكز أهمية كبرى اذ هى تكفل العناية بالقرى من الوجهة الصحية والتعاونية والاقتصادية وتجمع بين الطبيب والزائرة الصحية والمرشد الاجتماعى والمرشد الزراعى ، وما يتطلب كل واحد منهم من منشآت خاصة بأوجه نشاطه ، كالحمامات والمغاسل ودور الامومة ودور الطفولة وغيرها . وقد أنشأت الجمعية الزراعية مركزا اجتماعيا خاصا فى تفتيش بهتيم مساهمة بذلك فى هذه الحركة الطيبة

فؤاد أباظة



من بواكير إصلاح الريف هذه المراكز الاجتماعية التى أنشىء منها فى العهد الأخير عدد غير قليل . وها هى الزائرة الصحية فى أحد هذه المراكز تعنى بصحة أطفال القرية



معظم أمراض الريف ناشىء من تلوث مياه الشرب فيه ، فمتى وفرنا للفلاحين ماء نقياً أنقذناهم من هذه الأمراض . . وهذه إحدى التجارب التى أجريت أخيراً لتحقيق هذه الغاية

القضاء والمحاماة

بقلم حضرة صاحب السعادة محمد على علوبة باشا

أنشئت المحاكم الاهلية منذ ثمانية وخمسين عاما . وقد مرت عليها أحداث كثيرة فتطورت تطورا محسوسا . ويمكن لمن شاهد أدوار انتقالها أن يحس بالفرق العظيم بين ما كانت عليه فى الزمن الماضى . وما آلت اليه الآن

وحتى ندرك مدى هذا التطور من خمسين عاما الى الآن نرى لزاما أن نستعرض ما كانت عليه المحاكم فى ذلك الوقت ، وما طرأ عليها من تغيير ، وأن نستعرض أداة الحكم فى البلاد ، وهى القوانين التى سايرت هذه المحاكم منذ انشائها الى الآن ، وبعد هذا يمكن أن نستبين ما كان عليه القضاء والمحاماة ، وما آل اليه أمرهما فى الوقت الحاضر

صدرت لائحة ترتيب المحاكم الاهلية فى يونيو سنة١٨٨٣ ، وشكلت هذه المحاكم فعلا فى سنة ١٨٨٤ بعد صدور قانونها المدنى ، والقوانين الاخرى

ولما كانت المحاكم المختلطة موجودة من سنة ١٨٧٥ فقد رأى القائمون بأمر المحاكم الاهليه أن يقتبسوا قوانين المحاكم المختلطة مع قليل من التصرف ، وأفرطوا فى هذا الاقتباس الى حد كبير حتى يصح أن يقال أن قوانيننا الاهلية كانت صورة مستعارة من قوانين المحاكم المختلطة ، دون بحث فى تنقيح هذه القوانين بما يناسب طبائع القوم وعاداتهم ، وبقيت على هذا النحو دون تغيير وتبديل الا ما حدث فى فترات مختلفة . ففى القانون المدنى مثلا ظهر قانون الشفعة سنة ١٩٠١ ثم قانون التسجيل سنة ١٩٢٣ ، وقانون طرح البحر سنة ١٩٣٢ ، كما ظهر تعديل فى تحديد فوائد القروض

أما قانون العقوبات ، فقد جرى فيه تعديل كبير ، لا سيما فى سنة ١٩٠٤ ، وتناولت التعديلات المختلفة الجرائم التى تقع بواسطة الصحف والنشر والاتفاقات الجنائية ، ومعاونة الجانى على الفرار من وجه القضاء ، والاعتياد على الاقراض بالربا الفاحش ، واضراب الموظفين والعمال ، واحراز المفرقعات والمخدرات وبيعهما

وامتدت نواحى التعديل الى قانون تحقيق الجنايات ، والى قانون المرافعات ونحن الآن أمام موجة من الاصلاح والتجديد ، قد يسفر عنها تغيير تام فى القانون المدنى وسائر القوانين

ويقضى اتفاق « مونترو » الصادر فى ٨ مايو سنة ١٩٣٧ باحالة جميع قضايا المحاكم المختلطة الى المحاكم المصرية الوطنية فى ١٤ اكتوبر سنة ١٩٤٩ . ولهذا يجدر بنا أن تكون جميع قوانيننا من الوضوح والرقى بحيث يرضى عنها كل محب لسير العدالة فى هذا البلد . وأن يكون قضاتنا ومحامونا على جانب عظيم من الكفاية ، حتى يمكنهم أن يسايروا تقدم الاحوال المدنية والتجارية وغيرها . ولا يخفى ما لهذه الاحوال من شأن فى عصرنا الحاضر . ومن الاسف أن محاكمنا الاهلية ما زالت الى الآن فى دورها الاول فى الامور التجارية والبحرية . لكنا نرجو أن تتطور مع الزمن ، وأن تكون جديرة بتحقيق الغاية المنشودة

وقد سايرت هذه التعديلات فى القوانين المصرية أمور أخرى تتصل بالمحاكم وانشائها . فكان فى مصر محكمة استئناف واحدة ، ثم أنشئت محكمة استئناف أخرى بأسيوط فى سنة ١٩٢٦ . ثم أنشئت محكمة للنقض والابرام فى سنة ١٩٣١ . وقد حلت محل الدوائر المجتمعة التى كانت فى محكمة الاستئناف

***



تجمع هذه الصورة مستشارى محكمة استئناف مصر الأهلية سنة ١٨٩٥ وهم : الجالسون من اليمين صالح ثابت باشا ، باسيلى تادرس عريان بك ، أحمد بليغ باشا رئيس المحكمة ، اسماعيل صبرى باشا ، زلزل بك . والواقفان فى الصف الأول : محمد مجدى باشا فى أقصى اليمين ، مستر شارل رويل فى أقصى اليسار . وفى الصف الثانى من اليمين : سعد زغلول باشا ، حنا نصر الله بك ، أمين سيد احمد بك ، مستر ولمر ، مسيو مينار ، أحمد عفيفى باشا ، دوهلتس بك ، أمين فكرى باشا . وفى الصف الثالث من اليمين : مسيو فيليكس ، يحيى ابراهيم باشا ، المستر بوند ، قاسم أمين بك ، زكريا بك ، حامد محمود بك

هذا ما تم فى أمر القوانين والمحاكم . فماذا تم فى أمر القضاة والمحامين ؟

لم تكن مصر حين انشاء المحاكم الاهلية قد بلغت فى فن القانون مبلغا نغبط عليه فقضت الضرورة بأن يكون أغلب قضاتنا من أولئك الذين كانوا فى الادارة والمجالس المحلية الملغاة . كما قضت الضرورة بأن يكون وكلاء الدعاوى أمام المجالس المحلية وكلاء عن المتقاضين أمام المحاكم الابتدائية أو محكمة الاستئناف . ومن الطبيعى أن يوجد هذا النظام فئات متباعدة فى التفكير ، متنافرة فى الميول . فكان القضاة عنصرا بعيدا عن وكلاء الدعاوى ، وكان الفريقان عنصرا بعيدا عن علم القانون

هذا الى أن لائحة المحامين التى صدرت فى سنة ١٨٨٨ لم تكن بكافية فى اعطاء هؤلاء الوكلاء المنزلة اللائقة بهم . ثم صدرت لائحة فى سبتمبر سنة ١٨٩٣ شرطت أن يكون المحامى حاصلا على شهادة من مدرسة الحقوق أو من مدرسة عالية أجنبية تقوم مقامها . ومن ذلك الحين بدأ تيار ذوى الشهادات يغمر صفوف القضاء والمحاماة . وترتب على هذا أن تقاربت العقليات والكفايات ، وأخذت الطوائف القديمة تنقرض شيئا فشيئا حتى أصبحنا لا نرى الآن بين القضاة والمحامين الا أولئك الذين تربوا تربية صحيحة ، وزاولوا العلم من مصادره القويمة . ثم صدر بعد ذلك فى سنة ١٩١٢ قانون نقابة المحامين . وفى ديسمبر سنة ١٩٣٩ صدر قانون المحاماة الاخير

وقد لا يبدو غريبا أن يعرف القارىء أن الاحكام فى الزمن الماضى كانت فى الغالب وحى الذوق ، ومستعارة من أحكام المحاكم المختلطة ، أو بعض الشراح الاجانب . أما الآن وقد ارتقى نظام القضاء ، ونما فن المحاماة ، وانتشرت المؤلفات والمجلات القضائية المصرية ، ومنها المجموعة الرسمية للمحاكم الاهلية التى أنشئت فى سنة ١٩٠٠ ، ومجلة المحاماة الاهلية التى أنشئت فى سنة ١٩٢٠ ، وكثرت الدراسات المستمرة من رجال القانون ، قضاة ومحامين ، فقد أصبح خليقا أن نطمع فى أن يكون لنا استقلال قضائى ، يستمد روحه من المرانة ، والمعرفة ، ويجعل لمحاكمنا المصرية الاهلية شخصية مستقلة ، وكيانا قائما بذاته ، يحدونا الى أن نطمئن الى نظامنا القضائى ، الذى نرجو على يديه العدالة والسلامة والطمأنينة

كذلك كان شأن المحاماة ضئيلا ، فلم يكن للمحامى فى كثير من مواقفه من عدة أو عتاد الا ذلاقة اللسان ،

والاطناب فيما لا يجدى ، وتوجيه الانظار اليه اما بالطعن فى خصم موكله ، واما باستجداء الحكم له ، بعبارات موشاة بألوان من الزخرف والزينة ، والاغراق والتهويل ، أملا فى استهواء القاضى والجمهور بالألفاظ المنمقة ، والتراكيب الجوفاء ، لا يعنيه لب الدعوى ، ولا فكرة الموضوع ، ولا تطبيق القانون

أما الآن فانا نحمد الله على أن صار القضاء والمحاماة علما وفنا فترى الآن فى المرافعات بحثا ودرسا ، وحجة ودليلا ، وقانونا صريحا ، ينطق فى كثير من الوضوح والجلاء ، والدقة والأناة . وقد تأثر الجمهور بهذا الروح فأصبح تعنيه الفكرة ، والغاية والوسيلة التى تعتمد على القانون ، والرأى السديد . كما تأثرت الاحكام ، فقد تغيرت وجهتها ، وانصقلت تعابيرها بعد أن كانت غاية فى التفاهة والركاكة ، أو الايجاز السقيم ، وأصبحت ألفاظها مختارة وأدلتها قوية ، وموضوعها واضحا سليما ، لا لبس فيه ولا ابهام . ولعلك اذا ألقيت سمعك الى مرافعة لأحد المحامين ، لا سيما اذا كان بارعا ماهرا ، أو الى حكم فى احدى القضايا ، أدركت صحة ما تحدثت به اليك ، وتذوقت ما فى هذه الاحكام وتلك المرافعات من علم وفن

***

ان القاضى والمحامى ، وقد نهلا معا من منهل واحد أصبح كلاهما يحس بأنه عون الآخر وساعده ، وأنه محل احترامه وتقديره . بل أصبح كثير من المحامين يدخلون سلك القضاء ، كما أن كثيرا من القضاة يرتدون ثياب المحاماة ، فخورين بها مغتبطين . هذا فوق ما للمحامى من مظاهر أخرى للنشاط والانتاج ، فكثير من المحامين يملأون كراسى الحكم ، وكثير تزدان بهم المجالس النيابية . وهكذا كانت لهم تلك المكانة بفضل ما بذلوا من جهود فى مهنتهم ، وما قدموا لبلادهم من خدمات وتضحيات

ومن مظاهر احترام المحامى ، وتقدير مكانته أن حاطته القوانين الاخيرة بسياج من الحصانة والمناعة ،



بعض أقطاب المحاماة سنة ١٩٠٩ يتوسطهم حسن صبرى « باشا » وقد ظهر الى يمينه فى الصف الأول عبد العزيز فهمى باشا وعبد الله أمين بك ، والى يساره احمد مصطفى بك ، الاستاذ اسماعيل خليل ، وظهر فى الصف الثانى من اليمين محمود عبد اللطيف بك ، عبد الحميد مصطفى « باشا » ، محمد يوسف بك ، مرقس فهمى بك ، احمد رأفت بك ، على حنفى بك ، محمود أبو النصر بك ، راغب حنا بك ، الأستاذ ابراهيم مصطفى ، وظهر خلفهم فى الصف الثالث من اليمين غير معروف ، اسماعيل مبارك ، عبد الحميد بدران ، محمد لبيب ، نصر الدين زغلول ، توفيق سعودى بك ، ميشيل ناصيف ، على كمال حبيشة بك



أول هيئة لمحكمة النقض والابرام سنة ١٩٣٣ يتوسطها عبد العزيز فهمى باشا أول من أسندت اليه رئاسة هذه المحكمة بعد تأليفها وعن يمينه عبد الرحمن سيد احمد باشا ، مراد وهبة باشا ، محمد فهمى حسين باشا ، وعن يساره محمد مصطفى باشا ، زكى برزى بك ، أحمد أمين بك ، والواقفون من اليمين عبد الفتاح السيد بك رئيسها الحالى ، فمحمد نور بك ، حامد فهمى بك

فلم يصبح فى أثناء مرافعته بالجلسة ـ كما كان من قبل ـ هدفا لحكم القاضى عليه اذا ظن أن المحامى قد ارتكب فى أثناء الجلسة وزرا يعاقب عليه كما يعاقب الاهلون ، كما راعت كرامته فى تقدير أتعابه ، اذ أصبح لنقابة المحامين حق الفصل فى تقدير الاتعاب ، وأصبحت قراراتها محترمة ، كأنها صادرة من المحاكم

أما وقد وصلنا الى هذه الحال فى نظامنا القضائى فاننا لا نكتفى بما يتم بعد بضع سنوات من الغاء المحاكم المختلطة ، واحالة قضاياها الى المحاكم الاهلية ، بل نطمع فى أن تتوحد المحاكم فلا يصبح فى مصر الا محاكم مصرية ، تسير على قانون واحد ، فتندمج المجالس الحسبية مثلا فى المحاكم الاهلية ، وتفصل المحاكم الاهلية فى كثير من المنازعات التى هى من اختصاص المحاكم الشرعية والمجالس الملية . بل نود أن تكون قضايا هذه الهيئات فى يد محاكم واحدة ، وألا يوجد فى بلادنا الا صنف واحد من المحاكم ، تحوطه قواعد محددة ، حتى يعرف الناس أن لهم قانونا واحدا بمبادئ ثابتة معروفة ، يقرها برلمان الأمة ، وتكون للمتقاضين نبراسا واضحا ينير لهم الطريق . وذلك خير وأجدى مما نراه الآن من اختصاصات متعددة ، وقواعد غير مستقرة ، وان ما تم الى الآن من رقى فى نظامنا القضائى يجعلنا نطمئن الى تحقيق هذا الذى ننشده لخير الوطن

محمد على علوبة

الدّين ورجال الدّين

بقلم فضيلة الأستاذ الشيخ محمود أبو العيون

شيخ علماء الاسكندرية

كنت من نحو خمسين سنة حديث السن أختلف الى مكتب القرية لحفظ القرآن الكريم ، وكان « سيدنا » مهيب الطلعة ، موفور الكرامة عند أهل القرية ، لانه كان من حملة الكتاب العزيز وله بعض المام بالعقائد الدينية ، ومسائل العبادات

وكنا نحن أطفال المكتب نرهبه أشد الرهبة لزمجرته ولسوطه الذى كان يلهب ظهورنا لاقل غلطة فى « تسميع » الواجب اليومى

ومع أن العقد الاول من سنى لم يكن قد اكتمل بعد ، فقد كنت على شىء من المعرفة بالمظاهر العامة ، والشؤون التى تجرى أمامى ، لان كثيرا من جماهير الارياف على اختلاف طبقاتهم ومعارفهم كانوا يزوروننا ، ويعقدون مجالس الفقه والوعظ عندنا ، اذ كان بيتنا يمت الى أسرة تنحدر من رجال متصوفة يتوارثون هداية الناس وارشادهم ، ودلالتهم الى الله تعالى ، وكنت أغشى تلك المجالس ، وأستفيد منها ، وأدرك معنى حب الجماهير لرجال الدين ، وأهل الطاعة منهم ، والاستماع لنصائحهم ، والعمل بآرائهم فيما يأتون وما يذرون. وكانت القدوة فى رجال الدين والمتصوفة منهم على الاخص تفعل فعلها الساحر فى تهذيب الاخلاق ، واصلاح النفوس

والناس وان كان أكثرهم فى ذلك العهد أميين لم يفهموا من الدين الا رسومه ، الا أن فطرهم كانت سليمة ، ونفوسهم كانت صافية ، فكان طابع الدين سائدا فى جل مظاهر حياتهم ، وقولة رجل الدين فيهم نافذة ، لا تقبل نقاشا ولا جدلا

نشأت فى هذه البيئة الريفية الصالحة ، وعرفت ما كان للاقوام فى ذلك الزمان من عقائد راسخة ، وتقدير كريم لرجال الدين ، ثم نزحت الى الازهر أطلب العلم فيه ، فألفيته يزخر بطلابه الوافدين اليه من كل حدب لتعلم العلم الدينى ووسائله ولذات الدين — لا للدنيا — اذ كانت الدنيا لا تنال فى الازهر ، بل تنال فى المدارس المدنية التى كانت مؤسسة للتوظف فحسب ، ولهذا كانت مناهجها موضوعة على قدر

فلا جرم ان كان الازهريون على كثير من الاستقامة ، والانصراف الى العلم وحده ، ولهذا كان الطالب يظل طالبا حتى يرجع الى بلده ، أو يبقى فى الازهر طالبا طول حياته ، وقد شاهدت كثيرا من الطلبة لبثوا فى الازهر خمسين سنة ، وستين سنة وأكثر من ذلك !

وقليل من كانت تحدثه نفسه أن يتقدم لنيل الشهادة العالمية ، لانها ليست من أهدافه ، لسمو منزلتها ، وعظمة جلالتها ، فاذا ساعده الحظ ونالها خصص له مرتب لا يزيد عن خمسة وسبعين قرشا لذى الدرجة الثالثة ، الى مائة وخمسين لذى الدرجة الاولى

وأشهد أن علماء الازهر فى تلك السنين الخوالى كانوا عاكفين على التعليم ، وعلى التعلم أيضا ! فلقد رأيت كثيرا من شيوخنا الاجلاء يتلقون الدروس مع طلبتهم على الشيوخ الكبار فى السن ، البارزين فى العلم ، كالشيخ الانبابى ، والشيخ الاشمونى ، والشيخ الشربينى ، والشيخ البشرى ، وغيرهم وغيرهم

وكانت حياتهم ضئيلة ، وفى قلة من العيش فى الطعام واللباس والسكنى ، الا من كان من



جامع الازهر الشريف



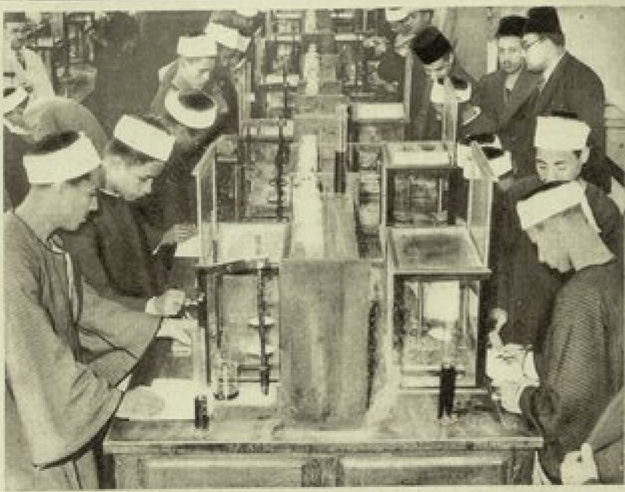
جلالة الملك يستمع إلى حديث فضيلة الأستاذ الأكبر شيخ الجامع الأزهر عن الهجرة النبوية ، فى الاحتفال الرسمى بعيد الهجرة فى الازهر الشريف ، وإلى يمين جلالته فضيلة الشيخ فتح الله سليمان رئيس المحكمة العليا الشرعية وطائفة من كبار العلماء وعن يسار جلالته سعادة محمود جم سفير إيران فدولة حسين سرى باشا فمحمد محمود خليل بك

بيت ثرى ، أو اتصل بعمل حكومى كالقضاء والفتيا ، ولهذا عرف علماء ذلك الزمان بالزهادة والورع والانصراف عن الدنيا ، وكانوا بذلك قدوة للعامة ، ولسراة القوم ، محببين اليهم ، يغشونهم فى منازلهم ، يقبلون أيديهم ، ويلتمسون البركة منهم ، وربما كانوا يمدونهم سرا بما يدفع عنهم ضرورات العيش بغير من ولا أذى

ومع أن جمهرة العلماء عرفوا بالعزلة والانصراف عن الدنيا ، فقد برزت جلة منهم فى حلبة الحياة ، والتمعت أسماؤهم كالانجم الزهر ، وأفاد منهم الناس فى الدين والدنيا بما يذكره التاريخ بمداد من نور ، فكانوا فخر مصر والشرق والاسلام ، وفى مقدمة هؤلاء والمجلين فيهم الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده ، والشيخ المهدى العباسى ، والشيخ حسن الطويل

واذ كان رجال الدين على ما رأيت من الجلالة ، وسمو المنزلة فى أنفسهم وعند الجماهير من الخاصة والعامة ، فقد كان الدين أيضا فى معقد القلوب ، وفى صميم النفوس ، وكانت الاخلاق منيعة ، وشعائر الآداب العامة مصونة ، وكانت الأسر الكبيرة والبيوتات القديمة ، لا تزال محافظة على شرف الأسرة ، وتقاليد حرمتها فى حدود الدين ، وما كنا نشاهده فى الارياف والحواضر والامصار من الصيانة والحياء والعفاف والكرم ، وعزة النفس ، الى سائر الفضائل الاخرى كالتضامن والتكافل والتعاون ، وشدة الحرص على ميزان العدالة ، وحرمات الكرامة الشخصية ، وكرامة العلماء ، وكرامة الوطن ـ كان ذلك كله ثابتا حقا ، وكان له أثره الواضح فى امتاع البلاد بالسعادة والاطمئنان ، واتجاهها نحو الكمال الاوفى فى أسباب الحياة الصحيحة

ولا نزعم ان تلك المعانى السامية فى الامة كانت المثل الاعلى للاخلاق والآداب والفضائل ، أو كانت قريبة من المثل الاعلى ، أو كانت البلاد بنجوة عن الشرور والجرائم الخلقية ـ لا نزعم ذلك ولا نقوله ، وانما نزعم بحق أن طابع البلاد كان طابعا دينيا ، كان طابعا خلقيا ، كان الناس أقرب الى الجد والى الخير ، والى العزة والكرامة والشرف ، كان وقار الشيوخ ، وعصمة الشباب ، وحياء المرأة ، وكرامة الدين والشرف الوطنى فوق كل شىء ، ومرد ذلك ومرجعه الى :



مرحلة جديدة من تطور التدريس فى الأزهر . وترى بعض الطلبة يتلقون درساً فى احد المعامل التى أدخلت فى الازهر سنة ١٩٣٥



اقتدى طلبة الازهر بطلبة الجامعة فى التدريب العسكرى وهذه فرقة منهم يستعرضها الشيخ عبد المجيد اللبان أحد كبار العلماء

١ ـ التعليم الدينى الذى كان هو التعليم الغالب المثمر فى البلاد اذ كانت سياسة التعليم المدنى قائمة على التخريج للتوظيف وهو تعليم محدود ، وطلبته قلة

٢ ـ القدوة الحسنة فى جمهرة رجال الدين

٣ ـ عدم تأثر البلاد الى ذلك الحين بالمدنية الاوربية الزائفة

٤ ـ قلة أنصار الجدل الدينى الذى أثاره فلاسفة أوربا حول الدين ، والطبيعة وما وراءها ، والمادة وتحليلها ، والسخرية بالقساوسة ورجال الكنيسة ، فقد كان ذلك غريبا عنا ، ولا يستطيع أحد ممن تأثر به اعلانه ، أو الدعوة اليه

٥ ـ عدم ظهور النظريات الاباحية للقيم الاخلاقية الى ذلك الحين

* * *

عشنا زمانا نعمنا فيه شطرا صالحا من الحياة كان متعة الدهر ، وسعادة العمر ، ومع ذلك كنا نعيب ذلك الزمان ، ونكتب فى شذوذ الاخلاق ، ونكبة البلاد من ناحية انحرافها عن الدين والفضيلة والكرامة ، وما كنا نقدر أننا ننحدر الى الضد من ذلك ، وأننا نتحرر من عناصر الحياة للامم ، وما كنا نقدر أن الحيوية المنيعة الكفيلة بالبقاء والنماء فينا تقهر وتذل وتضمحل وتنهار أمام عناصر الشر ، وأمام الغزو الاجنبى الفاتح !

رب يوم بكيت منه فلما   صرت فى غيره بكيت عليه

اذن نحن فى هذا العصر ـ عصر التحولات والتعدلات فى الدين ورجال الدين ، والقيم الاخلاقية ، والاوضاع الثابتة لحياة الجماعة . واذن نحن فى عصر انحلال واضمحلال وفناء. فما هى العوامل التى أثرت ذلك التأثير المحزن فى ذلك الجيل ؟ وما الذى نحى بالدين عن سلطانه على النفوس ، وهيمنته على القلوب ؟ وما الذى زحزح طابعه وهيولاه فى الحواضر والدساكر ؟ هل التعليم الدينى زال أو نقص ؟ هل رجال الدين لم يقوموا بواجبهم كما كانوا يفعلون فى القديم ؟ هل الاوضاع الصحيحة للتقاليد والاخلاق والعادات التى جرت عليها البلاد جيلا بعد جيل زالت وقامت مقامها أوضاع أجنبية زائفة ؟ ثم هل برزت نظريات حول المادة والطبيعة ، ونظريات حديثة للقيم الاخلاقية ، وظهر لهما أنصار وشيع من كتابنا الاجتماعيين يؤيدونها ويدعون لها بأساليب الطباعة والدعاية والخطابة وغير ذلك ؟

نستطيع أن نقول : أن هذه العوامل كلها أو جلها لها الاثر البالغ فى هذا التحول البغيض ، نستطيع أن نجهر بالقول بأن النفوس تبلدت فلم تعد مستعدة لقبول المعانى الروحية السامية ، لان زيف المدنية الحديثة



أحد طلبة الأزهر بالجبة والعمامة وملابس التدريب العسكرى

وبهرجها قد ران على النفوس وانطبع ، وزادها تبلدا وجمودا ان عناصر الهداية المستمدة من أصول الدين وعقائده ، والتى كانت سببا من أسباب الفتح للقلوب الغلف قد ضعفت وسائلها ، فلم نر من بيننا تلك القدوة الصالحة التى كان يتسم بها العلماء والقادة ورجال الدين ، واختفت وجوه أولئك الغر الميامين من رجال العلم المتزهدين فى الحياة ، والعاكفين على اصلاح حالهم وحال طلبتهم المنقطعين اليهم فى سماحة وكرم وهل يمكن أن يعود العلماء الذين كثر عديدهم ، وتثقفوا ثقافة عالية ، ونشر وعاظهم ومرشدوهم أجنحتهم على البلاد كلها من أقصاها الى أقصاها يعظون ويرشدون ، هل يمكن أن يعودوا الى سالف عهدهم ، فيعزفوا عن الدرجات والعلاوات والرقيات ، ويعكفوا على تعليم العلم لوجه الله ولوجه العلم ، وأمامهم طلبتهم جاثون على ركبهم ، معتمدون على مرافقهم ، يصغون الى دروسهم ، يقبلون أيديهم بعد الفراغ من الدرس ، ويتمسحون بهم ، ويحملون لهم النعال والفردات ؟ هل يمكن أن يعودوا الى مثل هذا الحال ؟ كلا ، لا يمكنهم ذلك ولو حاولوه ، فذلك عهد انقضى ، وأصبحنا فى عصر المادة ، وأصبح العلماء جزءا من الدولة ـ فى النظام المالى ، والتكوين الاجتماعى ـ فى تكوين الاسرة وفى وجوه الانفاق ، ونظام الحياة ، وشاركوا عامة الناس فى المعاملات والمخالطات ، وفى تعليم أنسالهم تعليما مدنيا ، وشاكلوهم فى كل شىء يمس الحياة المادية

شيوخ الأزهر فى ٥٠ سنة

الاسم	فى المدة بين سنتى
الشيخ محمد الانبابى	١٣٠٤ — ١٣١٣
الشيخ حسونة النواوى	١٣١٣ — ١٣١٧
الشيخ عبد الرحمن النواوى	١٣١٧ — ١٣١٧
الشيخ سليم البشرى	١٣١٧ — ١٣٢٠
الشيخ على محمد البيلاوى	١٣٢٠ — ١٣٢٣
الشيخ عبد الرحمن الشربينى	١٣٢٣ — ١٣٢٤
الشيخ حسونة النواوى	١٣٢٤ — ١٣٢٧
الشيخ سليم البشرى	١٣٢٧ — ١٣٣٥
الشيخ أبو الفضل الجيزاوى	١٣٣٥ — ١٣٤٦
الشيخ محمد مصطفى المراغى	١٣٤٧ — ١٣٤٨
الشيخ محمد الظواهرى	١٣٤٨ — ١٣٥٦
الشيخ محمد مصطفى المراغى	١٣٥٦ —

ذلك الى أن مظاهر المادة قد غزت مظاهر الدين فطغت عليه دوزاحم التعليم المدنى التعليم الدينى ونافسه وسبقه شوطا بعيدا ، وخلت مناهجه من الدين الا من الاثر الذى لا يجدى ولا يثمر ، وكرت بعد ذلك كتائب الكتاب الالحاديين بالجدل الدينى الذى سخر بالعقائد الدينية ، ورجال الدين ، وكروا كذلك بالنظريات الاباحية التى تقرر بأن للانسان أن يستمتع باللذة المادية بأنواعها كما يستمتع العقل باللذة المعنوية ، ونازل هؤلاء وأولئك خصومهم الدينيين ، وتحدوهم بآرائهم الفلسفية ، وعرضوها بأساليب تقبلها العقول المريضة ـ كل ذلك أضعف من قوة العقيدة عند العامة ، وأثر فى قدسية العلماء ، وفى صبغة التعليم الدينى ، وقلل من أثره فى نفوس الجماهير ، وأشاع المجون والعبث بالآداب العامة وبرجال الدين

ولا ننكر شذوذ بعض العلماء فى حاضرنا عن ذلك الحكم وبروزهم فى الاجتماع بقوة شخصيتهم المثالية النادرة ، وظهورهم فى الحياة ظهورا مشرفا للعلم وكرامة العلماء ، ولكن ذلك ـ كما هو ظاهر ـ لا يؤثر فى القضية

ولهذا نستطيع أن نقرر آسفين أن الدين فى عهدنا الحاضر أصبح صورة لها الرسم وليس لها الحكم ، ولرجاله من الصورة ما كان للماضين ، ولكنهم فى المعنى غيرهم

أما الخيام فانها كخيامهم ... وأرى نساء الحى غير نسائها

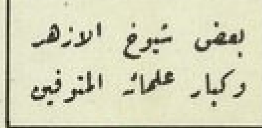
محمود أبو العيون

الشيخ سليم البشرى

الشيخ ابو الفضل الجيزاوى

الشيخ حسن الطويل

الشيخ محمد بخيت


بعض شيوخ الازهر وكبار علمائه المتوفين


الشيخ محمد شاكر


الشيخ محمد حسنين العدوى



درس دينى فى الجـامع الازهر

النّهضة الطبّيّة

بقلم الدكتور على ابراهيم باشا

مدير جامعة فؤاد الأول

من الممتع حقا للقارىء استعراض النهضة الطبية الصحية فى الخمسين سنة الاخيرة ومقارنتها فى مبدأ تلك الفترة بما هى عليها اليوم سواء — من وجهة الشعب نفسه — أو الامراض المنتشرة — أو تقدم النهضة العلمية الطبية — أو تعميم المشروعات الصحية فى البلاد

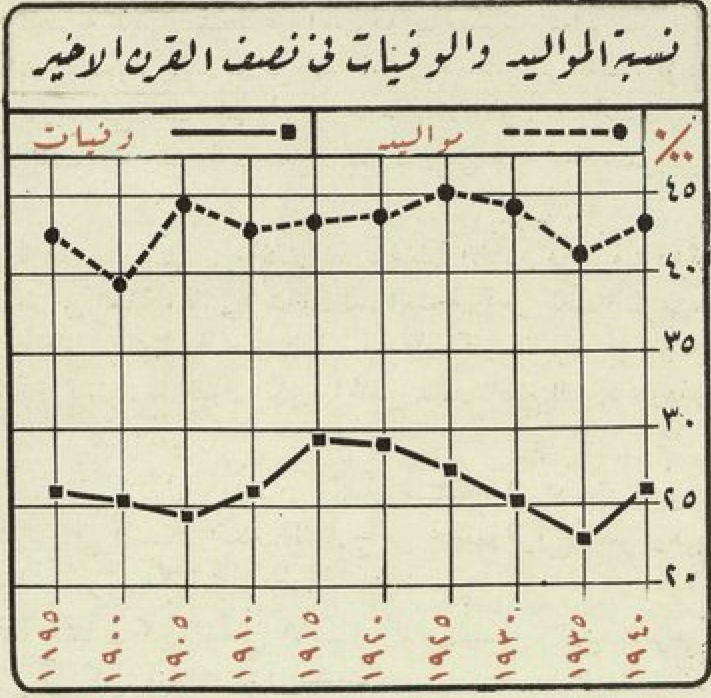
أما من وجهة الشعب فلم يكن لسواده فى مبدأ هذا العهد قابلية لاستساغة وسائل الطب الحديث أو الثقة به . وهذا راجع لعدم انتشار التعليم والاعتقاد فى العلاجات الخرافية وكثرة أدعياء الطب ومقاومة المرتزقة منهم لكل جديد قد يقطع عليهم سبل أرزاقهم ، فكانوا حربا على الاطباء سرا وعلانية مما جعل المهمة شاقة وعسيرة الأداء فى العيادات الخاصة أو المستشفيات العامة التى كان الداخل اليها فى عرف العامة مفقودا والخارج منها مولودا ! وكثيرا ما لجأ الاهالى تحت تأثير الجهل والخضوع لعلماء طب الركة الى استعمال الطرق العنيفة فى مقاومة الاطباء كحرق الخيام المضروبة حول بلدانهم لعزل المصابين بالامراض المعدية ، أو اخفاء مرضاهم ، وكمقابلة الطبيب عند أداء واجبه بعاصفة من السخرية وعدم الرضى ، أو رفض تعاطى الادوية . فالموقف كان معكوسا تماما . ولم يكن للطبيب نصيب من التقدير الا عند المثقفين ومقلديهم من الاغنياء ، وهؤلاء كانوا يلجأون فى أغلب الاحيان للاطباء الاجانب

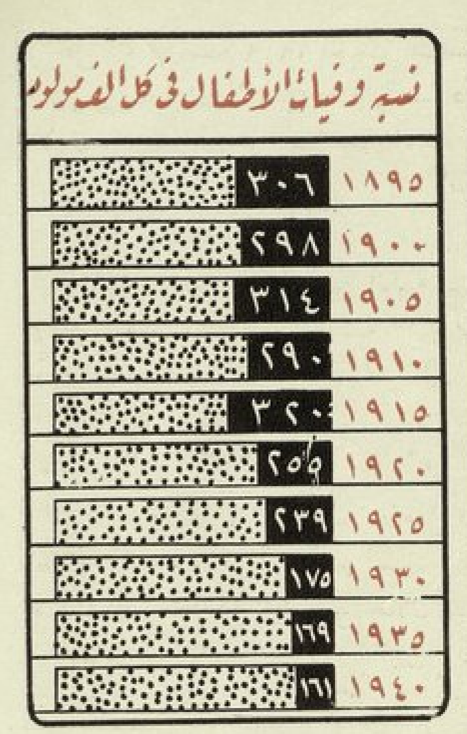
الأمراض المنتشرة

أما من جهة الامراض المنتشرة فقد كان الكثير منها مجهولا فى المحيط العلمى . ويحضر ذاكرتى بهذه المناسبة مؤتمر عقد تحت رئاسة المغفور له « عيسى حمدى باشا » رئيس الجمعية الطبية المختلطة سنة ١٩٠٧ بحضور كبار رجال الطب والجراحين لبحث أسباب ندرة التهابات الزائدة الدودية — كما أن كلوت بك ومن تبعه من أطباء القرن التاسع عشر بمصر أكدوا فى كتاباتهم عدم وجود الدرن بأنواعه فى البلاد . وكان

الحوتب : اله الطب

وقد اتخذته كلية الطب بجامعة فؤاد الأول شعاراً لها





السرطان كذلك مجهولا وجوده بمصر بينما اننا نصادف هذه الامراض فى الوقت الحاضر أكثر انتشارا مما مضى ، وربما كان ذلك لتقدم وسائل التشخيص الطبى فى العهد الحديث ، ولكن يرجح مع ذلك انه قد حدثت بالفعل زيادة فى انتشار تلك الامراض فى الوسط المصرى

أما الامراض المتوطنة كالبلهارسيا والانكلستوما والملاريا والدوسنطريا فنسبة انتشارها الآن هى كذلك أعلى بكثير منها فى آخر القرن الماضى وزيادتها راجعة لاستبدال طريقة الرى القديمة وهى رى الحياض بطريقة الرى الصيفى مع اهمال الصرف مما أدى الى ركود المياه فى الترع والمساقى ورطوبة الارض ونشوء المستنقعات حتى أصبحت هذه الامراض ومكافحتها مشكلة المشاكل ، لاصابة سواد الاهالى بها وتأثيرها المباشر على صحتهم وقدرتهم على آداء أعمالهم

وتبعا لزيادة الفقر وسوء التغذية وازدحام السكان فى منازل أو أماكن غير مستوفية الشروط الصحية وخاصة فى الريف المصرى ، فاننا نرى بالمقارنة أن الحالة الصحية صارت الآن أسوأ منها فى القرن الماضى

ومن المؤلم الاشارة الى ارتفاع نسبة الوفيات فى مصر عامة من ٢٣ فى الألف سنة ١٩٠٠ الى ٢٧ فى الألف سنة ١٩٤٠ وأن نسبة وفيات الاطفال آخذة فى الازدياد وليس فى الانخفاض أسوة بالممالك المتحضرة الاخرى

التعليم الطبى والنهضة الطبية

أما التعليم الطبى فقد مرت به مدة طويلة من الركود فى مبدأ الاحتلال فقل الاقبال على مدرسة الطب بالرغم من جميع التسهيلات كمنح المجانية وتشجيع المتخرجين حتى لم يزد عدد الطلبة فى سنة ١٨٩٦ على ١٢ طالبا فى جميع سنى الدراسة . وكان هذا الاحجام المخيف نتيجة تغيير أنظمة المدرسة واقفال باب البعثات التى استنها عاهل مصر المغفور له « محمد على باشا » واكتفاء المدرسة بتخريج أطباء موظفين لا أكثر ، فأفل نجم البحث العلمى الطبى مدة الى أن تبدلت الحال قليلا فى سنة ١٩٠٨ وبدأت الحكومة المصرية بارجاع المياه الى مجاريها ، فأوفدت بعض البعثات للخارج وأدخلت العنصر المصرى فى هيئة التدريس . على أن كل ذلك كان على نطاق ضيق فلم يصل الامر الى التأثير المطلوب فى تقدم الطب المصرى . واتفقت وزارة المعارف مع الحكومة الانكليزية على أن ترسل الاخيرة مندوبا عنها لحضور الامتحانات النهائية لكلية الطب تمهيدا للاعتراف بدبلوم الطب المصرية فى أحقية الدخول الى امتحانات التخصص الطبى بانكلترا . فساعدت هذه التطورات والعوامل المشجعة على الاقبال على دخول مدرسة الطب وارتفع عدد الملتحقين بها الى خمسين طالبا سنويا

على أنه فى سنة ١٩١٩ أسبغت النهضة المصرية طابعها النشيط على الطب فبدأت مسئولية التعليم تنتقل الى المصريين بخطوات لا بأس بها حتى سنة ١٩٢٥ اذ تحولت المدرسة فى عهد المغفور له ملك مصر العظيم «فؤاد الاول» رحمة الله عليه الى احدى الكليات الاربع التى قامت عليها أسس جامعة فؤاد الاول - وأنشئت بها الدراسات العالية للتخصص فى فروع الطب المختلفة ، وفتح الباب لتعليم البنت - وعنى عناية تامة بالتمريض والمولدات

وتضاعف عدد المقبولين من الكلية سنويا فبلغ مائة طالب . وأنشئت مدرسة طب الاسنان فى سنة ١٩٢٧ ونالت المعامل والمتاحف التعليمية أكبر قسط من العناية ، فأنشىء متحف لعلم الصحة وآخر للطب الشرعى ، وزاد عدد القطع بمتحف الامراض الى ٢٠ ألفا من مختلف بلدان العالم بعد أن كان لا يزيد على ثلاثة آلاف كلها من المصريين ، وذلك طبقا للاتفاق المعقود مع الدول الكبيرة الخاص بتبادل القطع النادرة ، وهذا نصر كبير لدراسة الامراض العالمية فى متحف كلية الطب

وفى سنة ١٩٢٩ بدأ العصر الذهبى لتعليم الطب بانتقال الادارة فى الكلية ومستشفاها الى الايدى المصرية بصفة نهائية ، وهذه سارت على سياسة التوسع فى ارسال البعثات للخارج فى مختلف فروع الطب وهى سياسة رشيدة أمكن بواسطتها احلال أساتذة مصريين أكفاء محل الاساتذة الاجانب

واقتضى التضخم السريع فى التعليم اقامة منشآت كبيرة لبعض الاقسام كعلم الصحة والطب الشرعى ومتحف علم الامراض الذى صار يضارع فى كثرة قطعه وندرة بعضها أحدث متاحف العالم التعليمية مع توسيع قاعات التشريح ، وبناء المدرجات الكبيرة ، ثم توسيع أبنية مستشفى قصر العينى وانشاء مستشفى فؤاد الاول الذى سيظل غرة فى جبين النهضة المصرية وتذكارا مجيدا للمجهودات الضخمة المبذولة بسخاء فى اقامته هو وملحقاته ، وقد افتتحه فى العام الماضى حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق حفظه الله

ولا بد من الاشارة الى أن مستشفى قصر العينى كان يتسع فى أول القرن العشرين لاربعمائة سرير لم يكن يملأ منها أكثر من نصفها لتشاؤم الاهالى من اسمه وفزعهم من دخوله . أما الآن فالارقام الآتية تبين مبلغ ما وصل اليه عدد الأسرة تبعا لحالة التعليم :

	عدد		عدد
مستشفى فؤاد الاول	١٣٥٠	مستشفى الاطفال	١٨٠
« قصر العينى	١٢١٠	« كتشنر	١٧٠



قصر العينى أقدم المستشفيات المصرية ، ومنه ومن كلية الطب الملحقة به انبعثت نهضة مصر الطبية الحديثة

ومع كثرة الأسرة فانها لا تحتمل الآن أكثر من خمس العدد المتدفق يوميا على الاقسام الداخلية التى يسير العلاج فيها على أحدث طرقه فى العالم ، وهذا لا يدل على مبلغ التحول الذى حدث فى التعليم الطبى فحسب ، بل كذلك على نضوج الشعب المصرى وتركه المعتقدات القديمة فى الخرافات وطب الركة وثقته الكبيرة فى العلاج الطبى الحقيقى

وزاد اقبال الشعب المصرى كذلك على الاطباء الخصوصيين فعمد الكثير من الطلاب الذين ضاقت كلية الطب عن قبولهم الى السفر للخارج لارتياد مناهل العلم فى انكلترا وفرنسا وألمانيا وسواها من الممالك الاوربية وعاد منهم المئات لمزاولة تلك المهنة الشريفة فى بلادهم

ومما سردنا يظهر جليا أن النهضة الطبية نالت أكبر قسط من التغذية والتشجيع نشأ عنها تخريج أطباء أكفاء انبثوا فى طول البلاد وعرضها وكتبوا صفحة جديدة فى تاريخ الطب الحديث . وقل عدد الاطباء الاجانب بسبب انقطاع الوارد منهم أثناء الحرب العظمى وازدياد الثقة بالاطباء المصريين

وقد بلغ عدد الاطباء فى مصر اليوم حوالى أربعة آلاف طبيب أى بنسبة طبيب واحد لكل أربعة آلاف وخمسمائة نفس وهى نتيجة لا بأس بها اذا قيست بآخر القرن الماضى ولو انها لم تصل بعد الى مثل ما وصلت اليه فى الممالك الاوربية أو أمريكا التي بلغ في بعضها أقصى ما يخص الطبيب المعالج ٧٢٠ نفسا فقط

المشروعات الصحية والطب العلاجى

أما المشروعات الصحية فى مصر فكانت تقوم بها مصلحة الصحة التى انحصرت دائرة أهم أعمالها منذ خمسين سنة فى مكافحة الأوبئة وفى الاعمال الادارية فى المكاتب الصحية

وأما الطب العلاجى والصحة الاجتماعية فلم يكتب لهما نصيب من العناية حتى سنة ١٩٢١ اذ شرعت الحكومة فى تعميم المستشفيات فى جميع عواصم المديريات كما أنشأت مستشفيات مركزية وقروية أو وحدات متنقلة ، وأنشأت أقساما لرعاية الطفل ومكافحة الدرن والجذام والملاريا والدعاية الصحية

وأنشأت كذلك معامل بكتريولوجية وكيماوية فى العواصم بجانب هذه المؤسسات واشتركت مجالس المديريات والمجالس المحلية فى نشر الدعاية الصحية وبناء عدد كبير منها وزاد انشاء المشاريع لتغذية الاهالى بالمياه الصالحة للشرب وردم البرك والمستنقعات

خريجو كلية الطب فى ٥٠ سنة

العدد	فى كل خمس سنوات
٠٩٩	١٨٩٢ — ١٨٩٧
٣٤	١٨٩٧ — ١٩٠٢
٦٥	١٩٠٢ — ١٩٠٧
٨٧	١٩٠٧ — ١٩١٢
١٢٠	١٩١٢ — ١٩١٧
١٥٨	١٩١٧ — ١٩٢٢
١٦٥	١٩٢٢ — ١٩٢٧
٣١٠	١٩٢٧ — ١٩٣٢
٤٨٣	١٩٣٢ — ١٩٣٧
٧٧٥	١٩٣٧ — ١٩٤٢



ثمانى رؤوس من أجناس مختلفة وهى من محتويات متاحف « قصر العينى » التى تعد من أثمن المتاحف العالمية . الصف الأعلى من اليمين : أسود من كينيا ، استرالى ، من الملايو ، صينى . الصف الأسفل : افريقى ، عربى ، هندى ، روسى



مستشفى فؤاد الأول بالقاهرة . وهو أكبر مستشفيات العاصمة المصرية وأحدثها ، ويعد من أكبر المؤسسات الطبية فى العالم



عيسى حمدى باشا

وقد ساهمت أكثر الجمعيات الخيرية فى بناء المستشفيات على أحدث النظم فى المدن الكبيرة واقامة العيادات الخارجية فى كثير من البلاد الصغيرة ، ولم يقصر بعض الاغنياء فى واجبهم نحو هذه النهضة الحديثة . وقامت جمعيات الاسعاف المنبثة فروعها فى كثير من البلاد باغاثة المصابين ونقلهم الى حيث يعالجون

ومع كثرة هذه المؤسسات والمنشآت فلا يزال أولو الامر والامة جادين فى الاكثار منها لسد حاجة البلاد وساكنيها



سالم سالم باشا

وقد عمت هذه النهضة أيضا حياة الاطباء الاجتماعية والعلمية ، فبعد أن كانت جمعية الاطباء المختلطة هى الهيئة الوحيدة التى تمثل الاطباء فى أول القرن العشرين ، نشطت الهيئات الطبية الى تكوين جمعيات تحت اشراف الجمعية الطبية الملكية لتمثيلها ولبحث الموضوعات الطبية بالمحاضرات والمناقشات التى لا تنقطع واقامة المؤتمرات السنوية فى مصر وغيرها من البلاد الشقيقة

وأدت هذه النهضة أيضا الى تأسيس نقابة للاطباء فى هذا العام كهيئة قانونية لها حق الرعاية التامة على الطب ورجاله والشعب وحقوقه عليهم وتأسيس علاقة وطيدة بين الاثنين

وفى هذا العام تفضل حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك الفاروق حفظه الله بالامر بانشاء جامعة فاروق الاول بالاسكندرية وستضم كلية جديدة للطب بما يتبعها من المنشآت ولا شك أن هذه المنة الكريمة ستخطو بالطب الى درجة الكمال وتخفف من آلام الشعب الذى لا تغفو عين المليك عن الاخذ بناصره

على ابراهيم



محمد درى باشا

بعض أعلام الطب فى نصف القرن الاخير



محمد طلعت باشا



عثمان غالب باشا



محمد شكرى باشا

التّطوّر الخلقى

بقلم الدكتور منصور فهمى بك

المدير العام لدار الكتب المصرية

تحديد الخلق

قبل أن نتحدث فى تطور الخلق يحسن أن نحدده بنوع من الحدود . فما يراه بعض الناس خلقا محمودا لا يراه البعض الآخر فى منزلة الكرامة والحمد التى ينزله فيها الاولون ، وما يبدو خيرا فى زمان أو مكان ما قد يعتبر شرا فى غير ذلك الزمان أو ذاك المكان . ولهذا اختلفت قيم المسالك وأقدارها وتعددت فى الشعوب والطبقات والاجيال موازينها ومقاييسها .

على انه مهما يكن من اختلاف فى تقدير الاخلاق ، فان للدين والعرف والتقاليد أظهر الاثر فى الحكم عليها ، ومهما يكن من اختلاف وجهات النظر فى الشؤون الدينية فان فيها دعامة للحياة البشرية

لم تقف مصر فى مدى الخمسين عاما الاخيرة من مدنية الغرب وثقافته وتعاليمه موقف المتفرج الجامد على تطور مظاهر العمران التى تتشكل بها مدنية الغربيين ، أقبلت على بعضها وأوسعت له فى القبول ، وكان ذلك على حساب بعض العادات والتقاليد والاخلاق الاصلية فى المجتمع المصرى

تحررت المرأة من كثير من القيود ، وطابت للناس عامة معانى الحرية الفضفاضة فى نواحى التفكير وأنظمة الحكم وتغلغلت فى الحياة الاقتصادية آثار التواصل الدولى ونتائج الكشوف العلمية والصناعية ، وطابت فى مصر معانى الفن والجمال لكثير من الناس على نحو ما تطيب به للغربيين

وعلى الجملة ، أصبحت موازين الغرب ومقاييسه تطبق على سلوك الناس فى مصر وعلى ما يتخذونه من الاتجاهات الاجتماعية ، ولذلك تسللت الى النفوس أخلاق جديدة وانسلت عنها أخرى كان لها بحكم الدين والعرف سلطان قاهر . ولنضرب لذلك بعض الامثال :

الغيرة

فخلق الغيرة وحصانة الاعراض كان أصلا من أصول الاخلاق المرعية فى أكثر الاوساط ، فكان لا يباح للنساء شيء من السفور أو غشيان مجالس الرجال . ومع تطور الزمن وتطور أحوال المرأة اضمحل هذا الخلق حتى أبيح لها السفور المطلق والاختلاط بغير أهلها وذوى محارمها ، وكذلك أصبحت نزعات الغيرة مذمومة لا يرغب فيها الكثيرون . ولم يكن ذلك الا طوعا لتطور المدارك فى تقدير الحريات والاقتداء بالغربيين فى فهم معانيها



تلميذات المدرسة السنية منذ ثلاثين سنة بالبرقع والحبرة

التكبر والتواضع

ولربما وجدنا فيما مضى خلق التكبر والتعالى بارزا فى بعض الطبقات وخلق الاستكانة والاستضعاف ظاهرا فى البعض الآخر

وكذلك كان فى أساليب الحكم وفى التباعد فيما بين الطبقات ما يمت لهذين الخلقين بسبب ، فلما اتصلت الديموقراطية بأساليب الحكم فى الزمن الاخير ، أخذت تتغير تلك الاخلاق وتتبدل ، فتسربت نزعات التواضع الى الطبقات العليا وترعرعت نزعات الاعتداد بالنفس فى طبقات أخرى تلبية لما يشيع من معانى الديموقراطية فى تقدير الانسان لحقه من الكرامة والمساواة

القناعة

وبينما كان خلق القناعة متغلغلا فى النفوس لبساطة العيش فى الزمن الغابر اذ سرت الآن بين الكثيرين نزعات جديدة من الطموح والمكافحة تلبية لروح العصر وتأثرا بالتطور الاجتماعى وما اليه من ازدياد السكان وتسلط الحياة الآلية وتنوع المظاهر الصناعية وما يتبعها من ضروب الرفاهية مما دعا بدوره الى أخلاق أخرى « كالاثرة ، والحذر » وما يلتئم مع هذه الاخلاق من نزعات ومسالك

أثر الفنون

ولم تكن متع الغربيين ولذائذهم بمعزل عن التأثير فى تطورنا الخلقى ، فلقد دخلت الى مصر ألوان من الفنون الغربية ، فاستهوت الافئدة ، وجر ذلك الى أنواع من الميول والشهوات منها الرفيع ومنها الوضيع ، ووجدت تلك الميول فيما ساد من معانى الحريات ملاذا أدى أحيانا الى الاستهتار ، وأحيانا الى ضعف المروءة



أصبحت تلميذاتنا سافرات ، يمارسن الرياضة ولا يرين حرجاً فى الاختلاط بالرجال

التراحم

وكان يغشو فيما مضى خلق التراحم والشفقة بقوة من دوافع الدين ، حيث كان التضامن الاجتماعى قائما على النزعات النفسية والعقيدة الراسخة . أما وقد أخذ المصريون – تمشيا مع الروح الاجتماعية الحديثة – يشرعون لهذا التضامن نظما من جمعيات البر والاحسان بتشكيلاتها وقوانينها فقد هانت وضعفت نزعات التراحم الفردى لحساب التضامن الاجتماعى على صوره الحديثة

الجود والكرم

وكذلك أثرت الحياة المدنية وأساليب التحضر فى اضعاف الكرم والسماحة مسايرة لتطورات المدن حيث انتشرت الفنادق والمطاعم وأنشئت الملاجىء

ومن هذه الامثلة اليسيرة التى أجملناها وتلك النظرة العاجلة يتضح ان الاخلاق تحولت بتحول الحياة الاجتماعية والفكرية وكان للاتصال بمدنية الغرب أكبر أثر فى هذا التحول

منابع الخلق العصرى

وربما كان مصدر أقوى التيارات النفسية والاجتماعية التى أثرت فى حضارة الغرب

– ومن ثم فى أخلاقنا – راجعا الى تهوين سلطان الدين لحساب سلطان العلم والدنيا – وتسويد روح الكفاح والتغلب على روح الود والسلام والتوسع فى معانى الحرية ، والاقبال على متع الحياة الدنيا . وليس من شك أن البلاد التى أوسعت القبول لحضارة الغربيين قد تأثرت بمختلف تياراتهم الخلقية ونزعاتهم النفسية

أتقدم أم تأخر ؟

وهنا يصح أن نتساءل هل يعد التطور فى أخلاق المصريين تقدما أم تأخرا ؟ والجواب على ذلك يختلف باختلاف فلسفة المرء وعقيدته وما يتخذه مثلا عاليا يحتذى فى الاخلاق

فاذا كان فى الدين المثل الاعلى ، فاننا نحكم بالتأخر الخلقى . أما اذا جارينا الغربيين فى تقديرهم للمحسوس والواقع نحكم لمصر بالتقدم الخلقى

وعلى كل حال فان الحياة الاجتماعية الماضية قد جرت الناس الى ما يتفق مع وحيها وظروفها فلم يكن مسلكهم غير متناسق مع دواعى عصرهم وحاجاته . والامر كذلك فى أخلاق المعاصرين ، فهى متفقة مع ثقافتهم وزمانهم

التوجيه الروحى

ومهما يكن من اختلاف العقول والافهام فى تقدير قيم الظواهر الاجتماعية فمن الثابت عند علماء الاجتماع والاخلاق أن للدين فى جوهره ومظهره السليم قيمة كبرى فى رباط الجماعة وسلامتها وصلاحها وله أثمن تقدير فى ميزان السلوك . فاذا نظرنا الى الامور من هذه الناحية فقد لا نسرف فى الاغتباط بتطورنا الخلقى من جميع نواحيه انما يكون اغتباطنا أتم وأعظم وتفاؤلنا أكبر وأسلم اذا تهيأت للروح الدينية فى هذا العصر منزلتها الرفيعة بين الناشئين بجانب ما تلقى الحضارة العلمية والمادية عندهم من المكانة والقبول . وحينئذ يساير التقدم المادى موجات الروح وما تقتضيه من نقاء فى السيرة والسلوك . ولعل الحرب الحاضرة تنتهى بالناس الى هذه الغاية السامية

منصور فهمى



الشيخ محمد عبده

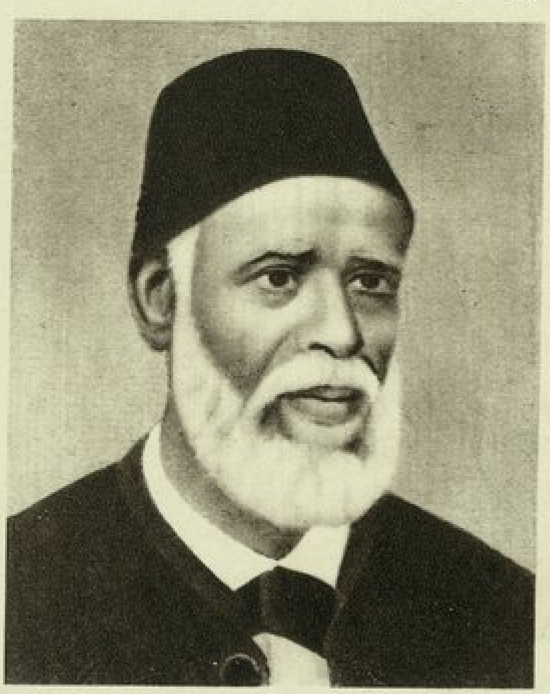
التربية والتعليم

بقلم الأستاذ محمد بك رفعت

لما عصفت بالبلاد الكارثة المالية فى أواخر عهد الخديو اسماعيل ، وترتب على ذلك تدخل الدول الاوربية صاحبات الديون وفى مقدمتها انجلترا وفرنسا فى شؤون البلاد ، غاض معين المال الذى كان ينفق عن سعة على المنشئات الحديثة التى ترعرعت فى عهد اسماعيل ، ويبس ما كان قد ازدهر منها وبشر بأحسن الثمرات

وكان نصيب التعليم من جراء سياسة الاقتصاد وضغط النفقات عظيما ، اذ اختصرت ميزانية التعليم الى ٢٠٠٠٠ جنيه بعد أن كان مخصصا لها فى ابان عهد اسماعيل ٧٥٠٠٠ جنيه ، ثم ما لبثت البلاد أن انحدرت من الكارثة المالية الى الكارثة السياسية فكبت فى ثورتها العرابية وفرض عليها الاحتلال الاجنبى ودخلت البلاد فى طور خطير من الانتكاس الادبى الذى يصيب الأمم التى تنهض وتثور ثم تتعثر فى طريقها فتبوء بالفشل والخسران . وفى هذا الطور من الانتكاس تنساق الأمم المريضة الى مداراة خيبتها بالانكباب على الماديات والجرى وراء المنافع الشخصية تاركة فى زوايا الاهمال أو النسيان أهدافها السياسية والادبية ، وتظل هكذا ردحا من الزمن حتى اذا سعد حظها واثمرت جهودها فى ميادين الزراعة أو التجارة أو الصناعة ، أخذت تدب فيها الروح المعنوية من جديد ويكون الزمن قد عالج بيده الرحيمة أسقام الماضى فينشأ الجيل الجديد تحدوه الرغبة لا فى مسح وصمة العار فحسب ، بل فى الوثوب الى الذروة التى لم تتطاول اليها أعناق السالفين

وهذا عين ما أصاب البلاد على أثر اخماد الثورة فى سنة ١٨٨٢ ، وقد أحس الانجليز فى أول الامر انهم فى قلق مستمر ، ومركز غير مستقر ، لانهم لم يدخلوا البلاد فاتحين حتى يستطيعوا اعلان حمايتهم عليها أو ضمها الى ممتلكاتهم ، وكل ما هنالك انهم جاءوا كأصدقاء للسلطان وللخديو لاخماد ثورة العرابيين وتوطيد قوائم العرش والنظام بها . وعلى هذا الاساس وضع الانجليز سياستهم فكان من اللازم لاستقرار النظام أن تبدأ الدولة فى تنفيذ الاصلاحات التى يتوقف عليها عمران البلاد واستتباب الأمن بها ، فاهتمت باصلاح الجيش والبوليس والقضاء وانشاء المحاكم الاهلية ، ثم وجهت عناية خاصة الى أعمال الرى الكبرى والصحة العمومية . أما التعليم فكان الضحية وكأنه كبش الفداء ، وكان « سندرلا » الادارة المصرية و « سندرلا » فى الاساطير هى الاخت المظلومة التى تكد وتشقى لتسعد أخواتها . وقد بلغ من اهمال شأن التعليم أن ظن الناس أن هناك خطة مرسومة يراد بها حجب النور عن أعين المصريين وقفل أبواب المعرفة أمامهم حتى لا تتفتح أذهانهم الى الحرية السياسية والمطالبة بالاستقلال . ولو كان التعليم شيئا يصطنع أو



أبو التعليم : على باشا مبارك

واليه يرجع الفضل فى وضع أسس التعليم الحديث فى مصر وتنظيم شؤونه



طلبة السنة الرابعة بمدرسة الحقوق سنة ١٨٩٣ يتوسطهم لطفى السيد باشا وعن يمينه محمد زكى بك وتوفيق نسيم باشا ، وعن يساره محمد بيومى بك ومحمد عبد الهادى الجندى بك. وخلفهم اسماعيل الحكيم بك ، توفيق حق بك ، بيومى محمد بك ، اسماعيل صدقى باشا ، محمد فهمى بك ، محمود الطوير بك

يعطى لصدقنا هذا الظن ، أما والتعليم نور قدسى يفيض من بين صفحات الكتب ومن أفواه الناس كما يفيض من بين جدران المدارس والجامعات ، فان دولة مهما أوتيت من القوة والجبروت وحب الاستعمار لا تستطيع أن تطفئه أو تحد نوره الا الى حين

أما الحقيقة فان الانجليز اضطروا فى سبيل انقاذ مالية البلاد أن يقتصدوا فى نفقات التعليم بقدر المستطاع فألغوا معظم المدارس الخصوصية ، وأوقفوا حركة انشاء المدارس الابتدائية ، وأبطلوا المجانية فى التعليم . فلما تحسنت الحالة المالية وزادت ايرادات الدولة بدأوا ينفقون على التعليم الاولى والتعليم الصناعى وهما أهم ما اتجهت اليه سياسة الحكومة فى ذلك الوقت

وكان من رأى المسئولين أن البون بين الطبقات الفقيرة وبين الطبقات المثرية المتعلمة عظيم جدا وأن شيئا من التقارب والتوازن بين هذه الطبقات يجب أن يوجد بتعليم الطبقات الفقيرة . أما التوسع فى التعليم العالى فكان من شأنه فى رأى المسئولين أن يوسع الهوة بين الطبقات وأن يؤدى فى النهاية الى البطالة والاضطراب الاجتماعى اذا ما زاد طلابه على حاجة البلاد ، وكانت حاجة الحكومة الى الوظائف لا حاجة البلاد الى الاصلاح هى مقياس التوسع أو التضييق فى التعليم . ومن هنا نشأت فكرة الامتحانات الحديثة والشهادات العامة واشتراط الحصول عليها للدخول فى الوظائف أو الانتقال الى المدارس الراقية فعقد امتحان الشهادة الثانوية لاول مرة سنة ١٨٨٧ وفى سنة ١٨٩١ صدرت لائحة امتحان شهادة الدراسة الابتدائية وبدأ الجمهور يعرف قدر التعليم ويعطيه قيمه النسبية فجعل الشهادة غاية الغايات والتعليم وسيلة للوصول الى هذه الغاية وفيها مفتاح السر الذى يفتح للحاصل عليها ما أغلق أمامه من الابواب وييسر ما استعصى عليه من الوظائف والاعمال ، ولا تزال هذه الفكرة سائدة للآن

ثم تطورت الامور وصحت الأمة من الغفوة التى أصابتها عقب صدمة الاحتلال ، فتنبهت الى حقها فى تبوء مكانها اللائق فى العلم والسياسة فتكونت الجمعيات الخيرية ، وفتحت المدارس الاهلية ، وتألفت مجالس المديريات فى سنة ١٩٠٩ وأخذت تتنافس فى نشر التعليم بين طبقات الشعب وفى انشاء المدارس الاولية ومدارس المعلمين والمعلمات والمدارس الصناعية ، ثم توجت هذه الحركة بانشاء نواة الجامعة المصرية الحديثة سنة ١٩٠٨ فجاء اليها فطاحل الاساتذة من مختلف البلدان ينشرون العلم ويبذرون بذور النهضة الادبية والعلمية بين الناس ، حتى اذا تحققت أمانى البلاد باعلان الاستقلال والدستور احتضنت الحكومة الجامعة فأينعت كلياتها وازدهرت وحباها فؤاد كما حبا التعليم كله من فضله جاها ونعمة كبرى لا تنسى على مر الزمن

ووافقت هذه النهضة فى بدايتها وجود وزير نابغة على رأس المعارف هو سعد زغلول فنحا بالتعليم منحى جديدا ، اذ أعاد اللغة العربية الى سابق مكانتها فجعلها لغة التعليم بالمدارس الابتدائية والثانوية بعد أن تعطل التعليم بها حقبة من الزمن ايثارا للغة المحتلين ، وأنشأ مدرسة جديدة فذة فى تكوينها لتخريج القضاة الشرعيين كما أعاد للبعثات الاوربية شأنها الاول فأكثر من ايفاد الشبان المصريين الى الجامعات الاوربية فلما عادوا كانوا من أهم العناصر التى رفعت لواء النهضة العلمية والوطنية بزعامة سعد العظيم



بعض أطفال الكتاتيب منذ ٣٠ سنة مجتمعين حول «الفقيه» يلقنهم مبادىء القراءة والكتابة والقرآن الكريم



إحدى فرق رياض الأطفال التى انشئت فى السنين الأخيرة وهم يتمرنون على درس عملى فى فلاحة البساتين

ولا يتسع مجال القول هنا للاحاطة بمناحى تطور التعليم فى الخمسين السنة الاخيرة ، وانما نكتفى بجانب من ذلك التطور فى المسائل الآتية :

١ ـ التلميذ والمدرسة :

كان التلاميذ يؤخذون الى المدارس الجديدة التى أنشأها محمد على واسماعيل كما يقترع الانفار للجيش ، فكانت الحكومة ملزمة بتعليمهم وكسوتهم وغذائهم وسكنهم بالمدارس ، وكانت تعطيهم فوق ذلك مرتبات شهرية لمصروفاتهم النثرية حتى استنفدت نفقات التلاميذ بالمدارس معظم ميزانية التعليم فى ذلك الوقت . وكانت علاقة التلاميذ بمدارسهم مجرد علاقات فردية ليس لأسرة التلميذ فيها أو لولى أمره أقل حساب أو اعتبار ، ولذلك فقد التعليم الحديث فى مصر فى أول أمره تلك الصلة الثمينة التى تربط الأسرة بالمدرسة وتجعل المدرسة بناظرها وأساتذتها قبلة أنظار الأسر ومحط رجائها

ولما رأت الحكومة اقبال الاهالى على التعليم وتعذر نشره بالطريقة القديمة القاضية بجعله مجانا وداخليا للجميع قررت ان تفسح المجال للتلاميذ الخارجية وان تقوى الصلة بين المدرسة والبيت بمطالبة الاهالى القادرين بدفع مصروفات تقدر بحسب حالة أولياء الامور . ومن ثم أخذ عدد الطلاب الخارجية يزداد فى جميع المدارس ، وبدأت الروابط تنمو بين المدرسة والأسرة مما أثار اهتمام الاهالى بالتعليم وجعلهم يشعرون بنصيبهم وتبعتهم ازاء تربية أبنائهم وتعليمهم ، وأصبح من الميسور توسيع المدارس وزيادة عددها بعد أن كانت المدارس الداخلية تكلف الحكومة أموالا طائلة فى اعدادها وتأثيثها وصيانتها . ولما كانت العناية بصحة التلاميذ من أهم أغراض التربية فى نظر الحكومة ، قررت أن يكون غذاء الظهر للتلاميذ اجباريا فى معظم مدارسها الحديثة بعد أن كان اختياريا . وها هى وزارة المعارف الآن تولى موضوع صحة الأطفال بالمدارس الاولية وتغذيتهم اهتماما خاصا لا يقل عن اهتمامها بتعليمهم

٢ ـ المستوى العام للتعليم :

أما المستوى العام للتعليم فكان فى العهد الماضى مرضيا بوجه عام بالمدارس الحربية . أما فى غير هذه المدارس فكان متوسطا أو أقل ، ولم يكن ينتظر أن يرتفع المستوى الى أكثر من ذلك فقد كان الطلاب يوزعون على المدارس العليا أو الخصوصية بالقرعة من غير تدقيق فى اختيارهم أو فى تعرف استعدادهم ، وطبيعى انه اذا كان استعداد الطالب ضعيفا فى مادة تخصصه ، فان هذا الضعف لا بد أن يلازمه فى اثناء الدراسة وينتقل معه من المدرسة الى ميدان العمل متى انتهت دراسته

أضف الى ذلك ان نظام الامتحانات العامة والشهادات الدراسية لم يكن معروفا اذ ذاك ، بل كان المعول على اختبارات صورية شفهية تجريها لجنة تعينها الوزارة لزيارة المدارس وتوزيع الجوائز على الطلاب الفائزين فى حفلات رسمية يحضرها الخديو بنفسه أحيانا وتصحبها الموسيقى العسكرية دائما



مؤسسو الجامعة
فى سنة ١٩٠٨ تألفت لجنة برئاسة الأمير احمد فؤاد باشا (المغفور له الملك فؤاد الأول) لانشاء جامعة مصرية . وكان سكرتيرها قاسم أمين بك ، ومن أعضائها رشدى باشا وثروت باشا ويعقوب أرتين باشا وغيرهم

ولا ننسى أن معظم المدرسين كانوا من الازهريين الذين حضروا العلم فى الازهر فى عهد تدهوره . وسواء أكان المدرسون من الازهر أو من الذين أتموا دراستهم فى المدارس الحديثة أو عادوا من الخارج ، فقد كانوا فى حالة معنوية يرثى لها بسبب قلة مرتباتهم ، اذ كان أحسن المدرسين بالمدارس الثانوية يتقاضى مرتبا لا يزيد عن سبعة جنيهات ونصف جنيه فى الشهر . اما الازهريون فلم تكن مرتباتهم تزيد على جنيهين ، لذلك لم يكن ينتظر من هؤلاء مهما أوتوا من العلم – ولم يؤت أكثرهم من العلم الا قليلا – أن يقبلوا على عملهم بروح الطمأنينة أو يتفرغوا لدروسهم وبحوثهم

ولا شك فى أن المستوى العام للمدرسين وللتعليم قد ارتقى بانشاء دار العلوم فى سنة ١٨٧٣ ثم بانشاء مدرسة المعلمين العليا سنة ١٨٨٠ وأخيرا باعادة ارسال البعثات العلمية الى الكليات والجامعات الاوربية للتخصص فى مختلف المواد العلمية والعملية وبانشاء معاهد المعلمين والمعلمات

وقد فطنت الحكومة الى ضرورة مساواة المدرس الفنى بزملائه فى المصالح الاخرى من حيث المرتب والترقى فجعلت المرتب الادنى للمدرس الازهرى اربعة جنيهات ثم جاءت حركة الكادر العام سنة ١٩٢٢ فساوت نوعا بين مرتبات المدرسين وغيرهم من الفئات الاخرى . ولا تزال أمام وزارة المعارف مشكلة اعداد المدرس الاولى ورفع مستواه العلمى والمادى

٣ – تعليم البنات :

ومن أهم معالم التطور الحديث فى التربية فى مصر الاعتراف بحق الفتاة المصرية فى التعليم . ولم تكن الى ذلك الوقت قد أخذت مكانها فى مشروعات التعليم أو قوانينه التى صدرت منذ عهد محمد على اللهم الا فيما يخص العدد اليسير الذى كان يقبل منهن فى كل سنة بمدرسة الولادة الملحقة بمدرسة الطب . ولا نشك مطلقا فى أن كلا من محمد على واسماعيل كان يرحب ايما ترحيب باقرار مبدأ تعليم البنت لولا حكم التقاليد والبيئة واحتمال تعرض الحكومة لاعتراض العناصر المحافظة بدرجة يخشى معها أن ينهار صرح المدارس الحديثة التى أنشئت لتعليم الاولاد ، لذلك أغفلوا تعليم البنت مؤقتا حتى ينتشر التعليم بين الشبان وحينئذ تتشبع النفوس بالآراء الحديثة وتستعد البلاد لقبول مبدأ تعليم البنت

ولما رأى اسماعيل ما أوجدته الجاليات والارساليات الدينية بمصر من مدارس للبنات أخذت تجتذب اليها بنات المصريين سواء من الاسر المسيحية أو المسلمة سارع الخديو يفتح جديد فى الشرق الاسلامى اذ لم يسبق أن فتحت مدرسة اسلامية للبنات فى بيئة شرقية قبل عهد اسماعيل وأشار بانشاء مدرسة حديثة للبنات فى حى السيوفية وهى المعروفة الآن بالسنية وكان ذلك بمناسبة أفراح زواج الانجال الامراء توفيق وحسين وحسن فى سنة ١٨٧٣

وقد أقبل الاهالى على ارسال بناتهم الى هذه المدرسة اقبالا عظيما شجع الحكومة على فتح قسم للمعلمات السنية ، وفتحت مدارس للبنات فى الاقاليم وزاد عددها بالقاهرة ، ثم تنوعت بحسب حاجات البنت فأنشئت



الجامعة المصرية بعد أن أصبحت جامعة رسمية باسم « جامعة فؤاد الأول » اعترافاً بفضل الملك فؤاد وتخليداً لذكره

مدارس للمعلمات الاولية ومدارس ثانوية على نسق مدارس البنين ومدارس للفنون الطرزية وأخرى للثقافة النسوية كرياض الاطفال والموسيقى والتدبير والرسم هذا عدا المعهد العالى لتخريج المعلمات

٤ ـ ثنائية التعليم :

ومع اعترافنا بأن الاصلاحات التى تمت قبل الاحتلال وبعده قد لمست لاول مرة موضع الداء فى التعليم وذلك باصلاح التعليم الاولى واخضاعه لرقابة حكومية لم يكن لها أثر من قبل فان المشكلة الكبرى للتعليم القومى فى مصر بقيت على حالها وهى وجود نوعين من المدارس لكل منهما صبغة وخطة وغرض : النوع الاول وهو المكاتب القديمة ذات الصبغة الدينية التى تعنى أولا وأخيرا بحفظ القرآن الكريم ويقوم بالتدريس فيها المعلم الاولى الذى حفظ القرآن أو حضر بعض الدروس الدينية والعربية والحديثة ، والنوع الثانى وهو المدارس الحديثة . وخطة الدراسة فيها تختلف اختلافا أساسيا عنها فى مدارس النوع الاول اذ يدرس الى جانب القرآن والدين مقررات فى الرياضة والتاريخ والجغرافيا ومبادىء العلوم والرسم واحدى اللغات الاجنبية على الاقل . ويقوم بالتدريس فيها مدرسون معظمهم ان لم يكونوا كلهم قد تخصصوا فى دار العلوم أو مدرسة المعلمين العليا أو معاهد التربية أو الجامعة . وطريقتهم فى التدريس لا تعتمد على الذاكرة اعتمادا كليا بل لعل فيها ما يفسح المجال أمام التلاميذ للمشاهدة والملاحظة والتجربة واعمال الفكر

ولا تزال هذه الثنائية فى التعليم قائمة الى الآن .

وعلى الرغم من التطور الذى صادفته البلاد فى جميع مرافقها ، فانها لم تصل بعد فى نظام تعليم أبنائها وبناتها الى خطة أساسية واحدة تمحى معها هذه الفروق فتلغى المكاتب الاولية وتقوم على أنقاضها مدارس جديدة تتفق وروح التربية الحديثة وحاجات البيئة ، وتصلح أن تكون أساسا لتعليم أولى أو ابتدائى واحد يتربى على نهجه أبناء وبنات الوطن الواحد جنبا الى جنب بدون تمييز بين الطبقات

محمد رفعت

حالة التعليم فى مصر فى نصف القرن الأخير

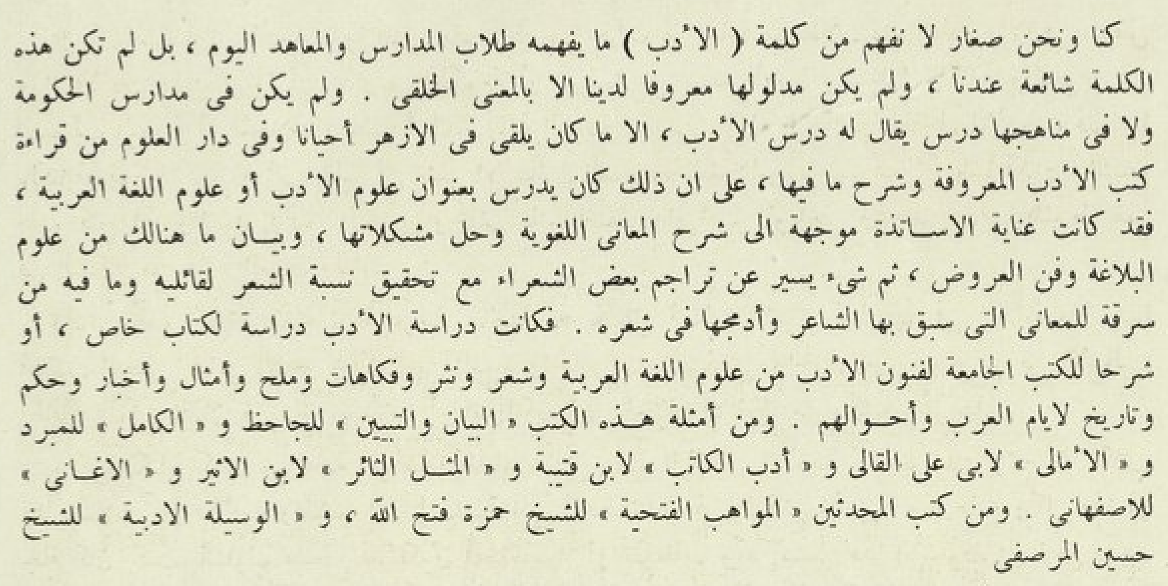
سنة	المدارس	التلاميذ	التلميذات
١٨٩٢	٤ر٨٠٠	٢٣٠ر٠٠٠	٤ر٧٠٠
١٩٠٢	٨ر٧٠٠	٤٢٠ر٠٠٠	٦٩ر٢٠٠
١٩١٢	٩ر٠٠٠	٤٥٩ر٠٠٠	٨٠ر٠٠٠
١٩٢٢	٧ر٥٠٠	٥٢٠ر٠٠٠	١٢٥ر٠٠٠
١٩٣٢	٨ر٥٠٠	٨٥٠ر٠٠٠	٤٥٠ر٠٠٠
١٩٤٢	٨ر٦٠٠	٩٤٠ر٠٠٠	٦٦٠ر٠٠٠

الأدب وأطواره

بقلم الدكتور أحمد بك ضيف

الأستاذ بجامعة فؤاد الأول


محمود سامي البارودي



كنا ونحن صغار لا نفهم من كلمة (الأدب) ما يفهمه طلاب المدارس والمعاهد اليوم ، بل لم تكن هذه الكلمة شائعة عندنا ، ولم يكن مدلولها معروفا لدينا الا بالمعنى الخلقى . ولم يكن فى مدارس الحكومة ولا فى مناهجها درس يقال له درس الأدب ، الا ما كان يلقى فى الازهر أحيانا وفى دار العلوم من قراءة كتب الأدب المعروفة وشرح ما فيها ، على ان ذلك كان يدرس بعنوان علوم الأدب أو علوم اللغة العربية ، فقد كانت عناية الاساتذة موجهة الى شرح المعانى اللغوية وحل مشكلاتها ، وبيان ما هنالك من علوم البلاغة وفن العروض ، ثم شىء يسير عن تراجم بعض الشعراء مع تحقيق نسبة الشعر لقائليه وما فيه من سرقة للمعانى التى سبق بها الشاعر وأدمجها فى شعره . فكانت دراسة الأدب دراسة لكتاب خاص ، أو شرحا للكتب الجامعة لفنون الأدب من علوم اللغة العربية وشعر ونثر وفكاهات وملح وأمثال وأخبار وحكم وتاريخ لايام العرب وأحوالهم . ومن أمثلة هذه الكتب « البيان والتبيين » للجاحظ و « الكامل » للمبرد و « الأمالى » لابى على القالى و « أدب الكاتب » لابن قتيبة و « المثل السائر » لابن الاثير و « الاغانى » للاصفهانى . ومن كتب المحدثين « المواهب الفتحية » للشيخ حمزة فتح الله ، و « الوسيلة الادبية » للشيخ حسين المرصفى


حفني ناصف

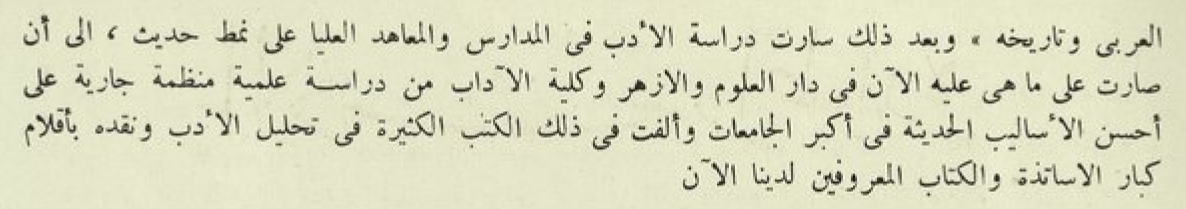
واستمرت الحال على ذلك الى ما قبل الآن بنحو عشرين عاما . وكان المدرسون أنفسهم يشرحون ما يقرأون بدون نظر الى صلة ذلك بالاجتماع والنفوس وقد عنى كثير من الادباء بحفظ الاشعار ومعرفة أنساب الشعراء ورواية الحوادث والامثال ومعانى الالفاظ ومعرفة أصولها ، وفى مقدمة هؤلاء المغفور لهما الشيخ الشنقيطى والشيخ حمزة فتح الله وكانا من أئمة اللغة وكبار الرواة

ولما طلب المرحوم على باشا مبارك من الشيخ حمزه فتح الله تدريس الأدب بدار العلوم ألف الشيخ حمزه كتابه « المواهب الفتحية » ودرسه هناك وسمى ذلك علوم اللغة ، فلم يخرج عما كان فى الكتب القديمة . وفعل مثله الشيخ حسين المرصفى أثناء تدريسه الآداب فى المدرسة نفسها

ولما عاد المرحوم الشيخ حسن توفيق من أوربا عهد اليه بتدريس الآداب فى دار العلوم فكان قد اطلع على دراسة الآداب أثناء وجوده فى ألمانيا فأخذ يدرس الأدب على الطريقة الحديثة فجمع فى كتاب لطيف طائفة من الشعراء مع تراجمهم وشىء من نقد شعرهم مرتبا ذلك على حسب العصور ، فهو أول من سن هذه الطريقة فى مدارس الحكومة . ولما ظهر كتاب المرحوم جورجى زيدان « تاريخ أدب اللغة العربية » مرتبا على نمط كتاب المستشرق بروكلمان الالمانى على حسب العصور والفنون كان له أثر عظيم فى توجيه الادباء الى هذا النحو من التأليف ، وهو أول من أطلق « تاريخ أدب اللغة العربية » على كتابه ولم يكن هذا العنوان معروفا قبل ذلك ، وهذا الكتاب أول كتاب حديث جامع لتاريخ الأدب العربى على هذا النمط . وكان رحمه الله يميل الى حرية الرأى ففتح بابا جديدا فى تأليف الأدب ونقده كما جرأ جماعة من الادباء على نقد كتابه وما فيه من آراء له فى الأدب والتاريخ


مصطفى لطفي المنفلوطي

ثم اتجهت وزارة المعارف فى نحو أوائل القرن العشرين الى ادخال دراسة الأدب فى مدارسها الثانوية فألف جماعة من أساتذتها كتابا سموه « أدبيات اللغة العربية » ثم كتابا آخر سموه « الوسيط فى الأدب


العربى وتاريخه » وبعد ذلك سارت دراسة الأدب فى المدارس والمعاهد العليا على نمط حديث ، الى أن صارت على ما هى عليه الآن فى دار العلوم والازهر وكلية الآداب من دراسة علمية منظمة جارية على أحسن الأساليب الحديثة فى أكبر الجامعات وألفت فى ذلك الكتب الكثيرة فى تحليل الأدب ونقده بأقلام كبار الاساتذة والكتاب المعروفين لدينا الآن



أطوار الأدب الفنى

أما الأدب الفنى من شعر ونثر فقد تخطى أطوارا دفعته اليها الاحوال السياسية والاجتماعية والاطلاع على آداب الامم الاخرى وانتشار الثقافة العالمية فى المعاهد والمدارس وأظهر ما كان ذلك فى الكتابة

على أن المشتغلين بالأدب كانوا قليلين فلم يكن يعنى بذلك غير جماعة من طلاب دار العلوم والازهر وبعض هواة الأدب ممن تربوا فى مدارس الحكومة أو درسوا فى معاهد أوربا واشتغلوا بالكتابة والتحرير فى الصحف اليومية أو المجلات وبعض أساتذة اللغة العربية . ومن هؤلاء طائفة من فطاحل الأدباء ، فنهضوا بالكتابة نهوضا كان له أثر عظيم فى نشر الأساليب الصحيحة للغة العرب منهم عبد الله باشا فكرى والشيخ حمزه فتح الله والسيد توفيق البكرى وحفنى بك ناصف وابراهيم المويلحى وغيرهم ممن سلك طريقهم فى التمكن من علوم العرب ولغتهم

وكانت هذه الطبقة مثقفة ثقافة عربية خالصة جارية على أساليب العرب وطرقهم فى الكتابة ولا سيما أساليب العصر العباسى الاخير محاكين ابن العميد والحريرى والهمذانى والخوارزمى وغيرهم من الاساليب الحافلة بأنواع البيان والبديع متعمدين أحيانا التكلف فى اختيار الالفاظ من سهلها وغريبها



ولكن الكتابة كانت من جهة أغراضها مقصورة على بعض الرسائل الأدبية كالاخوانيات وتقاريظ الكتب والمراسلات بين الأدباء والمنشورات السياسية التى كانت تنشر فى الوقائع المصرية وغيرها ، وكل هذا أو جله كان يكتب بأسلوب مسجع قد يكون أحيانا مملا أو متكلفا . وقد استمر هذا الاسلوب الى زمن قريب وكان من رجاله من ذكرنا من الأدباء . ولم يكن يطلق اسم الأديب أو الكاتب الا على من اتبع طريقة هؤلاء الكتاب . ولقد سرت هذه العدوى الى جماعة من أفاضل الكتاب الذين طرقوا بعض الموضوعات الاجتماعية كابراهيم المويلحى ومحمد المويلحى وغيرهما

ومع ما كان عليه هؤلاء من محاكاة للقدماء فى أساليبهم وأخيلتهم مما كان يحسب أحيانا ضربا من الجمود فقد أدى ذلك الى المحافظة على تراث الأدب العربى . من لفظ مختار أو عبارة جزلة أو مثل سائر أو تعبير فصيح أو تذوق للبلاغة فى العربية وأساليبها التى ذاعت دهرا طويلا فى الممالك الاسلامية

وكان مع هؤلاء الادباء طائفة أخرى ممن تعلمت لغات أهل أوربا وقرأت كتبهم وآدابهم وتذوقت أساليبهم الكتابية فعملت على محاكاتهم فكتبوا الكتب وحرروا فى الصحف والمجلات وألفوا فى فنون الأدب والعلوم . فكان من جراء ذلك أن رقت أساليب الكتابة وعالج الكتاب موضوعات جديدة بعضها سياسية وبعضها اجتماعية زيادة عما ظهر من آثار هؤلاء فى ترجمة الكتب والمقالات . وممن اشتهروا بأسلوبهم السهل الرقيق : الشيخ محمد عبده وقاسم أمين ومصطفى المنفلوطى والشيخ على يوسف ومصطفى كامل والشيخ عبد العزيز شاويش والشيخ ابراهيم اليازجى وجورجى زيدان والدكتور نمر والدكتور صروف وجميع كتابنا المعاصرين الآن الذين يحسب كثير منهم من أرباب الاقلام البليغة وأئمة الأدب . ولا شك فى أن الصحف اليومية ساعدت على انتشار هذا الاسلوب الذى يعد من الاطوار الواسعة الخطى فى النثر العربى



وقد ظهر أثر الاساليب الافرنجية وتراكيب اللغات الاعجمية فى الكتب المترجمة أو المكتوبة حديثا بأقلام من تعلموا اللغات الاجنبية أو مالوا الى محاكاتها وربما توسعوا فى ذلك حتى لقد يخرجون أحيانا عن الاسلوب العربى المألوف . ولا يزال هذا الاسلوب الحديث يغمرنا بسيل جارف من الالفاظ الاعجمية والعبارات الافرنجية بما ينشره المعربون والمؤلفون وكتاب الصحف

كتابة القصة

ومن الموضوعات الحديثة فى النثر الفنى كتابة القصص وانتشار هذا النوع الآن بأقلام جماعة من كتابنا النابهين الذين ينشرون قصصهم ويعالجون فيها مسائلنا الاجتماعية والسياسية والخلقية وهذا النوع من الكتابة وان كان لا يزال حديث العهد يحتاج الى نضج فى الفن وتعمق فى التفكير والتحليل النفسى فانه يبشر بنهضة عظيمة فى أدبنا وأساليبنا الكتابية ، ومما حدث أيضا فى النثر الفنى لدينا القصص التمثيلية وانتشارها على مسارح التمثيل واقبال كثير من أدبائنا على نشر هذا النوع والعناية به وقد كانت القصص التمثيلية منذ زمن تنقل عن قصص كبار أدباء أوربا مثل شكسبير وموليير وكورنى وجيته وغيرهم من أدباء الغرب الذين اتخذهم أدباؤنا قدوة لهم فى هذا النوع فأصبحت الآن قصصا قومية تمثل أحوالنا الاجتماعية والخلقية فى منازلنا ومجامعنا

ومما يدخل تحت هذا الفن القصص التمثيلية الفكاهية التى ذاع أمرها أخيرا بيننا وأقبل عليها الجمهور وهى على ما فيها مما يتنافى مع ميول الخاصة فانها تصور بعض النفوس وترسم أخلاق جماهير الناس

ومن الانواع التى حدثت ما كتبه المرحوم جورجى زيدان من القصص التاريخية التى ذاعت بين القراء وعالج فيها تدوين بعض الحوادث التى مرت فى عصور التاريخ الاسلامى ممزوجة بأخيلة الكاتب نفسه

الشعر العربى

أما الشعر فقد كانت تطوراته بطيئة اذ كان الى زمن قريب محاكاة للشعر القديم وجريا على أساليب شعراء العصور المتقدمة فى الموضوعات التى عرفت اذ ذاك : من مدح وذم ونسيب ووصف الى غير ذلك . حتى لم نعد نجد من بين شعراء هذا العصر الا من يعمد الى رصانة الشعر القديم فيقلده والى أسلوبه المتين فيحاكيه والى الاخيلة المعروفة فيقتبس منها . وكادت تكون الصناعة اللفظية والمعانى الجزئية والتشبيهات المعروفة كل أغراض الشعراء . فلم يخرج الشعر عن انه صناعة من الصناعات اللفظية لا شعورا ولا أثرا من آثار الهامات النفوس ولا سمة من سمات العصر الذى يعيش فيه الشعراء

وقد كان لشعر محمود سامى باشا البارودى أثر فى نهوض الشعر فى مصر بعد أن وقف وقفة كادت تذهب بروائه بعد أن خمدت قرائح الشعراء . وجارى البارودى غيره ممن عاصره كاسماعيل صبرى باشا فى أغانيه وقصائده وحافظ ابراهيم ثم أحمد شوقى بروائع شعره التى جعلته حامل لواء الشعراء جميعا

وقد ظهر فى شعر هؤلاء أثر الحياة الاجتماعية والسياسية فى مصر كما كان للحوادث الاخيرة التى حدثت أثر فى نفوس شعرائنا المعاصرين لنا فرسموا فى شعرهم كثيرا منها أو أشاروا اليها ولا سيما الحوادث السياسية التى نشأت عن الحركة الوطنية الاخيرة . وانفرد شوقى بالتغنى بآثار مصر ومجدها حتى علم الشبيبة الحنين الى الوطن وتمجيد ذكرى آبائهم الاقدمين ثم تطور الشعر وكثر فى مصر هواته من الشبان الذين درسوا آداب الامم الاخرى فظهرت فيه أساليب جديدة فى أنواع التفكير وتصور المعانى والخروج على المذاهب القديمة . ولا تزال صناعة الشعر تتقاذفها أهواء الشعراء

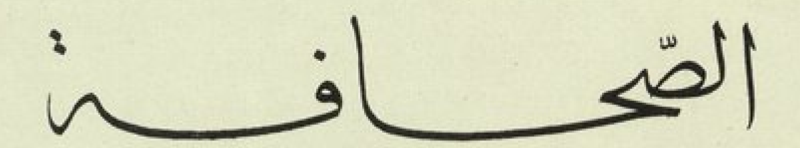
ومن أنواع الشعر الحديثة نظم الامثال والحكم على ألسنة الحيوان محاكاة للشاعر الفرنسى «لافنتين» ككتاب « العيون اليواقظ فى الامثال والمواعظ » لعثمان جلال ، ونظم القصص القصيرة لتعليم الاطفال

ومع أن الشعراء ما زالوا سائرين على أهوائهم فى طرقهم وفى أساليبهم غير أن نهضة الشعر على ضآلتها تبشر بتطور عظيم . ولعل معرفة شعرائنا المعاصرين للآداب الحديثة الاوربية تدفعهم الى سلوك طريق جديد فى الشعر يعالجون فيه من الموضوعات ما يجعله عالميا يصور حياتنا الاجتماعية من جميع نواحيها

احمد ضيف



مصطفى كامل



بقلم الأستاذ عباس محمود العقاد

اذا أردنا أن نجمع تاريخ الصحافة العربية منذ خمسين سنة فى كلمة واحدة لم نخطىء ولم نبالغ اذا قلنا ان كلمة « التقدم » تلخص ذلك التاريخ أصدق تلخيص

فقد تقدمت الصحافة العربية خلال نصف القرن الماضى فى شكلها ، وتقدمت فى مادتها ، وتقدمت فى سعة انتشارها ، وتقدمت فى مكانتها ومكانة القائمين بشأنها ، وهذه هى الجوانب التى يقاس بها تقدم الصحافة فى كل أمة

فمذ خمسين سنة لم يكن للصحافة شكل يعتنى به سوى انها ورق مطبوع ، فلا تنسيق ولا صور ولا تحلية من نوع ما فى الصحف اليومية وما شابهها من صحف الاخبار الاسبوعية ، وقد تهتم الصحافة الشهرية بنشر بعض الصور وتنظيم بعض الابواب . الا انه اهتمام لا يميز بينها وبين الكتب والرسائل المطبوعة ، فهى فى جملتها أشبه بأجزاء الكتب منها بالصحافة الشهرية والصحافة العلمية والفنية التى نعهدها فى السنوات الاخيرة

اما مادة الكتابة فقد كانت صحف الاخبار بغير أخبار من الداخل أو من الخارج ، والغالب أن الاسلوب الصحفى فى العهد الحاضر أرفع وأسلس وأقرب الى الذوق السليم من أسلوب الصحافة قبل خمسين سنة أو خلال هذه الفترة الى زمن وجيز ، ولا يمنع هذا أن تمتاز احدى الصحف بقلم من الاقلام البليغة التى اشتهرت فى عالم الانشاء لعهدها غير مطردة ولا متكررة فى جميع الصحف والمجلات ، ولكننا اذا نظرنا الى الاسلوب الصحفى فى مجموعة الصحافة بين يوميها وأسبوعيها وشهريها لم نتردد فى تفضيل أسلوب العصر الحاضر على الاسلوب الذى كان عاما شائعا فى أواخر القرن الماضى وأوائل القرن الحاضر . فقد كانت فصاحة التعبير امتيازا لكاتب فى تلك الايام ولم تكن سمة صحفية شائعة بين معظم الصحفيين ، وهذا هو الفارق الذى لا شك فيه



بعض الصحف المصرية التى صدرت فى خلال الخمسين سنة الأخيرة

وربما أثرت للصحافة الشهرية يومذاك مباحث شتى ترتفع الى الطبقة العليا من التخصص فى أبواب العلوم والآداب ، ولكنها على الاغلب مما ينتظم فى مباحث الكتب الدراسية قبل انتظامه فى المباحث التى عليها طابع الصحافة الدورية ، وهى بلا ريب تخالف الكتب فى طريقة العرض وطريقة التسلسل والتقسيم ، وان كان الفرق قريبا لا يزال

بين موضوعات الصحافة العلمية وموضوعات الكتب العلمية الى هذه الايام

ويلحق بالاسلوب والموضوع أدب الخطاب ولغة المناقشة فى المسائل السياسية وغير السياسية على السواء . فنحن نشكو اليوم اسفافا من بعض الاقلام فى مناقشة الخصوم والنظراء ونحسب هذا الاسفاف طارئا لم يكن له نظير فى كتابات الجيلين الماضيين ، ولكنه على التحقيق وهم من أوهام النسيان أو بادرة من بوادر السخط على الحاضر والحنين الى الماضى بغير اكتراث للمقابلة بين العهدين ، فان الاذواق لم تكن فى الجيلين الماضيين تستنكر ما تعودنا أن نستنكره فى هذا الجيل ، بل ربما جعلوا المغالبة فى السباب نوعا من أنواع الفرجة التى كانوا يتفكهون بها كما يتفكهون بالفرجة على صراع الديكة ومصاولات « الادباتية » أو أدباء الطريق . ومهما يكن من الرأى فى تفاوت الاذواق من هذه الناحية فالذى نعتقده أن اسفاف العبارة لم يبلغ فى عصرنا هذا أوضع ما بلغه قبل خمسين سنة من دركات الفحش والبذاء

وتقدم الصحافة فى سعة الانتشار أمر لا يحتاج الى مراجعة طويلة لانه ظاهر من سرعة المطابع ومن كثرة القراء بالقياس الى عددهم المحدود قبل جيلين . فقد كانت المطابع جميعا تدار باليد فى ذلك الحين ، وكانت الصحيفة اليومية التى تطبع ثلاثة آلاف نسخة تعد مثلا من أمثلة الرواج والذيوع . فأصبحنا وعندنا من الصحف ما يقارب مائة ألف وينظر الى المزيد

أما مكانة الصحافة فلا ننظر فيها الى منزلة أصحابها الرسمية فقد كان ثلاثة أو أربعة بين أصحاب الصحف اليومية يحملون أرفع ألقاب الدولة قبل أربعين سنة ومنهم أصحاب الاهرام والمؤيد واللواء

ولا ننظر فيها الى الثروة فربما كانت الثروة التى جمعها الصحفيون فى العهد الماضى أكبر بالقياس الى عهدهم من الثروة التى يجمعها أحدهم الآن

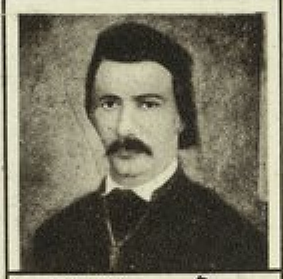
ولا ننظر فيها الى الجاه فان جاه صاحب المؤيد مثلا قل أن يضارعه جاه صحفى فى الآونة الحاضرة . وانما ننظر فيها الى الدلالة الاجتماعية التى وجدت لعهدنا الحاضر بعد أن كانت مفقودة أو كالمفقودة فى الجيلين الماضين

فالصحافة الآن ضرورة اجتماعية لا تستغنى عنها الامة وليست تسلية هينة ولا تزجية فراغ ، وليست مكانة أصحابها ان حاكما يرفع من شأنهم ليضرب بهم حاكما آخر أو يكافئهم على خدمته بالمظاهر والالقاب ، وانما مكانتهم انهم يؤدون عملا يحتاج اليه جميع الحكام لانه يستند الى الامة أو الى جمهرة القراء

وهنا قد ظهر حديثا كما ظهر قديما ان الصحافة أصدق من الهيئات والاحزاب فى تمثيل الاطوار السياسية التى تمر بها الشعوب


عبد الله نديم


بشاره تقلا


ابراهيم اليازجي


على يوسف


يعقوب صروف


امين الرافعى

داود بركات


عبد القادر حمزه

بعض أقطاب الصحافة فى نصف القرن الاخير



صورة كاريكاتورية منقولة عن إحدى الصحف السياسية الهزلية

فكانت أطوار السياسة المصرية ملحوظة فى اللواء والمؤيد والاهرام والمقطم قبل أن ينشأ فيها حزب من الاحزاب ، وكانت هذه الاطوار تمثل اختلاف الاغراض بين القصر والاستانة والانجليز والدول الاجنبية ورأى الامة الناشىء فى مهد الطفولة ، فكانت الصحف التى أشرنا اليها تعرض تلك الاغراض احسن عرض مستطاع فى أيامها ، وما زالت الصحف تلازم الرأى العام الى أيامنا هذه سواء كانت ألسنة أحزاب قائمة أو معارضة مستقلة للآراء والاخبار . وكلما حان الحين الذى يبرز فيه صوت الأمة وتحتجب فيه مناورات الاحزاب تكفلت صحيفة من الصحف بابرازه على نحو لا يجدى فيه المحال

وموجز ما اسلفنا أن الصحافة تقدمت فى خمسين سنة ويرجى أن تتقدم اذا اطردت فى خطواتها . فهى اليوم أجمل شكلا وأقوم مادة وأوسع انتشارا وأعظم خطرا مما كانت قبل خمسين سنة . والناحية الوحيدة التى نخشى أن نكون متأخرين فيها هى غلبة العامة على الخاصة فى هذا المضمار . فقد كانت للخاصة فيما مضى عيوبهم وجهالاتهم ونقائص زمانهم التى تقابلها نقائص مثلها فى هذا الزمان ، الا انهم كانوا خاصة مترفعين ، وكانوا هم أصحاب الرأى والذوق والهوى الذى يتجلى فى مقاصد الصحافة وطبقة التفكير فيها ، ولم يكن للذوق العامى طغيان عليهم كطغيانه على مقروءات هذا الزمان

وقد أصبح تعويل الصحافة على الكثرة العددية فى زماننا هذا أمرا لا مناص منه ولا حيلة فيه ، فمن هنا نخشى أن تطغى الكثرة على النخبة وأن يجور السواد على الصفوة المختارة ، وهذه هى الناحية التى يرجع فيها الى ضمائر الصحفيين لاستدراك أخطارها وقمع طغيانها

عباس محمود العقاد



لفيف من أعضاء نقابة الصحفيين فى أول اجتماع للجمعية العمومية بعد أن صدر القانون بتأسيسها

الهندسة والعمران

بقلم حضرة صاحب العزة أحمد راغب بك

وكيل وزارة الأشغال

قبل أن أتكلم عن الهندسة والعمران فى مصر فى الخمسين السنة التى تلت مولد « الهلال » لا بد من نظرة لى ماضى الهندسة بوادى النيل لنربط الماضى بالحاضر ولنقف على درجة التقدم من جيل الى جيل . فتلك الاهرامات والبرابى والمعابد التى شيدت منذ آلاف السنين تدل على مقدرة فائقة سواء من حيث الفن أو اختيار مواد البناء . فان بناة اهرامات الجيزة مثلا لم يقطعوا الاحجار اللازمة لتشييدها من الجبل الغربى – بل قطعوا فى الجبل الشرقى كهوفا استخرجوا منها ملايين الامتار المكعبة من أجود أنواع الحجر ، ولم يكن الحديد أو الصلب أو البرونز معروفا فى ذلك الوقت فاستعملوا فى قطع تلك الكتل الهائلة ونحتها وصقلها آلات من الصوان « الشطف » لا يتجاوز حجم الواحدة منها راحة اليد ، كما قطعوا المسلات ونحتوا لملوكهم التماثيل ومنها تمثال رمسيس الثانى الذى كان قبل أن يدمره الفرس قطعة واحدة من الجرانيت يتجاوز وزنها ألف طن – قطعوها من الجنوب الشرقى لمدينة اسوان ونقلوها مئات الكيلومترات ثم عبروا بها النهر وأقاموها بالبر الغربى لمدينة الاقصر .. ويكفى لبيان عظمة هذا العمل أن نقول ان نقل هذه الكتلة الهائلة من الجرانيت برا أو عبر النهر عمل هندسى يصعب تنفيذه ، حتى مع ما لدينا من وسائل الرفع والنقل فى العصر الحديث

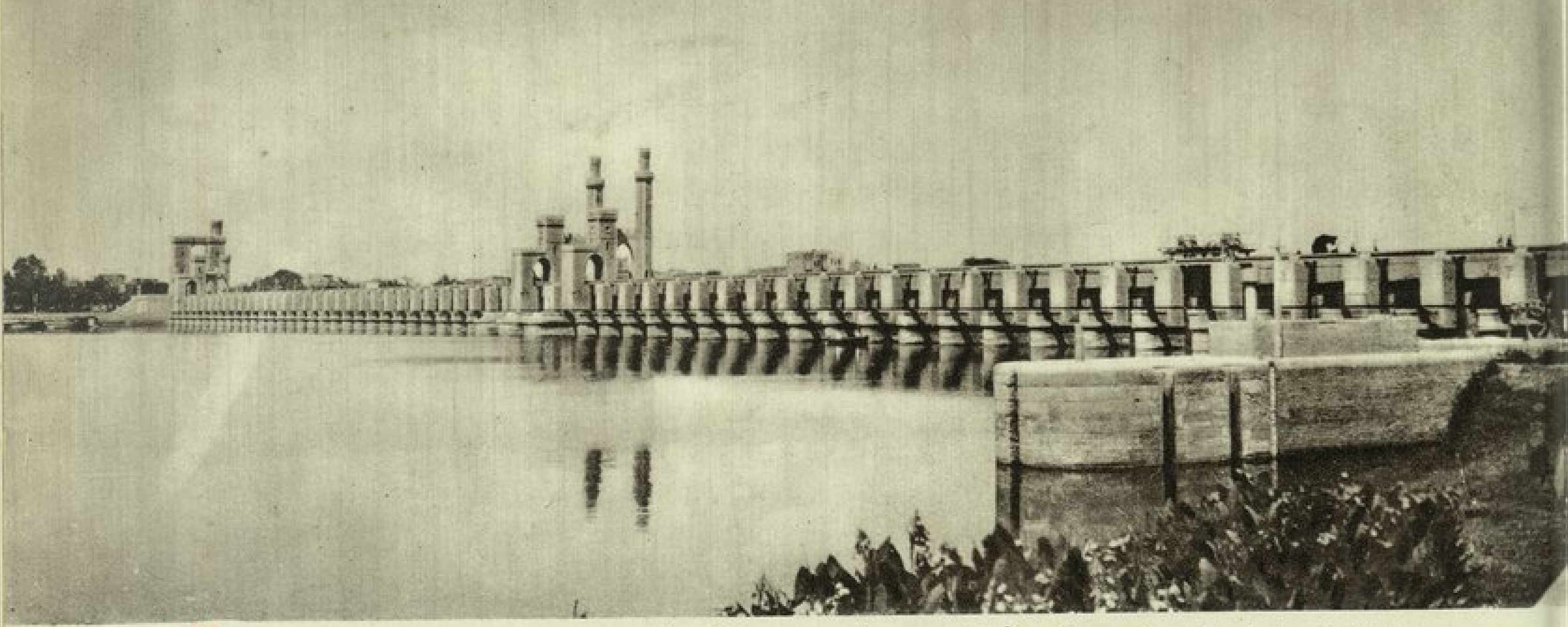
والهندسة تتأثر كغيرها بالاديان ، فلما دخلت المسيحية مصر وقف تشييد المعابد الوثنية وحولت أجزاء من هذه المعابد الى كنائس فركدت أعمال قطع الاحجار وهندسة البناء ولذلك فانه لا يوجد من الآثار الهندسية للعهد المسيحى الا قليل من الكنائس وعدد من الاديرة على أطراف الصحراء



أخذت هذه الصورة سنة ١٩٠٢ فى الاحتفال بوضع الحجر الأخير فى خزان اسوان إيذاناً بافتتاحه، وقد ظهر فيها بعض كبار المدعوين المصريين والانجليز وغيرهم من الأجانب ، كما ظهر الحجر المحتفل بوضعه مكتوباً عليه أنه وضع بحضور « الدوقة أوف كنوت » فى السنة العاشرة من حكم الخديو عباس

وجاءت الديانة الاسلامية سهلة فى كل شىء ، فلم تعمد الى تحويل كنائس مصر القديمة الى مساجد ، بل أقام عمرو بن العاص الجامع الاسلامى الاول الى جانب تلك الكنائس بسيطا متواضعا — حوش يحيط به سور من الطوب النيىء داخله سقيفة من جذوع النخل وسعفه تطل عليها القباب الضخمة والابراج الشاهقة للكنائس المجاورة — تلك كانت هندسة العرب القادمين من واد غير ذى زرع

أما أول جامع أقيم بمصر فهو جامع ابن طولون بنى عام **٨٧٦ — ٨٧٩** ميلادية أى بعد دخول الاسلام بمائتين وست وثلاثين سنة ، وهندسة ذلك الجامع ليست مصرية بل هى أجنبية نقلت الى مصر عن البلاد التى فتحها الاسلام بالقارة الاسيوية . ومع انه أقيم عند سفح الصحراء قريبا من المحاجر الا أن أحمد بن طولون بناه بالطوب لانه لم يجد فى البلد الكفاية من الحجارة والنحاتين ومهرة البنائين الذين يستطيعون القيام بهذا العمل الضخم ، لان عمليات البناء بالاحجار بطلت كما أسلفنا منذ وقف بناء المعابد الوثنية ، حتى أن الاهالى كانوا يعمدون فى الحصول على ما يلزمهم من الاحجار الى هدمها من جدران تلك المعابد



القناطر الخيرية : وقد تم بناؤها سنة ١٨٦١ فكانت أول عمل هندسى أقيم على النيل ، كما كانت أول قنطرة من نوعها فى العالم

ولننتقل الآن من الهندسة الخاصة بمختلف الديانات وبناء القبور وتخليد ذكرى الملوك الى هندسة الماء أو هندسة النيل

ولقد كان النيل فى العصور الغابرة تطفو مياهه مدة الفيضان على الاراضى بجانبيه ثم تنحسر عنها بدون ضابط الى أن قام الملك مينا بانشاء الطراد الغربى على طول النهر ، ثم تلاه انشاء الطراد الشرقى وتقسيم الاراضى فيما بين النهر والصحراء الى جملة حياض وحوش بواسطة جسور من التراب كان هم المصريين فى جميع العصور الاهتمام بها وبصيانتها والعمل على رفع الطمى الذى يرسب بأفواه الترع التى تغذيها حتى يضمن الناس أقواتهم . ولكن جميع هذه الاعمال كانت من التراب لا من أعمال البناء . ولعل أقدم أثر بنائى أقيم بمجرى النهر أو فروعه لتوزيع المياه هو قنطرة اللاهون القديمة القائمة عند مدخل بحر يوسف الى الفيوم ، اذ يرجع تاريخها الى أوائل القرن الثالث عشر للميلاد وان كان يوجد حولها آثار بناء أكثر منها قدما

وبقى وادى النيل بما فى ذلك الوجه البحرى خاضعا لنظام الرى الحوضى آلاف السنين الى عهد ساكن الجنان محمد على باشا الكبير مؤسس مصر الحديثة . فانه لما وجد النيل حرا طليقا فطورا يغرق الاراضى ويتلف الحرث والزرع ، وأحيانا يعجز عن توفية أغراض الزراعة فيحل بالبلاد « الشرق » بل المجاعة —

ورأى أنه مع عظم كميات المياه التى يحملها كل عام لم يكن الناس يتمكنون الا من زراعة واحدة كل حول ، بينما يذهب معظم الماء هدرا الى البحر المالح ، لم تطق عبقريته هذا الوضع ولم يستطع عليه صبرا فقرر أن يحكم ذلك النهر ويوجهه الى الخير وأمر مهندسيه «لينان» و «موجل» سنة ١٨٤٥ باقامة القناطر الخيرية عند تفرع النهر شمالى القاهرة ليمنع بذلك المياه من أن تذهب الى البحر هدرا ، وليرفع منسوبها مدة التحاريق لتدخل مجارى ترع الوجه البحرى ليستفيد الاهالى بها على مدار السنة فى زراعة كافة الحاصلات ولا سيما القطن ، فكانت أول عمل هندسى عمرانى أقيم على النيل ، كما كانت أول قنطرة من نوعها أقيمت على نهر عظيم فى العالم ، وأول جسر بنائى «كوبرى» ربط ضفتى النهر من الشرق الى الغرب

ومع أن هذه القناطر بقيت معطلة منذ الانتهاء من بنائها لظهور بعض العيوب فى تصميماتها الا أن ذلك لم يثن همة الخديو اسماعيل ، بل عمد الى فكرة هندسية ثانية يستطيع بها سحب المياه من النيل حتى عند انخفاض مائه ، وذلك بانشاء الترعة الابراهيمية بالوجه القبلى ، وهى أكبر وأطول ترعة فى العالم ، كما أقام الطلمبات على النيل نفسه لرفع المياه واستعمالها فى زراعة كافة الحاصلات ولا سيما القصب

ثم بدأ التفكير فى بناء سد بالشلال الاول عند اسوان لخزن مياه النهر ، وقد أتم المرحوم السير ويليام ويلكوكس دراسة المشروع وتحضير تصميماته سنة ١٨٩٣ ، وبدىء العمل فى بنائه سنة ١٨٩٨ ، كما شرع فى بناء قناطر اسيوط وقناطر زفتى على فرع دمياط ، على غرار تصميمات القناطر الخيرية تماما ، وذلك لضمان تغذية الترعة الابراهيمية بالمياه على مدار السنة ولتحويل نصف مليون فدان بمصر الوسطى من نظام الرى الحوضى الى نظام الرى المستديم

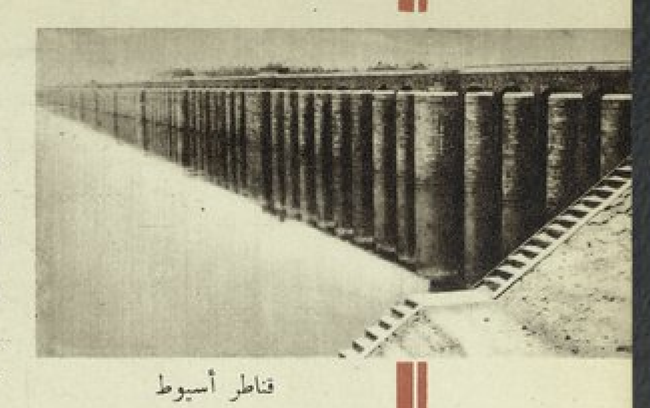
وامتازت السنين من ١٨٩٩ الى ١٩٠٢ بنشاط هائل فى أعمال الرى اذ تم فى اثنائها انشاء السدين الساندين لقناطر فرعى رشيد ودمياط ، وتقدم العمل فى تعديل طرق الرى والصرف بمديرية الفيوم وتحويل بعض أراضى مديريتى أسيوط والمنيا من الرى الحوضى الى الرى المستديم ومساحتها ٤٥٠٫٠٠٠ فدان – كما تم بناء قناطر أسيوط وفم الترعة الابراهيمية وسد اسوان الذى خزن به لاول مرة فى شتاء سنة ١٩٠٢ ما يبلغ مقداره مليار متر مكعب من المياه لرى المحاصيل الصيفية

وامتازت السنين التالية من سنة ١٩٠٣ الى سنة ١٩٠٧ بعمليات أخرى وهى الانتهاء من بناء قناطر زفتى سنة ١٩٠٣ وبناء سد خلفها فى سنة ١٩٠٦ والاستمرار فى تحويل حياض مديريات بنى سويف والجيزة والفيوم والانتهاء من دراسة مشروع تعلية سد اسوان والابتداء بتنفيذ هذه التعلية فى سنة ١٩٠٧ مع البدء باقامة قناطر اسنا والاعمال التابعة لها فى نفس السنة

أما فى السنين ١٩٠٨ الى ١٩١٣ فقد تم الكثير من الاعمال أهمها انشاء قناطر اسنا واستعملت لاول مرة فى فيضان سنة ١٩١٠ – وانتهى العمل من تعلية سد اسوان فى شتاء سنة ١٩١٢ وخزن بواسطته ٢½ مليار متر مكعب من المياه لاول مرة

أما فيما بين الاعوام ١٩١٤ و١٩٢١ فانه بسبب قيام الحرب العالمية وما تلاها من عدم استقرار وارتفاع فى الاسعار ركدت الاعمال الهندسية بكافة أنواعها ركودا سيئا وتحول الجهد من التنفيذ الى الدراسة وتحضير المشروعات

***



قناطر أسيوط



سد اسنا



خزان مكوار



قناطر نجع حمادى

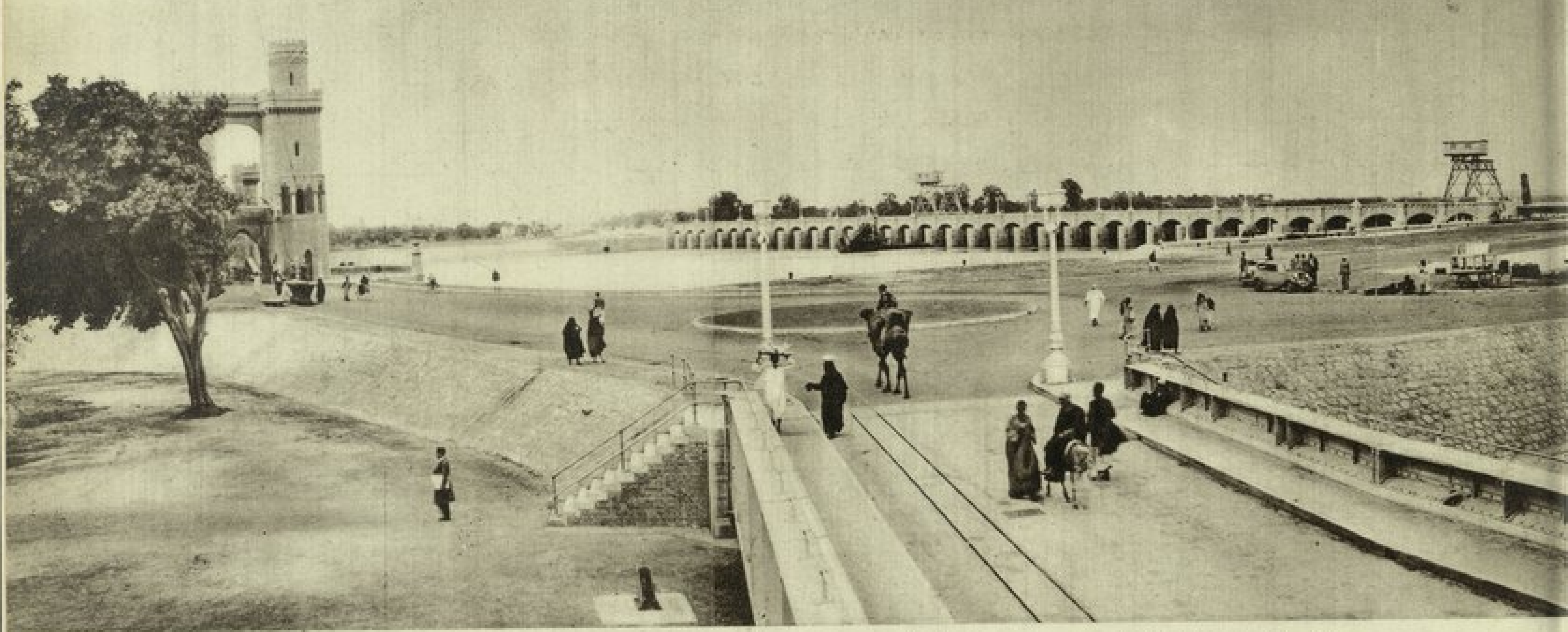


خزان جبل الاولياء

ولما استقلت البلاد بشؤونها الداخلية ، نشطت الى تنفيذ كثير من المشروعات النافعة . فتنفذ فيما بين سنة ١٩٢٢ و١٩٣٢ كثير من الاعمال العظيمة ، نذكر منها اقامة قناطر فؤاد الاول على النيل بمنطقة نجع حمادى ، وانشاء الترعتين الفؤادية والفاروقية ، ونفق الاحيوه لضمان الرى الحوضى وللاستعداد لتحويل نصف مليون فدان الى الرى المستديم . كما تمت التعلية الثانية لسد اسوان فتضاعفت كمية المياه المخزونة للزراعات الصيفية

وأقيمت قناطر على رياح البحيرة عند كفر بولين بدلا من القنطرة القديمة التى أنشئت فى عهد ساكن الجنان محمد على باشا الكبير بعد أن أتمت من عمرها قرنا كاملا

وكان لاعمال صرف الاراضى الحظ الاوفر من عناية وزارة الاشغال العمومية فعمقت المصارف بالدلتا وبمصر الوسطى ، وأقيمت طلمبات أبى قير على البحر والبصيلى على بحيرة ادكو لصرف ما مقداره ٧٥٠٠٠ فدان من مديرية البحيرة وبدأ العمل فى اقامة محطات لتوليد القوة الكهربائية مدت بينها الاسلاك حاملة التيار لادارة تسع عشرة محطة من محطات الطلمبات لصرف أراضى شمال الدلتا البالغة مساحتها نحو مليون فدان



قناطر محمد على : تم افتتاحها سنة ١٩٤٠ . وقد أنشئت بجوار القناطر الخيرية لتحل محلها وتقوم بعملها

أما العشر السنوات الاخيرة فقد شهدت عدا اتمام وانجاز المشروعات التى ذكرناها اقامة خزان جبل الاولياء على النيل الابيض لامداد مصر بنحو مليارى متر مكعب من المياه للزراعات الصيفية . كما شهدت تقوية وتدعيم قناطر اسيوط لتستطيع ضمان تغذية الترعة الابراهيمية بالمياه الصيفية والرى الحوضى على جانبى النيل شمال اسيوط

وأهم الاعمال التى تمت خلال هذه الفترة بناء قناطر محمد على التى أقيمت شمالى القناطر الخيرية لتقوم بنفس العمل العظيم الذى قامت به القناطر الخيرية منذ بنائها فى عهد ساكن الجنان محمد على باشا الكبير

واذا جاز القول بأن الاعمال الهندسية هى حجر الزاوية فى صرح العمران بكافة انحاء العالم فان هذا القول أصدق ما يكون بالنسبة لهندسة الماء فى مصر التى هى « هبة النيل »

ويكفى فى الدلالة على ذلك ان ننظر الى محصول البلاد من القطن لنرى كيف كانت هذه الثروة لا تسير الهوينا بل تقفز قفزا تبعا لزيادة ايراد المياه الصيفية والتحكم فى ضبط مياه النهر وتنفيذ مشروعات الرى والصرف — فقبل تدعيم بناء القناطر الخيرية كان المحصول دون الثلاثة الملايين من القناطير فقفز سنة

١٨٩٢ الى ٥ر٢٢١ر٠٠٠ قنطار فاذا ما تم بناء سد خزان اسوان ارتفع المقدار سنة ١٩٠٣ الى ٦ر٥٠٩ر٠٠٠ قنطار ثم الى ٧ر٦٦٤ر٠٠٠ قنطار عام ١٩١٢ عقب التعلية الاولى لسد الخزان – وفى سنه ١٩٣٣ عقب التعلية الثانية للخزان زاد المحصول الى ٨ر٥٧٥ر٠٠٠ قنطار وفى سنة ١٩٣٨ تجاوز المحصول أحد عشر مليونا من القناطير


خزان اسوان قبل تعليته

ولم يكن الامر مقصورا على زيادة محصول القطن بل كانت الزيادة مطردة فى كافة المحاصيل وأهمها الارز فقد كان المزروع منه عام ١٨٩٢ لا يتجاوز ١٥٠ ألف فدان فأصبح فى عامنا هذا يربو على ٥٠٠ ألف فدان

وكما زادت الحاصلات وثروة البلاد زاد فيها عدد السكان من ٩ر٧١٤ر٥٢٥ نفسا سنة ١٨٩٧ الى ١٥ر٩٠٤ر٥٢٥ سنة ١٩٣٧

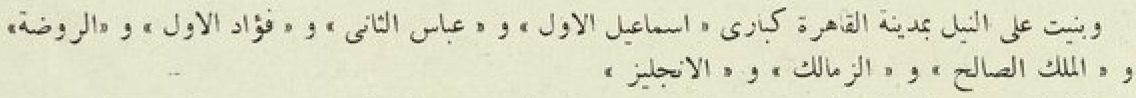
***

وتبع الزيادة فى السكان والحاصلات اتساع حركة المواصلات على اختلاف انواعها فزاد طول السكك الحديدية الواسعة من بضع مئات من الكيلومترات سنة ١٨٩٢ الى ما يربو على ٣٥٠٠ كيلو متر سنة ١٩٤٢

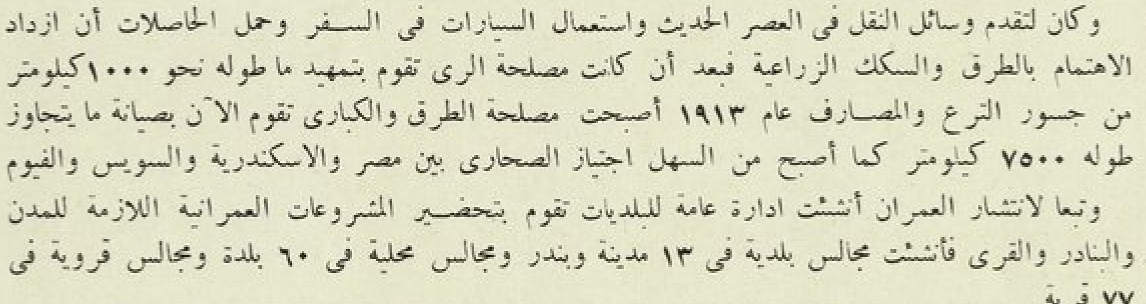
ومدت السكك الحديد الضيقة بالدلتا سنة ١٨٩٦ وبالفيوم سنة ١٨٩٨ كما مدت خطوط الترام بالقاهرة سنة ١٨٩٦ وبالاسكندرية سنة ١٨٩٧

ولتسهيل سبل العمران فى الخمسين السنة الماضية جدد أو أقيم على النيل كبارى للسكة الحديد عند امبابه ونجع حمادى – وعلى فرع رشيد عند كفر الزيات ودسوق ، وعلى فرع دمياط عند بنها وزفتى ، وذلك فضلا عن كبارى الطرق التى يوجد منها عدا قناطر الرى المقامة على النهر ، كبارى كفر الزيات وبنها وسمنود ودمياط


الخزان بعد التعلية الأولى

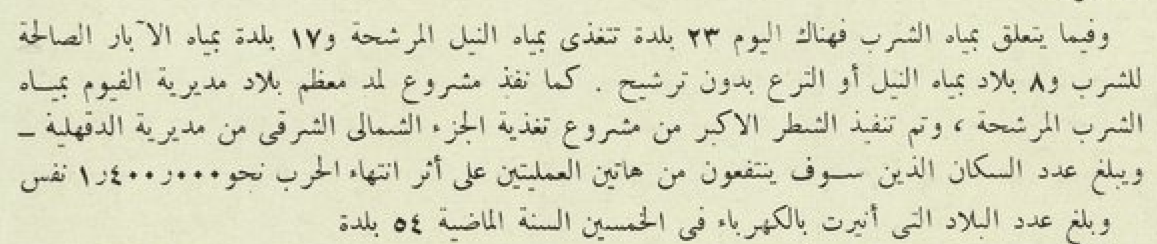


وبنيت على النيل بمدينة القاهرة كبارى « اسماعيل الاول » و « عباس الثانى » و « فؤاد الاول » و «الروضة» و « الملك الصالح » و « الزمالك » و « الانجليز »



وكان لتقدم وسائل النقل فى العصر الحديث واستعمال السيارات فى السفر وحمل الحاصلات أن ازداد الاهتمام بالطرق والسكك الزراعية فبعد أن كانت مصلحة الرى تقوم بتمهيد ما طوله نحو ١٠٠٠ كيلومتر من جسور الترع والمصارف عام ١٩١٣ أصبحت مصلحة الطرق والكبارى تقوم الآن بصيانة ما يتجاوز طوله ٧٥٠٠ كيلومتر كما أصبح من السهل اجتياز الصحارى بين مصر والاسكندرية والسويس والفيوم

وتبعا لانتشار العمران أنشئت ادارة عامة للبلديات تقوم بتحضير المشروعات العمرانية اللازمة للمدن والبنادر والقرى فأنشئت مجالس بلدية فى ١٣ مدينة وبندر ومجالس محلية فى ٦٠ بلدة ومجالس قروية فى ٧٧ قرية



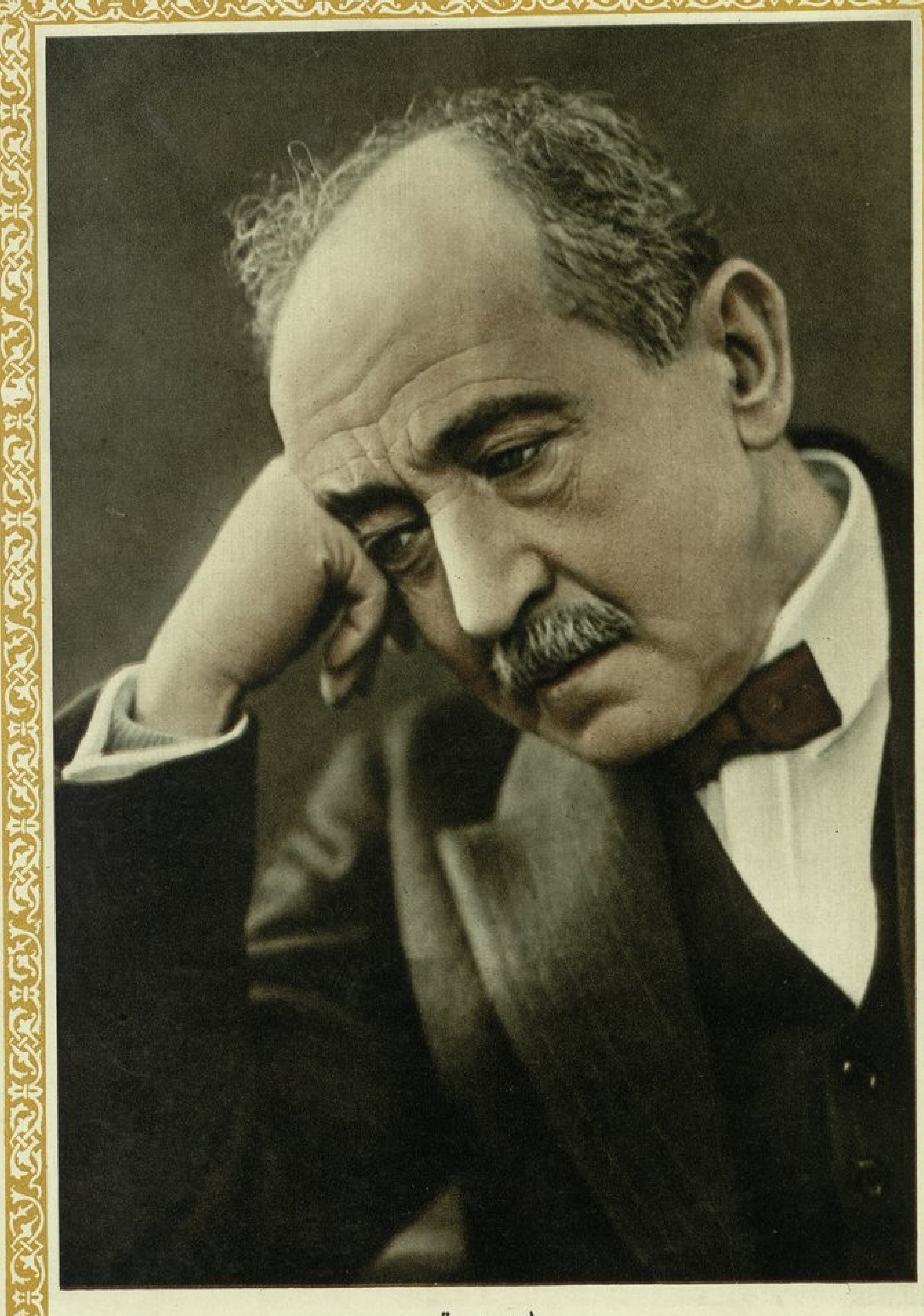
وفيما يتعلق بمياه الشرب فهناك اليوم ٢٣ بلدة تتغذى بمياه النيل المرشحة و١٧ بلدة بمياه الآبار الصالحة للشرب و٨ بلاد بمياه النيل أو الترع بدون ترشيح . كما نفذ مشروع لمد معظم بلاد مديرية الفيوم بمياه الشرب المرشحة ، وتم تنفيذ الشطر الاكبر من مشروع تغذية الجزء الشمالى الشرقى من مديرية الدقهلية – ويبلغ عدد السكان الذين سوف ينتفعون من هاتين العمليتين على أثر انتهاء الحرب نحو ١ر٤٠٠ر٠٠٠ نفس

وبلغ عدد البلاد التى أنيرت بالكهرباء فى الخمسين السنة الماضية ٥٤ بلدة

أما المجارى لتصريف المياه فيرجع الاهتمام بها لعام ١٩٠٦ ، ولم يبدأ فى تنفيذ مشروع مجارى القاهرة الا فى سنة ١٩٠٩ ، أما الآن فقد تم انشاء المجارى بالجيزة وبور سعيد والسويس والمنصورة وطنطا ودمنهور وكفر الزيات والزقازيق والفيوم والمحلة الكبرى


الخزان بعد التعلية الثانية

أحمد راغب



احمد شوقي

الاكتشافات الإسلاميّة

بقلم الأستاذ محمد عبد العزيز مرزوق

الأمين المساعد بدار الآثار العربية

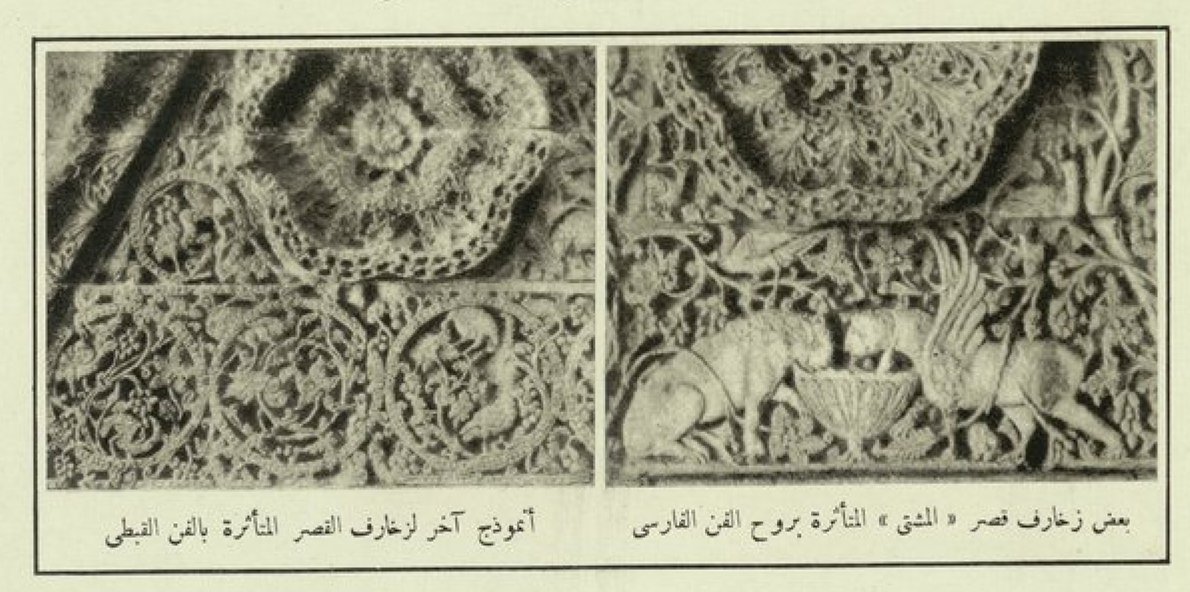
يشير كثير من الكتب العربية القديمة الى القصور والمدن الاسلامية التى ازدهرت فى العصور الوسطى ، بل يتضمن بعض هذه الكتب وصفا شيقا لها . ولقد كانت معلوماتنا عنها تقف عند حد هذه الاشارة أو الوصف لا تتعداهما ، وكنا نتقبل وصفها فى كثير من الحيطة ، ولا نطمئن اليه الاطمئنان كله اعتقادا منا بأن الغلو والاطناب ، والمبالغة والاسهاب كانت من الامور التى يحرص عليها أسلافنا من المؤرخين والكتاب . ولكن ظهور كثير من هذه القصور والمدن بفضل الحفائر الاثرية قد عدل من موقفنا السابق ، وزادنا ثقة بمؤرخينا ، وأثبت لنا انهم فيما وصفوه لم يتخطوا سياج الصدق والاعتدال . والواقع ان الخمسين السنة الاخيرة تعتبر بحق أهم فترة فى حياة علم الآثار الاسلامية نظرا لما اكتشف فى اثنائها من الآثار الهامة . ولما كان المجال يضيق عن أن نثبت كل هذه الآثار فاننا سنختار منها أبرزها

مدينة الفسطاط

ولعل أعظم ما اظهرته الحفائر الاثرية هو مدينة الفسطاط أول عاصمة اسلامية أسست فى مصر ، وثالث مدينة خططها المسلمون . ولا تقف أهمية هذا الكشف عند حد استظهار أطلال الدور والمصانع ، والوقوف على تخطيط المدن الاسلامية بشوارعها الضيقة المتعرجة ، بل يمتد الى تعريفنا بما وصل اليه اجدادنا ، فى العصور الوسطى ، من الرقى فى الصناعات المختلفة : من خشب وخزف ، وفخار وزجاج ، ونسيج وعاج ، ومعادن ومنسوجات ، ومجموعة دار الآثار العربية خير ما يشهد بذلك

قصر المشتى

وقصر المشتى الذى أنشأه الخليفة الاموى (الوليد الثانى) فى صحراء البلقاء (شرق الاردن) على بعد عشرين ميلا من عمان ، يجلو علينا صورة صادقة لنشأة فن العمارة الاسلامية



بعض زخارف قصر « المشتى » المتأثرة بروح الفن الفارسى

أنموذج آخر لزخارف القصر المتأثرة بالفن القبطى

فهذا القصر ـ وغيره من القصور الاموية المنثورة أطلالها فى بادية الشام مثل قصير عمرو ، وقصر الحلبات ، وقصر الحير ، وقصر الطوبة ـ متأثر فى تصميم جدرانه الخارجية بالحصون الرومانية التى كانت تمد من خليج العقبة حتى دمشق ، ومن دمشق حتى تدمر . أما التخطيط الداخلى فقد اختلف تبعا لاختلاف الغرض الذى شيد من أجله القصر ، وتباين تبعا لتباين العرب عن الروم فى العادات والدين

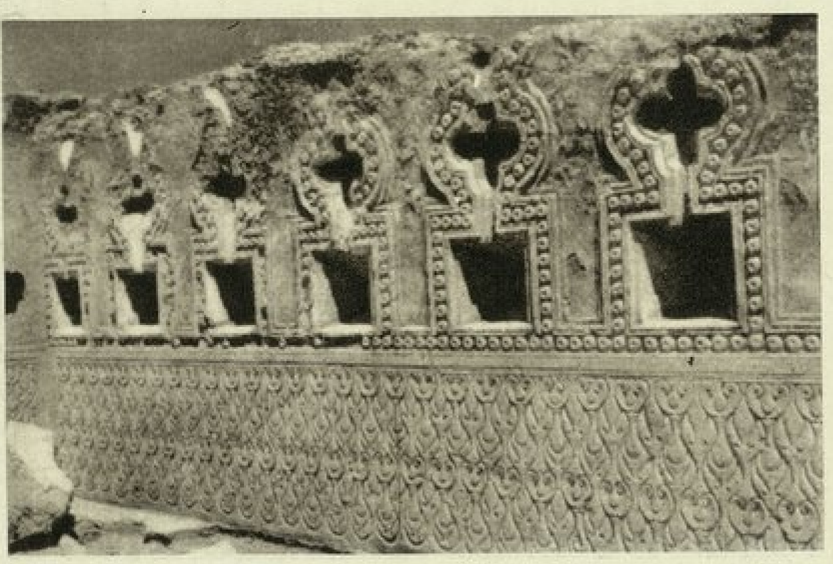
صورة راقصات وجدت بقصر الجوسق

وتنم زخارف قصر المشتى عن اختلاف جنسية أولئك الذين رسموها ثم حفروها فى الحجر ، اذ نستطيع أن نميز فيها بسهولة عناصر زخرفية مستمدة من الفن القبطى ، وعناصر مأخوذة من الفن الساسانى ، وعناصر ترجع فى أصلها الى الفن السورى السابق على الاسلام . ومرجع ذلك هو تلك السياسة التى كان يسير على نهجها الامويون فى اقامة منشآتهم اذ كانوا يجمعون الطوائف المختلفة للعمال من كافة أنحاء العالم الاسلامى لكى يساهموا ـ كل بصنعته وفنه ـ فى تشييد وتزيين قصور الخلفاء ومساجدهم فى بلاد الشام مقر دولتهم

فنحن هنا فى الواقع أمام مزيج من فنون مختلفة لم يهضمها العرب بعد ولم يكن قد تمثلوا عناصرها المتباينة حتى يخرجوا لنا ذلك الفن الرائع الذى نراه فى قصور مدينة « سر من رأى »

مدينة « سر من رأى »

ومدينة « سر من رأى » أو « سامرا » كما يسميها الاجانب لها بين الآثار الاسلامية مكانة ممتازة ، فاسمها اليوم علم على طرز معينة من الزخرفة . أسسها ـ فى بلاد العراق ـ المعتصم أحد خلفاء الدولة العباسية ، وسكنها بعده خلفاء سبعة من هذه الدولة رصعوا جوانبها بقصور فخمة أهمها الجوسق الخاقانى ، والهارونى ، وبلكوارا ، والمختار ، وقصر العاشق . وعلى أسنة معاول علماء الآثار نفضت الاكفان عن هذه القصور فانبعثت من تحت الرمال التى طمرتها قرونا عدة تحدثنا بتخطيطها وما وجد فى أرجائها عن ترف العباسيين وأبهة قصورهم ، وتجلو علينا بزخارفها المختلفة صورة صادقة للفن الاسلامى الخالص بعد أن نضجت شخصيته ، وتجلت لنا خصائصه ممثلة فى الميل الى تنسيق الصور التى تنقل عن الطبيعة وتهذيبها تهذيبا يبتعد بها بعدا شاسعا عن الاصل الذى نقلت عنه . وقد درست هذه الزخارف دراسة وافية ، وقسمها



قطعة فنية رائعة من زخارف قصر « بلكورا » أحد قصور مدينة « سر من رأى » التى تنطق زخارفها المختلفة بتفنن خلفاء العباسيين فى تزيين قصورهم وتكشف عن جمال الفن الاسلامي فى ذلك الحين


صورة على الجص وجدت فى الحمام الفاطمى

العلماء بحسب عصورها الى أقسام مختلفة ، أقدمها قريب الشبه من زخارف قصر المشتى سالف الذكر مما يدل على اختلاف أغراضها وجنسية الذين رسموها

المنزل الطولونى

وفى مدينة « سر من رأى » كان يعيش أحمد بن طولون قبل أن يلى الحكم فى مصر ، وكانت لها فى نفسه مكانة سامية ، يعجب بقصورها ، ويرتاح الى زخارفها ، لذلك نراه بعد أن أمسك بزمام الامر فى مصر يعمل على جعل مدينة القطائع التى أنشأها مشابهة لها . وفى المنزل الطولونى الواقع فى أول القطائع من الجنوب والذى كشفت عنه دار الآثار العربية ما يؤكد لنا ذلك ، فهذا المنزل فى تخطيطه يسير على نهج دور سامرا ، ويترسم فى زخارفه خطا الطراز الثالث لزخارف تلك المدينة

الحمام الفاطمى

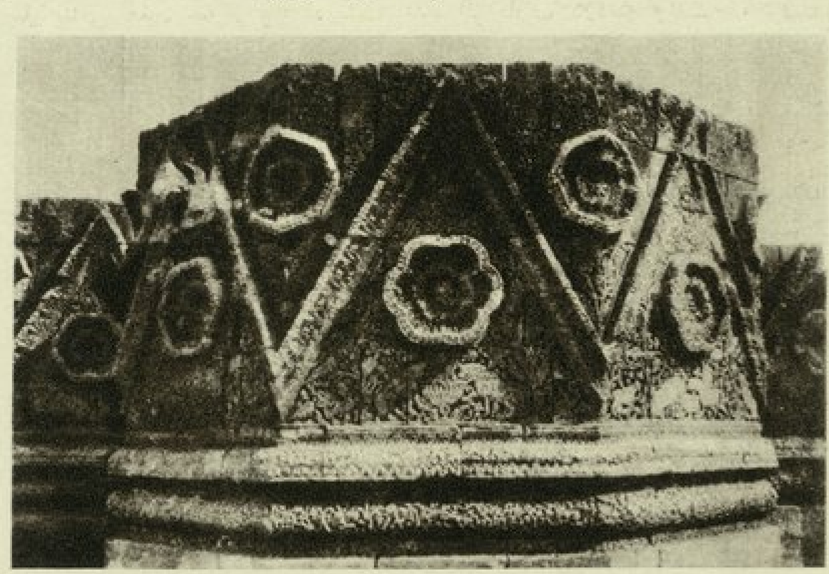
وبالقرب من المنزل الطولونى كشفت دار الآثار العربية عن أقدم حمام اسلامى فى مصر اذ دلت زخارفه على انه يرجع الى العصر الفاطمى

وليست الحمامات من ابتداع العرب ، بل عرفها قبلهم المصريون القدماء كما عرفها اليونان والرومان . وقد سار المسلمون فى تخطيط حماماتهم على النهج الرومانى الذى وجدوه بين ايديهم ، وتحدثوا عنها طويلا فى كتبهم فذكروا صفاتها ومزاياها وآدابها ، وبينوا ما كان لها من أثر عظيم فى الحياة الاجتماعية فى العصور الوسطى ، ووصفوا ما ازدانت به جدرها من صور جميلة واوضحوا ما لهذه الصور من أثر فى نفوس المستحمين ولقد تأيدت أقوالهم بما كشفت عنه الحفريات الاثرية من صور

* * *

هذه اشارة موجزة لاهم الآثار الاسلامية التى اكتشفت فى مدى الخمسين عاما الاخيرة ، قصدنا بها لفت الانظار الى هذه الآثار فحسب

محمد عبد العزيز مرزوق


تعتبر واجهة قصر المشتى وقاعاته من أروع مخلفات الفن الاسلامى وآثاره . وها هى ذى قطعة من أطلال تلك الواجهة التى تجلو لنا زخرفتها صورة صادقة لنشأة فن العمارة الاسلامية

الاكتشافات الفرعونية

بقلم الأستاذ محرم كمال

مدير المتحف المصرى

ليس هناك من شك فى أن أهم اكتشاف وفق اليه عالم أثرى فى الخمسين السنة الاخيرة ، هو الاكتشاف الذى أدى الى العثور على مقبرة الملك توت عنخ أمون بالشاطىء الغربى من طيبة (مدينة الاقصر الحالية) كما أن الظروف التى أدت الى هذا الكشف هى فى تفصيلها وجملتها أشبه شىء بالقصص الروائية التى تسلسل حوادثها متدفقة فى دقة وحبكة فنية فتنقل القارىء من موقف بديع الى آخر مثير حتى تبلغ القمة من الروعة وحسن التأليف

ولكى يحيط القارىء الكريم بهذه القصة الشيقة (ولنسمها قصة اكتشاف مقبرة توت عنخ أمون) يجب علينا أن نعود به خطوة الى الوراء ، فنذكر له شيئا عن الاكتشافات الاثرية التى تمت فى وادى الملوك بطيبة قبل هذا الاكتشاف العظيم بنحو عشرين سنة

ففى عام **١٩٠٢** كان ثرى عجوز يدعى تيودور ديفز Theodore Davis يقوم برحلة فى النيل فأعجب بجو الوجه القبلى اعجابا شديدا دعاه لان يشترى « ذهبية » قرر أن يقضى فيها شتاء كل عام الى جوار طيبة (الاقصر) . وتشاء المصادفة أن تكون اعتمادات مصلحة الآثار فى هذه السنة قليلة لا تقوى على الحفر ونفقاته فيعرض هذا الثرى على المصلحة أن يعطى مبلغا من المال لمستر هوارد كارتر – الاثرى المعروف الذى اكتشف فيما بعد مقبرة الملك توت عنخ أمون ، وقد كان كبيرا لمفتشى الآثار فى هذا الوقت – لكى يقوم باستئناف الحفائر فى وادى الملوك . وغنى عن البيان أن المصلحة قد رحبت بهذه الهبة على أساس أن يعتبر المستر دافيز نفسه كممول يقوم بالصرف على الحفائر بدلا من المتحف المصرى ، دون أن يعطيه هذا الاعتبار أية حقوق بامتياز ما



التمثال النصفى للملكة نفرتيتى بمتحف برلين ويعتبر من أروع آثار الفراعنة

بدأت الحفائر اذن عام **١٩٠٢** ولم يأت عام **١٩٠٣** الا وكانت مقبرة الملك تحتمس الرابع قد اكتشفت وفى السنة نفسها اكتشف المستر كارتر مقبرة الملكة حتشبسوت وتولى الصرف فى كل هذا مستر دافيز الذى أصبح ممولا للحفائر التى تقوم بها الحكومة فى هذه المنطقة التى اختصت بها نفسها فى الاصل

وفى عام **١٩٠٤** حل العالم الانكليزى كويبل Quibell مكان كارتر كبيرا لمفتشى الآثار بالاقصر واستأنف الحفائر بالشروط عينها . وفى السنة التالية (**١٩٠٥**) عين ويجال Weigall كبيرا للمفتشين فاشترك مع كويبل فى الحفائر واكتشفا معا مقبرة يويا وتويا والدى الملكة « تى » . وفى نهاية هذا الموسم غادر كويبل الاقصر ، وفى الموسم التالى لم يستطع ويجال الذى كان مثقلا بأعباء وظيفته الرسمية – ككبير للمفتشين – الاستمرار فى الحفائر فاتفقت مصلحة الآثار مع مستر دايفز الذى يمول الحفائر على أن يختار مستر أرتون Ayrton واستمرت الحفائر فى السنوات التالية فاكتشفت مقبرة الملكة « تى » والملك « أخناتون »

و « حرمحب » و « سيتاح » وغيرهم

وتشاء الظروف أن يحضر اللورد كارنارفون Lord Carnarvon الى مصر وأن يجتذبه جو الاقصر البديع ورغبته الملحة فى ايجاد عمل يقضى فيه وقته فيتفق مع كارتر – الذى كان قد استقال من خدمة الحكومة المصرية – على العمل ، وابتدأ حفائرهما فى جهات عديدة من جبانة طيبة . وتشاء الظروف نفسها أن يموت ديفز فى أواخر عام ١٩١٢ فينتهز كارتر الفرصة ويرجو اللورد كارنارفون أن يتفق مع الحكومة على منحه ترخيصا بالحفر فى المنطقة التى كان يحفر فيها ديفز أى فى وادى الملوك . وقد تمكن اللورد من الحصول على هذا الترخيص واستئناف أعمال المرحوم ديفز ، ولم يمض وقت طويل على هذا حتى قامت الحرب الكبرى فاضطر اللورد ومدير أعماله الفنى كارتر الى وقف الاعمال حتى انتهاء الحرب

وفى الواقع لم يستأنفا عملهما الجدى فى وادى الملوك الا فى خريف عام ١٩١٧ ، وظل العمل يجرى عاما بعد عام ، وموسما يليه موسم حتى أشرفا على عام ١٩٢٢ دون أن يصلا الى نتيجة ما ، حتى فكر الاثنان فى ترك العمل أو البحث عن منطقة أخرى يكون العمل فيها أجدى وأكثر نفعا

الملك المصرى الشاب توت عنخ آمون وعلى رأسه التاج ذو الاصلال وأمامه زوجته كما يبدوان فى بعض تماثيلهما

ولكن المصادفة وحدها يحدوها الحظ الحسن دعت أحدهما (كارتر) الى أن يحفر فى منطقة تقع بجوار مقبرة رمسيس السادس كانت مشغولة فى هذا الوقت بمبان هشة للعمال القدماء . . كانت محض فكرة طارئة يريح كارتر بها ضميره قبل أن يطلق العمل فى هذه الجهة التى لم تورثه حتى هذا الوقت الا التعب والجهد والألم . ولكن هنا يلعب الحظ دوره ، وهنا تبدأ القصة المثيرة التى نقتطف بعض تفصيلاتها ملخصة عن مذكرات كارتر نفسه :

أول نوفمبر عام ١٩٢٢ – بدأنا الـ فى منطقة يغطيها عدد من أكواخ العمال الذين ربما كانوا يعملون فى حفر مقبرة الملك رمسيس السادس ، وهذه المنطقة تقع أمام مقبرة رمسيس السادس نفسها



« نفر » رئيس الخبازين ، وهو من أبدع التماثيل المحفوظة بالمتحف المصرى

٤ نوفمبر صباحا – أعلن عمال الحفائر أنهم وجدوا درجة محفورة فى الصخر تحت أحد الاكواخ فواصلنا العمل والتنظيف الى أن ظهر مدخل فى الصخر أسفل مدخل مقبرة رمسيس بأربعة أمتار

٥ نوفمبر – استمر العمل فى التنظيف ورفعت أكوام عديدة كانت تغطى القطع الذى ذكرناه أمس فظهرت الاجزاء العليا من سلم أخذنا فى تتبعه فظهرت ست عشرة درجة يليها باب مغلق عليه أختام جبانة طيبة الملكية . حفرنا ثقبا فى الحائط الذى يسد الباب لنرى ما يليه فظهر أن الدهليز الذى يلى الباب مسدود بالاتربة والاحجار

٦ نوفمبر – أرسلت برقية للورد كارنارفون (الذى كان فى انكلترا حينذاك) نصها : « وفقنا أخيرا الى كشف عظيم فى وادى الملوك ، مقبرة فخمة أختامها سليمة ، ردمناها لحين حضوركم – تهانئى »

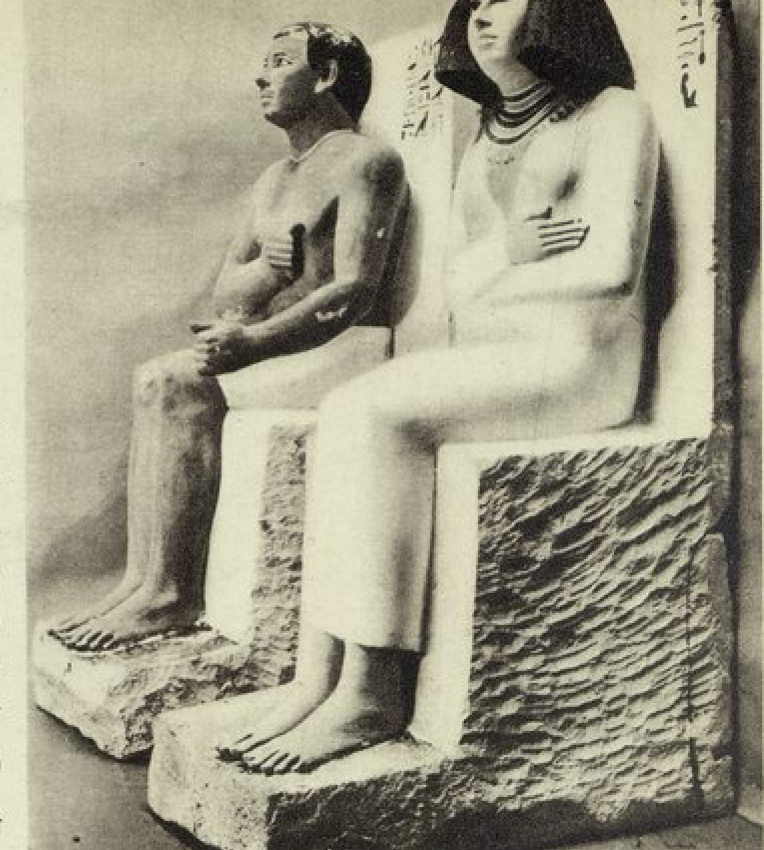
٨ نوفمبر – وصلتنا من اللورد برقيتان احداهما نصها : « يرجح حضورنا قريبا » والاخرى : « نصل الاسكندرية يوم ٢٠ »

٢٤ نوفمبر – فتحنا الحفرة ثانية بحضور اللورد وكشفنا درجاتها

حتى وصلنا الى الباب المغلق فاذا به مختوم تعلوه أختام الجبانه الملكيه (جبانة طيبه) وتحتها أختام تتضمن اسم الملك توت عنخ أمون

٢٥ نوفمبر – بعد أن نقلنا الاختام الملكية التى على الباب وصورناها أزلنا الحائط الذى يسد الباب المغلق فاذا به يفضى الى دهليز هابط بعرض سلم المدخل يبلغ ارتفاعه نحو المترين وهو مملوء بالاتربة والاحجار ، فظهر على بعد ثمانية أمتار من الباب الخارجى ، باب آخر مختوم يشبه الباب الاول عليه أختام الجبانة الملكيه وأختام الملك توت عنخ أمون . أحدثنا ثقبا فى الجانب الايسر من أعلى الباب أدخلنا فيه قضيبا من الحديد كمسبار للتجربة فأظهر ان ما يلى الباب فارغ وليس مسدودا كالدهليز الذى سبق تنظيفه . عند ذلك أدخلت فى الثقب نورا ونظرت وقد وقف خلفى اللورد كارنارفون وابنته ينتظران فى شوق ولهفة . لم يمكننى أن أرى شيئا فى المبدأ ، ولكن عند ما تعودت عيناى على النور بدأت محتويات الغرفة تظهر شيئا فشيئا من الظلام ، بدأت تظهر أشكال غريبة وحيوانات مدهشة وتماثيل وذهب يأخذ بريقه بالابصار ، كان كل ما فى الحجرة يتوهج ويتألق

٢٧ نوفمبر – بعد ما أخذنا المذكرات الكافية عن هـذه الاختام وصورناها أزلنا الحائط الذى يسد هذا الباب فظهرت حجرة مستعرضة (سميناها الردهة) كدست بأثاث ومحتويات يأخذ بريقها بالابصار ،

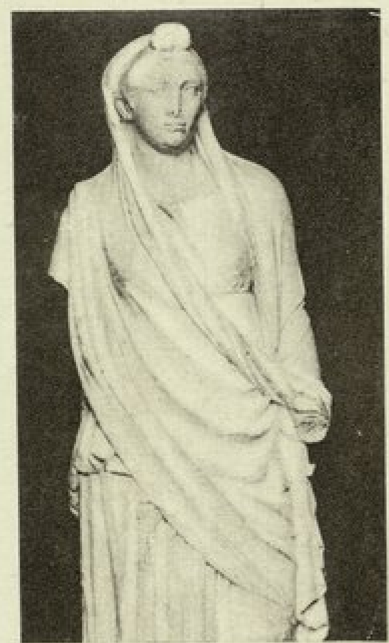


الأمير الملكى « رع حتب » وزوجته « نفرت » وتمثالاهما من أكثر التماثيل المصرية اظهاراً للحياة وحفظاً للالوان

كلها ثمينة قد بلغت من الجمال غايته . الى يمين الغرفة وجدنا بابا مسدودا يحرسه تمثالان كبيران . وتجاه الباب الذى دخلنا منه وجدنا ثلاثة أسرة جنازية وقطعا عديدة من الاثاث مغطاة جميعها بصفائح من الذهب الخالص تتألق تألق الشمس فى رائعة النهار

٢٩ نوفمبر – تم افتتاح المقبرة الرسمى وقد اشترك فيه كثير من الشخصيات الرسمية

الى هنا نكتفى بهذا القدر من القصة ولعل القارىء قد أحس فيها بتلك اللحظات الرهيبة التى يحياها عالم الآثار وهو يعمل فى حفائره ، لحظات الأمل والرجاء والرهبة والانتظار والشوق واللهفة .. بل والنجاح والخيبة أيضا

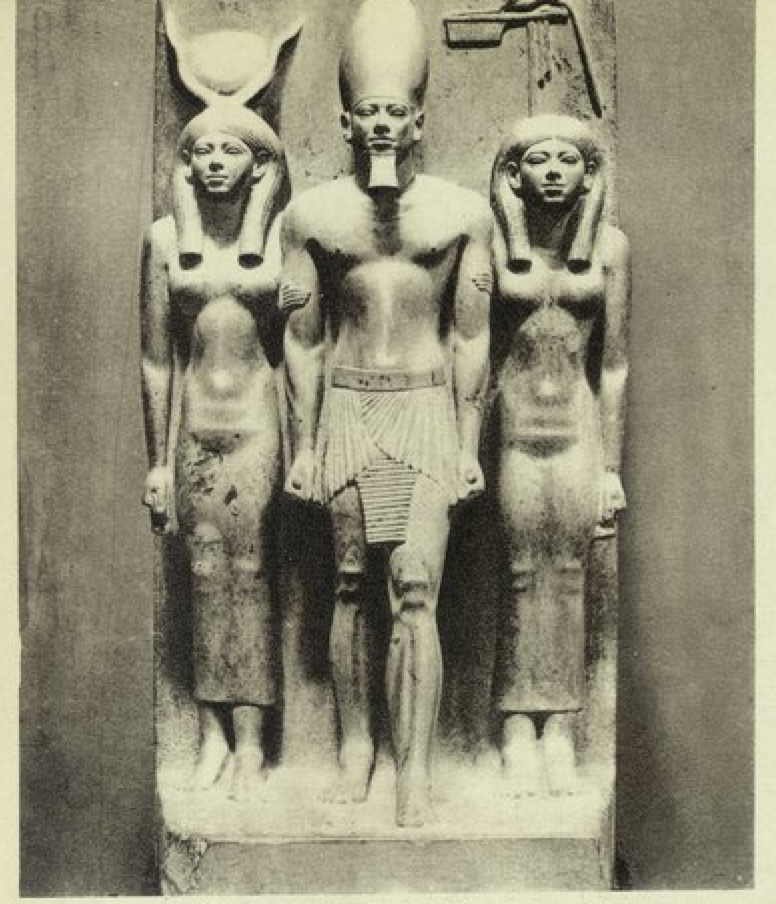


تمثال بديع من المرمر لامرأة رومانية كشف عنه فى «البهنسا» سنة ١٩٢٠

كشف مقابر تانيس (صان الحجر)

وقد وفقت البعثة الفرنسية خلال عام ١٩٣٩ الى العثور على الحجرة التى دفن فيها ملك يدعى ششنق من ملوك الاسرة الثانية والعشرين ووجدت فيها تابوتا من الفضة على هيئة مومياء برأس باشق كان يحتوى على جثة هذا الملك (حوالى ٨٤٧ ق.م) . وقد تحللت الجثة برغم تحنيطها بتأثير الرطوبة غير انها وجدت مغطاة بالحلى الذهبية والاحجار الكريمة . وهذه الحلى تشمل شرائط رقيقة من الذهب عليها اسم الملك بالهيروغلفية وقناعا من الذهب على هيئة الملك المتوفى وقلادة على هيئة عقاب رمز الالهة تخبيت ناشرة جناحيها وهى من الذهب ومطعمة بعجينة ملونة ، وأغلفة من الذهب لاصابع اليدين والقدمين ، ومجموعة من حلى الصدر المصنوعة من الذهب مطعمة باللازورد والبلور الصخرى وطائفة من الخواتم والاساور الذهبية المطعمة بالاحجار الكريمة

وفى مارس سنة ١٩٤٠ قامت هذه البعثة برفع كتلة الجرانيت التى



احدى المجموعات البديعة التى عثر عليها بمعبد الملك « منكورع » الاسفل، وهى مصنوعة من حجر « الشست » وتمثل الملك بين الاهتين

كانت بالجانب الغربى من جدار الحجرة التى عثر فيها على التابوت الفضى للملك ششنق (فى مارس سنة ١٩٣٩) السابق ذكره وعندئذ اتضح للبعثة أن هذه الكتلة تسد دهليزا يؤدى الى حجرة جنازية من الجرانيت الوردى لم تعبث بها أيدى اللصوص دفن فيها الملك بسوسنس الاول (١٠٨٥ - ١٠٦٧ ق.م) ثانى ملوك الاسرة الحادية والعشرين

وهذه الحجرة مستطيلة الشكل طولها سبعة أمتار وعرضها ثلاثة أمتار ، وفى نهايتها تابوت ضخم من الجرانيت ، وضعت أمامه على الارض أشياء جنازية . والتابوت مستطيل الشكل زخرفت جوانبه بصورة بارزة وقد مثل الملك على الغطاء راقدا على ظهره فى هيئة أزريس وخلف رأسه الهة جاثية تحمى الملك المتوفى بذراعيها الممدودتين . وبداخل هذا التابوت تابوت آخر من الجرانيت يمثل الملك

وكانت جثة الملك بداخل تابوت من الفضة على هيئة مومياء برأس الملك ، وصندوق التابوت خال من النقوش ، وقد أصابه عطب شديد وتكسر قطعا عند نقله . أما الجثة فقد تحللت بتأثير الرطوبة رغم تحنيطها ، فلم يبق منها سوى العظام ، كما بليت أكفانها ، غير أنها وجدت مغطاة بقناع وصفائح من الفضة المذهبة وبكثير من الحلى الذهبية النادرة والاحجار الكريمة ، من أهمها قلادات من الذهب وأخرى من الذهب واللازورد حفرت عليها أسماء الملك ونص آخر ذكر فيه انه لم يكن لملك غيره قلادة مثلها ، ثم أساور مختلفة من الذهب يبلغ وزن أحدها أربعة أرطال وخواتم من الذهب ونعلان من الذهب فريدا الشكل كانا بقدمى المومياء

وكانت الحجرة الاخيرة من مقبرة بسوسنس التى قامت بفحصها البعثة المذكورة سنة ١٩٤٠ تحتوى على تابوت وأثاث جنازى للملك أمنموبى ثالث ملوك الأسرة الحادية والعشرين ، ولم يكن من المستغرب بحال أن يدفن فى هذا المكان ابن بسوسنس وخليفته فى الحكم . وكان أثاث الملك الجنازى أقل تنوعا وفخامة من أثاث بسوسنس ، على أن كثيرا من القطع تعد فى المرتبة الاولى وتعتبر متممة لمجموعة الجواهر الفاخرة



العالم الأثرى بيير مونتيه أمام التابوت الفضى الذى يحوى مومياء الملك « بسوسنس » ، وقد غطى الرأس بقناع من الذهب حتى أعلى الصدر أشبه بالقناع الذى وجد فى مقبرة توت عنخ آمون

التى حفظتها لنا حفائر تانيس ومنها ما يأتى : قناع آخر من الذهب ، صقر كبير ناشر جناحيه من الذهب والاحجار المطعمة ، عقد مكون من سبعة فروع من الذهب واللازورد يتألف منها شكل ذو خطوط متموجة ، عقد من ثلاثة فروع ، ثلاثة أزواج من الاساور ، جعران للقلب مركب من الذهب ، حلية للصدر مفرغة من الذهب والاحجار ، تميمتان للقلب من اللازورد وغير ذلك من الحلى

حفائر بعثة بلاد النوبة

قامت بعثة بلاد النوبة بعمل حفائر فى مواسم ١٩٣١-١٩٣٣ بجهة قسطول جنوبى أبو سمبل باحدى الجبانات التى يرجع تاريخها بوجه عام الى أوائل العصر البيزنطى ، وهى تحتوى على مقابر تشمل كل منها بئرا بها عدة حجرات كسيت جدرانها بالطوب . ويوصل الى كل مقبرة طريق منحدر ، وتغطيها جميعا كومة هائلة يبلغ ارتفاعها أحيانا ١٨ مترا

وقد وجدت جثث الموتى مرتدية ملابس من الجلد . ووضعت الاطعمة والامتعة الشخصية فى حجرات متعددة . وكانت أبواب المقابر من الخشب المكسى بالبرنز المذهب ، وكانت خيول الحرب ، الخاصة بصاحب المقبرة ، والمطهمة بعدد من الفضة ، تقتل بالفؤوس فى الطريق المنحدر ، كما كانت تضحى العبيد وتنحر الابقار والجمال بالطريقة نفسها

ولم يتوصل الباحثون الى معرفة حقيقة هؤلاء القوم الى الآن . والمعروف انهم كانوا على صلة مع الجنوب بوجه خاص ، ويظهر انهم كانوا يملكون عبيدا من النوبيين . وتدل الاصابات الكثيرة التى وجدت بالجثث ، وكذا كثرة الاسلحة التى عثر عليها ، أنهم أقوام متوحشون ميالون الى القتال

كشف مدفن الملكة « حتب حرس »

زوجة « سنفرو » ووالدة الملك « خوفو » بجوار هرم الجيزة الأكبر

فى مارس سنة ١٩٢٥ كشف على مسافة مائة متر من الجانب الشرقى لهرم الجيزة الاكبر ، بئر لم تمسسها يد انسان ، ملئت بالمبانى ، ولما رفع الحشو لوحظ أن حجرة الدفن ، وهى على بعد ٣٠ مترا تحت سطح الارض ، كانت على حالها أيضا وبها تابوت مغلق من المرمر ، وبقايا مظلة كبيرة من الذهب ، ومجموعة من أثاث جنازى آخر ، وصناديق مزينة أو مكسوة بالذهب ، وأوان من الذهب والنحاس والمرمر والفخار ، وأدوات للزينة من الذهب وغيره من المواد الاخرى ، وخلاخيل أو أساور من الفضة ، وآلات من النحاس الاحمر .. الخ . وقد نقش على السرير والمظلة والصندوق الخاص بسحف السرير أسماء وألقاب الملك « سنفرو » والد الملك « خوفو » بانى الهرم الاكبر وسلفه فى الحكم ، غير أن النقوش المكتوبة على الاشياء الاخرى تبين أن معدات الدفن خاصة بالملكة « حتب حرس » زوجة « سنفرو » ووالدة « خوفو » . ولم يكن بداخل التابوت شىء ما . وقد وجد صندوق الاحشاء فى فجوة بنى عليها بأحد جوانب الحجرة

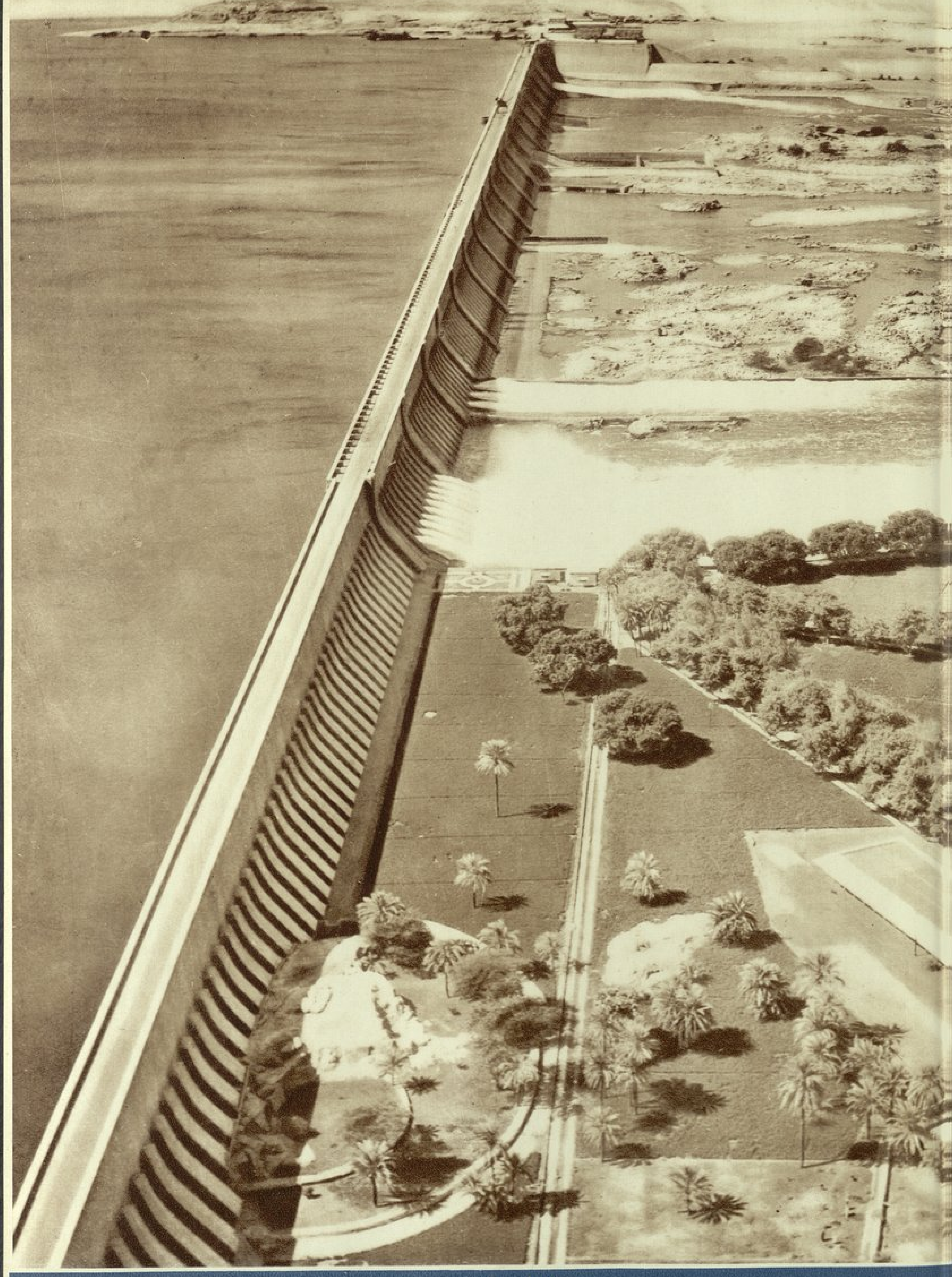
ويظن أن قبر الملكة كان فى مكان آخر يرجح أنه دهشور ، ثم أمر الملك « خوفو » بنقل المدفن كله الى الجيزة ، لان اللصوص كانوا قد سطوا عليه ونهبوه

كشف مجموعة ثمينة من جواهر الأسرة الثانية عشرة

فى عام ١٨٩٤ عثر بجوار هرم بدهشور مبنى باللبن على مجموعة نفيسة من حلى الأسرة الثانية عشرة فى مقبرة لاميرتين . ثم أعقبتها مجموعة أخرى من حلى الأسرة نفسها ، عثر عليها فى مقابر أسرة الملك « أمنمحيت » . ولم ينقطع تيار الاكتشافات الثمينة منذ ذلك الوقت . وقد أخذت الكشوف القيمة تتلو بعضها بعضا منذ ذلك الوقت ، وقد زاد هذه المجموعة قيمة ما عثر عليه فى جبانات صقارة وطيبة واللاهون والجيزة وتلال الدلتا ، حتى صار لا يضارعها الآن مجموعة أخرى فى العالم

محرم كمال


توت عنخ آمون



خزان اسوان

التمثيل العربى

بقلم الأستاذ خليل مطران

ليس للتمثيل عهد قديم فى مصر على ما أعلم ، وانما كان بدء التنبه للتمثيل فى أيام المغفور له الخديو اسماعيل . ولما لم يكن للمسرح ولا للقصة المسرحية العربية وجود آنئذ ، انصرفت مساعدة الحكومة الى التمثيل الاجنبى . فبنى مسرح « الكوميدى » بالازبكية واحتفل بافتتاحه فى ٤ من يناير سنة ١٨٦٨ ، ثم بنيت دار الاوبرا سنة ١٨٦٩ وكان داعى انشائها الاحتفال بافتتاح قناة السويس حتى لقد تم بناؤها فى خمسة أشهر ، وبلغت تكاليفها ١٦٠ ألف جنيه ، ومثلت فيها مساء ٢٩ نوفمبر سنة ١٨٦٩ أوبرا « ديجوليتو »

ثم عهد الخديو اسماعيل الى الموسيقار الايطالى المشهور « فردى » فى تلحين أول أوبرا مصرية لتمثل بدار الاوبرا فوضع له العلامة الفرنسى ماريت باشا قصة « عائدة » ليصور ألحانها ، ومثلت بالقاهرة لاول مرة فى ٢٤ من ديسمبر سنة ١٨٧١ فنالت نجاحا عظيما . ومن ذلك الحين جعلت الحكومة تستوفد الفرق الاجنبية وتغدق عليها الاموال والهبات حتى بلغ ما صرف على أفراد احداها فى شتاء احدى السنين ١٢٠ ألفا من الجنيهات ! ولا غرابة فى ذلك فقد كانت الممثلة الواحدة تتقاضى أحيانا ألفا ومائة جنيه فى الشهر !

أما المسارح التى وجدت بعد دار الاوبرا وأنشأها أفراد على التعاقب فهى فى القاهرة مسارح « بوليتياما » و « عبد العزيز » و « فردى » و « دار التمثيل العربى » و « برنتانيا » و « عباس » و « الكورسال » و « حديقة الازبكية » و « برنتانيا الجديد » و « ريتس » و « البسفور » . وفى الاسكندرية مسارح « زيزينيا » و « الفيرى » و « الهمبرا »

وكانت أول فرقة عربية عرفت فى مصر فرقة قدم بها من بيروت سليم نقاش وأديب اسحق ويوسف الخياط ، فمثلت على مسرح زيزينيا بعض الروايات ثم انتقلت الى القاهرة . وباذن من المغفور له الخديو اسماعيل سنة ١٨٧٨ سمح لها بدار الاوبرا فمثلت فيها لاول مرة باللغة العربية ، وحضر سموه أولى رواياتها



دار الاوبرا الملكية كما تبدو من الخارج ، وقد ظهر على مقربة منها تمثال البطل الفاتح ابراهيم باشا



لوحة تذكارية للشيخ سلامة حجازى بدار الاوبرا الملكية

وظلت دار الاوبرا تابعة لوزارة الاشغال الى أن ألحقت بوزارة المعارف بمرسوم مؤرخ فى ٤ من ابريل سنة ١٩٢٩ فتوالت عنايتها عاما بعد عام بتنظيم مواسمها وجلب كبريات الفرق التمثيلية من أوربا على اختلاف أنواعها بين كوميدى وأوبرا لاحياء الليالى فى تلك المواسم بما يكفل للمصريين والجاليات الاجنبية الوقوف على أشهر المحدثات الفنية ، ويهيىء للطلبة المصريين ثقافة علمية وخصوصا فى الروايات المقررة عليهم باللغة الانجليزية

التمثيل العربى

وأول من خطر له ادخال هذا الفن فى لغة الناطقين بالضاد هو المرحوم مارون النقاش لسبعين سنة مضت اذجمع فرقة من الشبان الذين استصلحهم له فى بيروت ، وترجم بعضا من روايات موليير ترجمة جاءت أشبه بالتأليف لحسن تصرف الرجل فيها ومراعاته للذوق العربى . ولم تقدم تلك الفرقة هذا القطر ولكن شدة الاشتراك المتصل بين الشام ومصر ولا سيما منذ ابتدأ هذا العصر لا تدع فرجة للفصل بينهما فى تاريخ الادبيات والمعنويات ، ففرقة مارون النقاش لبثت حيث نشأت الى أن انحلت ، ولكن رواياتها « البخيل » و « الحسود » و « أبا الحسن المغفل » جابت التخوم الى وادى النيل ، وظلت تستعاد فى مسارحنا أمدا غير يسير

وأعقب مارون قريب له معروف بين أدباء المحروسة فى زمانه وهو المرحوم سليم النقاش . وسليم هذا أول من أنشأ فرقة للتمثيل بمصر باتفاق بينه وبين الحكومة أوجبت على نفسها بمقتضاه امداده بالمال والترخيص له باستخدام الاوبرا زمنا معلوما لتمثيل رواياتها وأشهر تلك الروايات « المظلوم » و « مى » و « المقامر » و « عائدة » و « اندروماك » . ولكن هذه الفرقة انحلت بعد حين فنهض المرحوم يوسف خياط بتكوين جماعة أخرى يساعده أخوه المرحوم أنطون خياط ، ثم تلاهما المرحوم سليمان القرداحى فجمع جماعة لم تقصر تمثيلها على مصر بل تنقلت بين الشام وتونس غير مرة ، وأرت أهل الغرب العربى أشياء من روائع هذا الفن لاول ما رأوها

فى أثناء تلك المدة كان المرحوم أبو خليل القبانى قد أخذ يجمع فرقة بدمشق الشام وطفق بوحى فطرته يخلق للعربية نوعا جديدا للتمثيل هو خليط من هزل وجد وكلام وغناء يعرف عند الافرنج « بالاوبريت » وابدع ضربا حديثا يسميه الغربيون « باليه » واسمه عندنا رقص السماع ، فصادف النجاح الذى كان به خليقا عند السواد الاعظم . وقد حمل أبو خليل بعد قليل فرقته الى مصر ، ومصر يومئذ كعبة القصاد من فاقدى حرية القول والكتابة فى بلادهم ، فشرع يعرض ما لديه والامة فرحة به مقبلة عليه



لوحة تذكارية للشيخ سيد درويش بدار الاوبرا الملكية

وفى تلك الايام عينها كان المرحوم اسكندر فرح وفى فرقته المرحوم الشيخ سلامه حجازى يبلى البلاء الحسن ليجلب الجمهور ويستعيد للنوع الذى آثره ما يعربه بعض أقطاب الادب آنئذ بمصر . بعد ذلك تلاشت فرقة المرحوم أبو خليل القبانى ، ثم انفصل الشيخ سلامه حجازى من اسكندر فرح وأسس فرقته التى لقيت نجاحا كبيرا يرجع الفضل فيه لهمة الشيخ وثباته وسخائه وخصوصا لاحداثه ألحانا شائقات ، وتطبيقه اياها على قصائد مما تقوى به أغراض الرواية فى القلوب والاذهان ، ويستمد به الخيال من ظاهر الحقيقة غاية التشويق والتطريب

فى هذه الفرقة تخرج غير واحد من مهرة الممثلين . وقبل الحادث الأليم الذى أفضى الى انحلالها انفصل منها الاستاذ عبد الله عكاشة



لوحة تذكارية للاستاذ عبد الرحمن رشدى بدار الاوبرا الملكية

وألف فرقة ، وفى نفس الوقت أيضا ألفت فرقة الاستاذ جورج أبيض ، ثم فرقة الشيخ سلامه وأبيض ، ثم فرقة أبيض مستقلا للمرة الثانية ثم فرقة الاستاذ عبد الرحمن رشدى على أثر انفصاله من فرقة أبيض ، ثم فرقة شركة ترقية التمثيل العربى أسسها الزعيم الاقتصادى المرحوم محمد طلعت حرب باشا ، وتولى ادارة العمل فيها عبد الله أفندى عكاشه وأخواه ، ثم ألفت فرقتا الاستاذ يوسف وهبى والسيدة فاطمة رشدى وازدهرتا ازدهارا كبيرا غير انه ويا للاسف لم يطل أمده . ثم ألفت فرقة السيدة فكتوريا موسى ففرقة اتحاد الممثلين بامداد من وزارة المعارف ولم تطل مدتها

وكل من هذه الفرق أتت بحركة جديدة للمسرح العربى وعرضت للجمهور من القصص المعربة والمؤلفة التى شجعت كاتبيها واستكثرت عددهم ما زاد الجمهور اقبالا على التمثيل ورغبة فيه واطلاعا على مختلف أنواعه ، فكان ذلك فضلا لا يجحد لواحدة من تلك الفرق ولا لتضحيات الذين ضحوا بأموالهم فى سبيل قيامها

القصة المسرحية

وكان مما يذكر لها بالحمد أيضا أن اشتغل بتأليف القصة المسرحية أو بترجمتها اناس من نخبة شعراء العربية وأدبائها نعد منهم بترتيب زمانهم المرحومين الشيخ نجيب الحداد ، وطانيوس عبده ، ومحمد تيمور ، والياس فياض ، وفرح أنطون ، واسماعيل عاصم ، وشوقى ، ومحمد مسعود ، وعبد الرحمن رشدى . ومن الاحياء مد الله فى أيامهم الاساتذة توفيق الحكيم ، وابراهيم رمزى ، وأحمد رفاعى ، ومحمد المغربى ، ومحمود عزمى ، ويوسف وهبى ، وعمر عارف ، ويحيى مسعود ، وابراهيم جلال ، وصالح جودت ، وبديع خيرى ، وعباس علام ، وعباس حافظ ، وسليمان نجيب ، وعبد الوارث عسر ، وحسين رمزى ، وجورج مطران ، وكاتب هذا المقال . وقد يكون من المؤلفين من فاتنى عن غير قصد ذكر أسمائهم فاعتذر اليهم

أما الروايات المؤلفة والمقتبسة فمما تعى الذاكرة منها بلا ترتيب فى الزمن « مجنون ليلى » و « عنترة » و « مصرع كليوباطره » و « قمبيز » و « على بك الكبير » لشوقى ، و « صلاح الدين الايوبى » و « ثارات العرب » لنجيب الحداد ، و « ابو الحسن المغفل » لمارون النقاش ، و «المأمون» لاحمد فريد الرفاعى ، و «طارق ابن زياد» لديمترى سماط ، و « العمدة » لابراهيم جلال ، و « هدى » و « هو الحب » لعمر عارف ، و « أهل الكهف » و « سر المنتحرة » و « شهرزاد » لتوفيق الحكيم ، و « الدرة » و « أبطال المنصورة » و « الحاكم بأمر الله » و « البدوية » لابراهيم رمزى ، و « عبد الرحمن الناصر » لعباس علام ، و « الايمان » لصالح جودت ، و « صلاح الدين ومملكة أورشليم » للمرحوم فرح أنطون ، و « القضاء والقدر » لكاتب هذه السطور

أما الروايات المترجمة فتعد بالمئات بين جدية وهزلية ، عن الفرنسية والانجليزية والالمانية والايطالية



لوحة تذكارية للاستاذ محمد تيمور بدار الاوبرا الملكية

معاونات وزارة المعارف

لما تضافرت العوامل وكانت جمة ومتنوعة على اضعاف المسرح العربى



مسرح الاوبرا الملكية وقد ظهرت الى الجانبين المقصورتان الملكيتان

وأصابه الكساد لانصراف الناس عنه الى السينما وغيرها من الملاهى الاخرى قامت الوزارة بمحاولات عدة لاقالته من عثرته ، فرفعت مقدار الاعانة ووكلت أمرها الى لجنة ألفتها لذلك ، كما رأت أن تغذى المسارح ببعض الروايات ذات الشهرة العالمية فعهدت الى طائفة من الكتاب فى ترجمة بعض روائع الادب الغربى ترجمة نموذجية عالية ، طبعت فيما بعد على حساب الوزارة ، ونظمت فى الوقت نفسه مباريات للتأليف المسرحى لتشجيع الاقلام المصرية ، وصرفت جوائز مالية للروايات التى تنال القبول ، كما أنشأت معهدا لتعليم الممثلين وتخريجهم ، حولته الى قاعة للمحاضرات التمثيلية تشمل فن الالقاء والاخراج ونشر الثقافة المسرحية ومضت فى اعانة مديرى الفرق التمثيلية العاملة والاندية الادبية والممثلين الذين تبينت كفاياتهم على أن يثابروا فى عملهم ويصلحوا من شؤونهم

غير أن هذه المحاولات لم تنجح لاختلاف المشارب وتنوع الاهواء ، وسار التمثيل من سىء الى أسوأ ، ففكرت الوزارة فى تأليف لجنة باسم لجنة ترقية المسرح المصرى لتدبر الوسائل الحاسمة التى يستطاع بها انهاض التمثيل العربى وجعله فى المستوى الفنى اللائق بالبلاد

وقد ألفت هذه اللجنة الفرقة القومية المصرية منذ شهر اغسطس سنة ١٩٣٥ وقررت لها الحكومة اعانة كانت فى البدء ١٥٫٠٠٠ جنيه ثم خفضت الى ١٣٫٠٠٠ ثم الى عشرة آلاف جنيه من بدء الحرب

ولكن هذه الفرقة حلت هى الاخرى بعد سبع سنوات من تأليفها لان الحكومة رأت ان تضم اليها عناصر شعبية وغنائية وسيبدأ بهذه التجربة منذ الموسم المقبل

وفى مصر عدا الفرقة القومية فرقة للاستاذ نجيب الريحانى وفرقة للاستاذ يوسف وهبى ، الاولى للنوع الفكاهى والثانية للنوع الجدى باللغة العامية وكلتاهما فى حالة مادية حسنة

خليل مطران

الفنون الجميلة

بقلم الأستاذ محمد حسن

مراقب الفنون الجميلة بوزارة المعارف

لا يؤرخ كاتب للفنون الجميلة الا ذكر مصر القديمة فى الطليعة . وفنها نسيج وحده الذى لم تأخذه عن غيرها وانما صدر عن نفسها . ولقد كانت له عند القوم المكانة العليا ، ولا غرو فهو لم يكن من نوافل الحضارة وترفها كعهدنا به اليوم ، بل كان من مظاهر الدين ورسومه

ثم جاء الاسلام فتجددت الملكة الفنية فى اتجاه جديد ، وظهرت آثار ذلك فى المساجد خاصة . وان لمصر الاسلامية فى تاريخ الفن الاسلامى أحفل الصفحات وأروعها فى العمارة والزخرفة وبعض الصناعات كالزجاج والنحاس المفرغ المنقوش

فلما غشيت مصر غاشية الفوضى واختلت أمورها ، زال الابتكار وجمدت الفنون فبقيت قيودها وقواعدها وزالت عنها الروح ، ثم أخذت فى الاسفاف والانحطاط

حتى اذا كانت الحملة الفرنسية كان من آثارها أن انتعش الفن بعض الشىء . الا أن بداية النهضة انما ترجع الى منشىء مصر الحديثة ساكن الجنان المغفور له محمد على باشا فقد اشتملت بعوثه التى أوفدها الى أوربا للدراسة والتحصيل بعوثا فنية فى الهندسة والرسم والزخرفة ، وقد تولى أصحابها بعد عودتهم أرفع المناصب وأهم المشروعات ونذكر من نوابغهم حسن باشا كوجك واضع رسم مسجد الرفاعى وقد تولى وكالة ديوان الاوقاف وقتئذ

واستأنف هذه النهضة المغفور له الخديو اسماعيل . وكان همه أن يخطو بالبلاد أوسع الخطى حتى تطاول مدنيات الغرب ، وأن يحقق شعاره فى قوله المأثور عنه « ان مصر جزء من أوربا » ونقتصر هنا من برنامجه على الناحية الفنية فقد أنشأ فيما أنشأ مدرسة المهندسخانة ووجه العناية الى مدرسة الفنون والصناعات وكانت معروفة وقتئذ بمدرسة العمليات فضلا عن فرقة الرسم بالمدارس الملكية . ومما يجب التنبيه اليه أن النهضة الفنية فى عصر اسماعيل شملت الموسيقى والغناء والتمثيل الى جانب العمارة والهندسة والرسم عدا التصوير فلم يلتفت اليه

على أن الفنون الجميلة كانت ملحقة بغيرها من الدراسات الاصلية بمدرسة الهندسة ومدارس الصناعات . وكان المبرزون فى الرسم من المتخرجين يختارون معلمين لتدريسه للتلاميذ . وظل الحال على هذا المنوال لا ينظر الى الفنون الجميلة على انها دراسة قائمة بذاتها حتى عام ١٩٠٨

فقد هيأ الله لمصر أميرا من أمرائها الذين كانوا يترددون على بلاد الغرب ويزورون معاهدها ومتاحفها ومعارض الصور فيها ويحبون اقتناء ما يروقهم من تحفها ، هو الامير الجليل يوسف كمال الذى هزته أريحيته أن يعمل على أن يكون لمصر أيضا – مثل ما لكافة الدول المتمدينة – معهد مخصص للفنون الجميلة وأن يلقى فيها فنانين مصريين كالذين يراهم فى سياحاته ويفد بعضهم الى مصر فى طلب تصوير المناظر الاثرية والطبيعية بين النيل والنخيل والرمال المحرقة والشمس المشرقة والغيطان المنسطة فعهد بذلك الى المسيو لا بلانى يعاونه لفيف من الفنانين الاجانب ، وكان لهؤلاء من

صاحب السمو الامير يوسف كمال
مؤسس مدرسة الفنون الجميلة

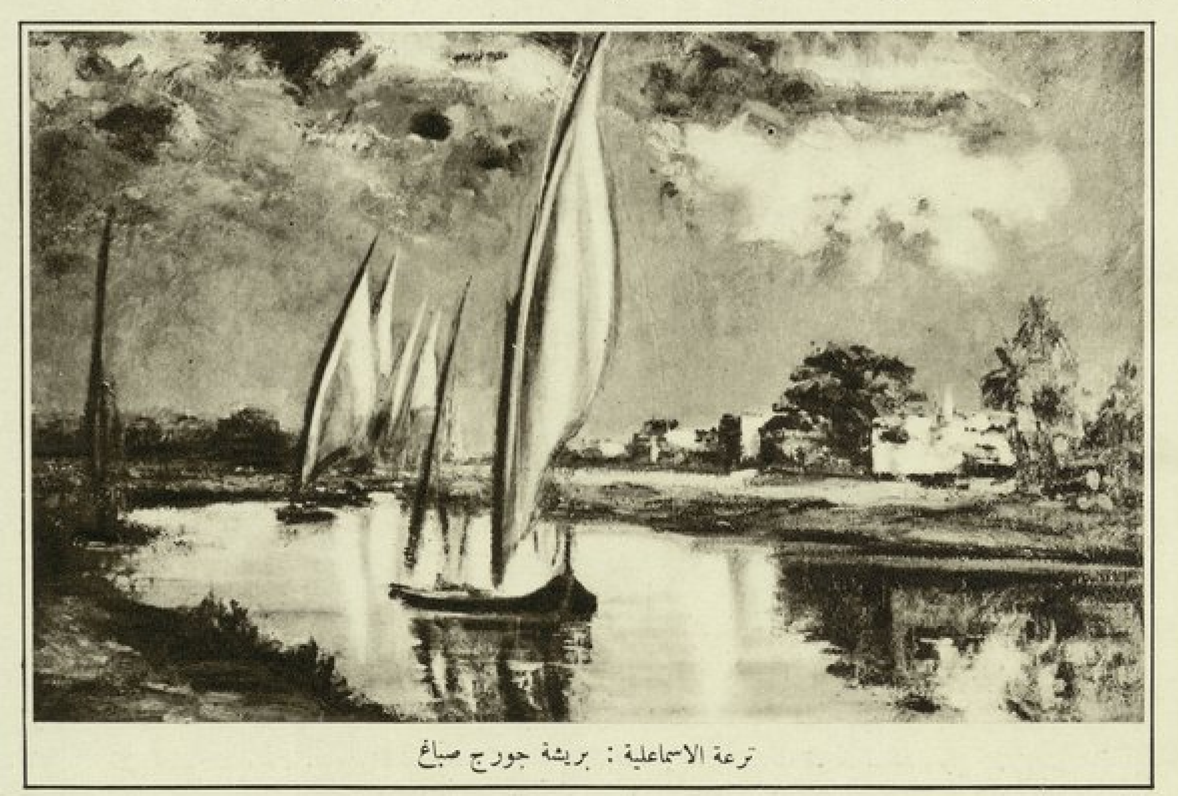
حبهم للفن ما جعلهم يقبلون على تعليم الطلبة ولا يدخرون وسعا فى ارشادهم مع ما كان من جهل المعلمين والمتعلمين كل بلغة الآخر فى بادىء الامر . ولا يتصور القارىء مبلغ ابتهاج الامير وهو يزور المدرسة ويرى تقدم الطلاب ، وكان يجلس لهم جلسة النموذج ليرسموه . وكانت المدرسة فى حى وطنى من أحياء القاهرة . وكان فيها قسمان . قسم نهارى وقسم ليلى وعدد تلاميـذها فى الاعوام الاولى نحو مائتين وخمسين تلميذا ومن بين المتخرجين فيها المثال النابغة المرحوم محمود مختار وغيره من الفنانين المعروفين

وقد ألحقت مدرسة الفنون الجميلة بوزارة المعارف ابتداء من السنة المكتبية **١٩٢٧–١٩٢٨** . الا ان الامير الكريم أبى الا ان يظل مساهما فى انهاض الفنون فخصص عدة ألوف من الجنيهات لايفاد البعوث لاستكمال دراسة الفنون الجميلة فى الخارج

ومنذ ذلك الحين ضاعفت وزارة المعارف من عنايتها بالفنون الجميلة فى جميع مناحيها ولم تزل عنايتها تزداد عاما بعد عام

ولقد وجدت الفنون راعيها الاكبر فى جلالة المغفور له الملك فؤاد الاول ، فشملها فيما شمله من أسباب النهضة بالتشجيع والتوجيه . وجلالته صاحب الرأى فى تأسيس ما تفخر اليوم به مصر من المؤسسات العلمية والفنية الحديثة . وهو أول من استن من ملوك مصر سنة افتتاح المعارض ، ولم يكن ذلك منه تقليدا رسميا بل اهتماما شخصيا بالفنون وقد ساهم الامراء فى هذه الرعاية فأقبلوا وأقبلت العلية من السيدات والسادة على شراء المعروضات تقديرا لها وتشجيعا لاصحابها ، والناس على دين ملوكهم

تمثال نصفى لجلالة الملك : عمل الأستاذ محمد حسن



ترعة الاسماعلية : بريشة جورج صباغ



امرأة : بريشة محمود بك سعيد

ولا أحب أن يفوتنى وأنا بسبيل الاشارة الى أيادى جلالة الملك فؤاد على الفنون وتشجيع الفنانين المصريين أن أذكر أن جلالته عهد الى وأنا ناظر مدرسة الصناعات الزخرفية عمل ثلاثة تماثيل كبار تمثل رئيس الموسيقى الملكية لتكون قائمة فى أوجه ساعة كبرى ويحرك كل منها عصاه القصيرة بحركة مدبرة على موسيقى دقاتها . فاقتضى ذلك سفرى الى الخارج فتم لى درس فن حذقته مصر القديمة ثم خفيت علينا بعد ذلك معالمه ، وهو صب التماثيل البرونزية . ولما عدت صنعت التماثيل التى أسلفنا وصفها وهى فى قصر المنتزه العامر . ويتضح من ذلك أن الفضل فى قيام هذا الفن فى مصر اليوم راجع كله الى جلالته

ومن مظاهر النهضة الفنية فى مصر المعهد الملكى للموسيقى العربية ولا يزال القراء ولا ريب يذكرون المؤتمر الموسيقى الذى دعا اليه جلالة الملك الراحل للمذاكرة فى أمثل الطرق لاصلاح موسيقانا والنهوض بها . ومنها أيضا متحف الفن الحديث الذى أنشىء عام ١٩٢٩ وتضم جدرانه طائفة مختارة من المقتنيات الفنية من صور وتماثيل وتحف بعضها مشترى من الخارج وبعضها من مصر وجميعها لأبرع الرسامين والنحاتين ، ومن بين معروضاته مجموعة نفيسة مهداة من الملك فؤاد الاول تتألف من أنواط ومسكوكات . وهنالك أيضا نواة لمتحف للفنون الشعبية اجتمعت منه مجموعة لا بأس بها معروضة بدار الجمعية الجغرافية الملكية .

وفى طليعة الهيئات المعنية بالفنون جمعية محبى الفنون الجميلة . ولقد أدت لها أجل الخدمات وأبعدها أثرا وليكن مسك الختام لهذه الكلمة ان نذكر بالحمد أن جلالة مليكنا المحبوب فاروق الاول سائر فى اثر



بعض طلبة قسم النحت بمدرسة الفنون الجميلة العليا يصنعون تمثالا لاحدى الفتيات اللواتى يستخدمونهن كنماذج لهم



فنان مصر النابغ محمود مختار



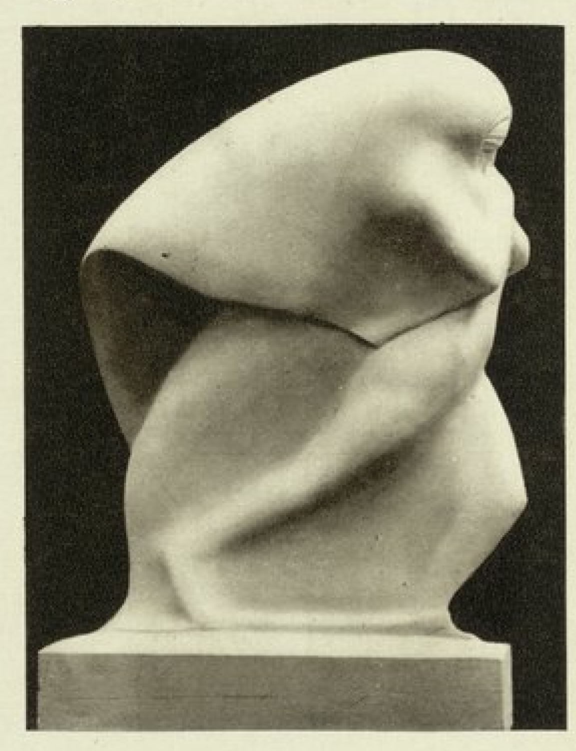
العودة من النهر : أحد تماثيل مختار

والده العظيم فى رعاية العلوم والفنون . وقد اقتضى بره بالفنون الجميلة أن يفتتح معارضها بشراء ما يرى تشجيعه من معروضاتها ، وكذلك شاعت مكارم صاحبة الجلالة الملكة وصاحبة الجلالة الملكة نازلى . وآخر ما جاء من آيات رعايته للنهضة ما لفت اليه من وجوب انشاء متحف للحضارة المصرية عن الاحقاب الغابرة قبل التاريخ الى العصر الحديث

والى جانب هذه الرعاية الرسمية اهتمام خاص من قبل جلالته باستصناع الكثير من الفضيات والتحف بأيدى الفنانين المصريين ، وأمره الكريم بأن يكتب عليها صنع مصر

ومن المحقق أن الفنون الجميلة المشمولة بهذه الرعاية واجدة أمامها باذن الله مستقبلا رائعا جديرا بما كان لها فى هذا البلد الامين من ماض خالد مجيد

محمد حسن



فى يوم من أيام الحسين : من مخلفات مختار



نهضة مصر ـ لمختار

مباحث عربية وغربية

عن الماضي والمستقبل

جغرافية الشرق والغرب
في خمسين سنة

بقلم الدكتور محمد عوض محمد

عام ١٨٩٢ يشرق « الهلال » على العالم العربى ، فينشر شعاعه فى أقطار قد أخذت تفتح أعينها بعد اغماض ، وتنتبه بعد رقاد ، وتنهض بعد طول ركود

العالم كله – شرقيه وغربيه – فى حومة عهد جديد ، مفعم بالاحداث ، يتمخض كل يوم عن خطب جلل ، بعد خطب جلل . الحوادث الهائلة تتابع متلاحقة متزاحمة ، متدافعة تدافع الموج ، لا يعلم الناس اذا أمسوا فيم يصبحون ، واذا مشوا الى أين ينتهون . . والسرعة الهائلة تسيطر على كل ظاهرة . والعالم يسير على بخار وبرق ، لا على دابة وشراع ، كان بالامس يمشى ، وهو اليوم يجرى ، ويمعن فى الجريان

لقد أتم المستكشفون عملهم الذى عهد اليهم ، ورفعوا الغطاء الكثيف الذى كان يحجب أقطارا فسيحة غنية ، تسكنها شعوب « أولية » تعيش على الفطرة . كانت من قبل محجوبة عن الابصار بظلام حالك غليظ ، فاذا هى تبرز لعيون أوربا من بين الحجب : مساحات ضخمة من الارض ، لا تخضع لسلطان أوربى ، ولا ترفرف عليها راية غربية . . أهلها ضعفاء عزل الا من قوس وسهم ورمح عتيق . . ما أجل الغنيمة ، وما أسهل السطو عليها . . ويا لها من لقمة شهية تصيح ألا من يلتهم !

ان العيون الطامحة لتحدق فيها بنظرات براقة . . ثم لا تلبث الدول الكبرى أن تنقض على الغنائم ، تتدافع بالايدى وبالارجل وبالمناكب ، وليس فيها من يترفق أو يستأنى . بل الكل مندفع كالليث ، ينشب مخالبه فى أكبر قطعة تصل اليها يده . . وفى وسط هذا الاندفاع والتكالب الذى يسيطر على العقول والقلوب ، من ذا الذى يستطيع أن يتريث برهة لكى يذكر مبادىء النبل والكرم ، وسنن المسيحية السمحاء ؟

فى عام ١٨٩٢ يشرق « الهلال » على قارة افريقية ، وقد خضعت جميع أقطارها لحكم غريب ، ما عدا دولة الحبش الذين استطاعوا فى عام ١٨٩٦ أن يقفوا غزو الطليان لبلادهم ويحفظوا استقلالهم . أما سائر القارة فمقسم الى مستعمرات أو حمايات أو مناطق نفوذ أو احتلال أجنبى ، وقد فازت بريطانيا فى هذا المضمار بالنصيب الاوفر ، تليها فرنسا ، ثم ألمانيا ، وجاءت ايطاليا متأخرة ، فكان حظها من الغنيمة قليلا

استطاعت دول أوربا أن تتفق على هذا التقسيم دون أن تشب بينها حرب ، أو تسفك دماء . ولكن هذا التناحر والتزاحم ، هذا التسابق الى الفتح والإستيلاء ترك النفوس تتقد غيظا وحنقا ، والقلوب تملؤها الحزازات والاحن والاضغان ، واندملت الجراح على فساد دفين ، لم يلبث أن أخذت آثاره تبدو دميمة بشعة المنظر ، فى هذه الخمسين عاما المليئة بالاحداث والاهوال . . أجل وليس من الاسراف فى شىء أن نزعم أن التكالب والجشع الاستعمارى والتجارى الذى امتاز به الربع الاخير من القرن الماضى ، هو البذرة المسممة ، التى آتت أكلها المر فى عام ١٩١٤ وعام ١٩٣٩

فى هذه الخمسين عاما تنتاب العالم الشرقى والغربى أحداث عظام تبدله وتحوره ، ويصل أثرها الى الاقطار والممالك ، فتثل العروش ، وتتغير الحدود ، ويتبدل وجه الارض وتستبدل الاقطار لونا بلون ، وسلطانا بسلطان . . واليوم يريد « الهلال » من هذا القلم العاجز أن يروى فى بضع صفحات ، قصة هذه التقلبات الضخمة العنيفة ، فمن أين يبتدىء وأى طريق يسلك ؟ اللهم ان هذا ظلم لا يرضيك ! . .

ان الحقائق الجغرافيه ، راسخة الاسس متينة البنيان لا تنقلب أو تتبدل بهذه السرعة الهائلة ، فالبحار ما برحت تموج وتموز ، والجبال راسخة القواعد ، والسهول الفسيحة يغمرها النبت والشجر ، والصحارى الواسعة تمتد فى الأقاليم التى احتلتها منذ دهور وعصور . ولكن عبث الانسان بهذا الكوكب المسكين هو الذى غير فيه وبدل ، وأقام الحدود والتخوم ثم ازالها ، ونصب الممالك ثم أدالها

أوربا قبل الحرب الماضية مباشرة

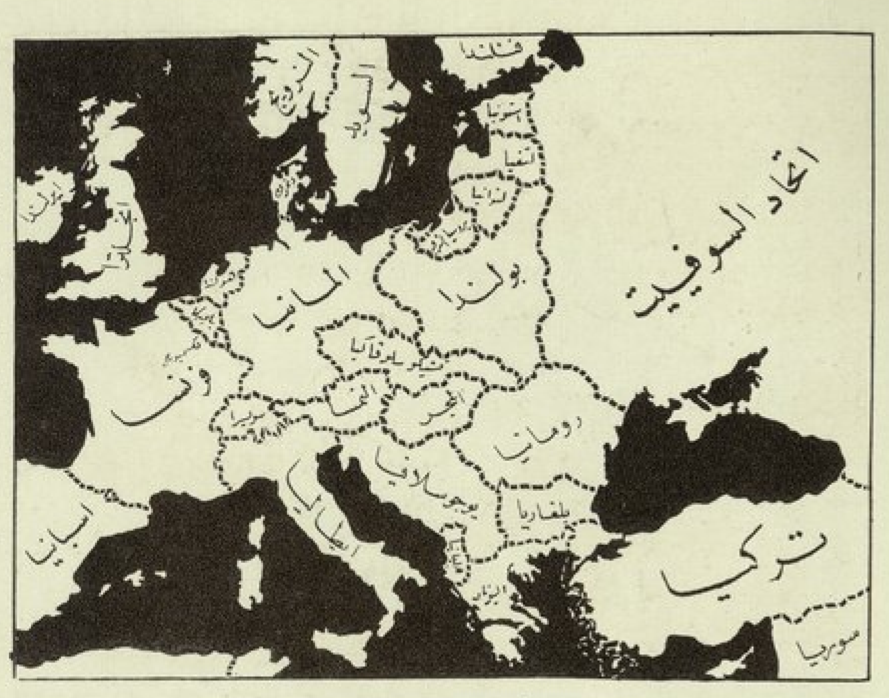
ولعل أكبر مظهر لهذا الانقلاب الخطير ، أن كوكبنا هذا قد صغر حجمه ، وتضاءل جرمه . فان سرعة الانتقال بفضل تسخير البخار والكهرباء والبترول ، قد قضى على المسافات ، وصغر المساحات ، واستطاع المتكلم فى الشرق أن يتحدث الى الساكن فى الغرب ، وأمكن قطع البحار والمحيطات فى أيام ثم فى ساعات ، بعد أن كانت تستغرق الشهور والاعوام ، وبات من السهل أن تنقل السلع والغلال من قارة الى قارة ، وأن تقطع المحيطات الواسعة دون أن ينالها التلف أو العطب . ولم يلبث أن شجر بين الدول تنافس شديد من أجل الاستئثار بالنصيب الاوفر من هذه البضائع والمتاجر ، وجنى الارباح الضخمة من هذا النشاط التجارى الذى يتناول أطراف الارض ، وكل ركن من أركانها . لهذا حرصت كل دولة أن يتسع نفوذها ويمتد سلطانها ، ما استطاعت الى ذلك سبيلا

ان استيلاء دولة على قطر من الاقطار ليس بالشيء الجديد . ولكن الحركة السياسية والاستعمارية الحديثة تمتاز بأمرين خطيرين : أولهما انها تتناول جميع سطح الكرة الارضية ، من غير نظر الى بعد الشقة وضخامة المسافة . فاذا أرادت دولة فى غرب أوربا ان تستولى على جزيرة فى قلب المحيط الهادى ، وبين الاثنتين عشرة آلاف من الاميال ، فان هذا البعد الهائل لم يعد عائقا يحول دون الوصول اليها والاستيلاء عليها

والامر الثانى : أن الاستعمار الحديث تغلب عليه الصبغة التجارية والمالية ، وغرضه الاول الحصول على مزايا اقتصادية وأرباح طائلة . لهذا كان لاصحاب الاموال فى الميدان الاستعمارى الأثر الاول ، وباتوا هم الذين يحركون سياسة الدولة ، ويوجهونها نحو الحرب أو السلم

ودخلت أمريكا هذا الميدان كما دخلته أوربا ، ولعل من أهم الظاهرات السياسية فى نصف القرن الاخير ، تطور الولايات المتحدة ، وارتقاءها الى المرتبة الاولى بين دول العالم ، وقد استطاعت بفضل قوتها ومكانتها أن تحمى قارة أمريكا من أن تمتد اليها يد الاستعمار الاوربى ، وأمكنها أن تطرد اسبانيا من نصف الكرة الغربى ، وأن تستولى على جزر الفلبين ، وأن تحرر جزر الهند الغربية ، وأن تطبق مبدأ منرو بحزم وعزم

لم تحصل أمريكا على مستعمرات واسعه ، واكتفت بأن « اشترت » الفلبين وألسكا بالمال . ولديها من خيرات بلادها ما يغنيها عن الاستيلاء على أقطار جديدة ودخول ميدان المنافسة الاستعمارية . ولكنها اضطرت



أوربا بعد الحرب الماضية

لان تدخل ميدان المنافسة التجارية حين خشيت أن تغلق أمامها أسواق العالم ، وأن تعمل دول الاستعمار على احتكار اسواق المستعمرات ومناطق النفوذ فسنت امريكا مبدأ « الباب المفتوح » وان تكون الفرص التجارية واحدة أمام الجميع . من أجل هذا سعت في عقد الاتفاقات الدولية ، وبوجه خاص فيما له مساس بالشرق الاقصى . كما بذلت مجهودا كبيرا في انهاض الصين وايقاظها ، وعملت على نشر الثقافة الغربية في ربوعها . فاستحقت بهذا كله نقمة اليابان التي نشاهد أثرها اليوم

ولا يسع المنصف الا التسليم بأن جهود أمريكا في الميدان الدولي كانت في جملتها محمودة مشكورة ، وكانت قوتها العظيمة تزيد في رجحان كفة الخير ، ونفوذها التجاري مصحوبا بأعمال ومشروعات انسانية تتناول جميع أقطار الارض ، وللمؤسسات الامريكية فضل كبير ظاهر الاثر في ممالك أوربا وفي الشرقين الاوسط والاقصى ، ولو أن الحركة الاستعمارية الحديثة أشربت هذه النزعة الامريكية ، لتجردت تلك الحركة من أكثر مظاهرها الكريهة ، ولكانت عاملا نافعا ، في ايقاظ الدول المتأخرة ، والسير بها نحو الرقي والمدنية

***

الحركة الاستعمارية اذن هي القوة الاولى التي بدلت من سطح الارض وغيرت في الخمسين عاما الاخيرة ولسنا بحاجة الى أن نحصى بالتفصيل آثارها في تكوين مستعمرات لبعض الدول دون البعض ، واستغلال تلك المستعمرات ، والغلات الجديدة والثروات الضخمة التي تدفقت منها ، وكيف خرجت ألمانيا من الحرب العالمية الاولى فاقدة ما كان بيدها من المستعمرات ، وكيف جاهدت ايطاليا جهادا شديدا لكي تحسن مركزها الاستعماري ، فأغارت على طرابلس الغرب في سنة ١٩١١ ، ثم على الحبشة في عام ١٩٣٥ ، وها هي قد غامرت مرة أخرى بدخول هذه الحرب المفظعة ، ونتائج تدخلها لا تزال حديث المجالس الى اليوم ، فلا حاجة بنا للتحدث عنها

ننتقل الآن الى القوة الثانية التي لا تقل خطرا عن الاولى ، والتي كان لها في تحوير الممالك والدول أثر واسع عميق . تلك هي الحركة القومية ــ أو « الشعوبية » كما كان يسميها المتقدمون ــ التي أخذت تبعث روح كل شعب ، وتنفث فيه حياة جديدة وتفتح عينيه الى ماضيه ، والى تقاليده ومصالحه . ولقد كانت مصالح كثير من الشعوب وكيانها خاضعا لكيان ومصالح دول ضخمة وامبراطوريات عظيمة ، يشتمل كل منها على جنس أو شعب له السيادة والحكم ، على شعوب كثيرة ، قد تكون ذات حضارة عريقة وتاريخ مجيد . فجاءت الحركة القومية تنبه الغافل وتوقظ الراقد ، وتدفع كل شعب مغلوب على أمره الى المطالبة بحقه في الحياة المستقلة ، على ما تقتضيه تاريخه وتقاليده وثقافته الخاصة به

فالشرق العربى كان خاضعا لدولة آل عثمان ، تحكم هذه الاقطار العربية من العاصمة التركية الآستانه ، وفى هذه العاصمة جلس خليفة الاسلام التركى ، يحكم من وراء الاسوار والحرس ، حكما استبداديا محضا ، عالما ذا حضارة عريقة ، وثقافة قديمة ممتازة . عالما يشمل الشام والعراق والحجاز واليمن ومصر (ولو اسميا) وطرابلس

وقد كان لدولة آل عثمان قبل ذلك شأن جليل وعز باذخ . ولكنها كانت آخر القرن الماضى عاجزة عن مجاراة تيار التقدم المادى والسياسى ، فاقدة تلك المرونة التى تمكنها من مسالمة الرعية ، والاستجابة للمطالب القومية ، عجزت حتى عن انهاض جيشها واسطولها لكى يتمكن من الذود عن حوضها ، والمحافظة على كيانها . جمدت والعالم يتقدم ، ووقفت والدنيا تجرى بخطى عاجلة . ولم تمهلها الدول القوية الطامعة فى أسلابها حتى تفيق وتصلح من شأنها ، اذا كان من المقدر لها أن ينالها الاصلاح والتقدم ، فلم تلبث أن أحيط بها ، وأخذ العدوان الاجنبى ينال منها ، ويقتطع من أطرافها شطرا بعد شطر . وقد افقدها الحكم الاستبدادى عطف العنصر التركى نفسه ، فلم يكن فى وسع حكومتها أن تستغل اخلاص شعبها وولاءه ، بعد أن ضيعت حقوقه ، وحرمته الحياة الحرة

ولم يكن بد فى مثل هذه الحال ان تثور الشعوب العربية ، وأن تحاول الخلاص من ذلك الكابوس الذى أفقدها الحرية والعزة ، وكانت مصر أول الاقطار التى خلعت من عنقها ذلك الغل ، لقاء دفع جزية سنوية وتبعية اسمية . ولئن كان مقدرا على مصر أن تخضع بعد ذلك لاحتلال أجنبى فان روحها الحرة لم تزل تجاهد وتناضل ، حتى لم يبق بها من آثار ذلك الزمن الا ما قبلته عن رضى واختيار بمقتضى عهد آلت على نفسها أن تحفظه وترعاه

ولم تكن الروح القومية فى سائر الاقطار العربية أقل خطرا منها فى مصر ، ولكن الفرصة لم تكن تواتيه ولم يكن بد من انتظار الظرف الملائم ، وقد أتيح لها هذا فى الحرب العالمية الاولى ، التى كان من نتائجها تمزيق دولة آل عثمان ، وقيام وحدات قومية جديدة ممتلئة قوة وحيوية ، مقام تلك الكتلة الضخمة التى عجزت عن أن تحتفظ بحقها فى البقاء

ومن العجيب أن تركيا نفسها قد بعثت من بين رفات الدولة العثمانية بعثا جديدا ، ولم تلبث أن غدت دولة ذات خطر يحسب الجميع حسابها ويخطبون ودها ، واستطاعت الجمهورية الصغيرة أن تخطو نحو المجد والرقى خطوات جعلتها فى مدى سنوات أمة أعظم شأنا مما كانت عليه دولة آل عثمان



الدولة العثمانية قبل الحرب الماضية

لقد اصطدمت الجمهورية التركية فى عهد نشأتها بالعدوان الاجنبى ، ولكنها استطاعت أن تخرج منه فائزة مرفوعة الرأس ، اما الاقطار العربية فقد لقيت من دول أوربا عنتا وعناء شديدا . فقد فرضت عليها الوصاية وقسمت بلاد الشام الى أقطار واجزاء ففصلت فلسطين عن شرق الاردن . وقسمت سوريا الى ولاية دمشق وحلب ولبنان الكبير ، وبلاد العلويين ، وقوبلت الحركات القومية بالقمع والشدة ، وتولت بريطانيا شؤون فلسطين وفرنسا شؤون الشام . وخيل لمن ينظر للامور نظرة سطحية عارضة أن الاقطار العربية لم تفعل سوى أن استبدلت نيرا بنير ، وحكما أجنبيا بحكم أجنبى . ولكن الذين يفهمون قوة الروح القومية

ومضاءها ، وانها لهب لا يخمد ونار لا تخبو ، يعلمون أن ذلك قول هراء ، وأن تلك الروح لا بد لها أن تنتصر عاجلا أو آجلا . وقد ظهر انتصارها باهرا فى العراق ، وفى التعديل الجوهرى فى سياسة الوطن اليهودى بفلسطين ، وفى سوريا ـ بعد كثير من الاحداث والثورات والتردد ـ أعلن الفرنسيون الاحرار استقلال كل من سوريا ولبنان ، وشاركتهم بريطانيا هذا العهد . وليس مما يقبله العقل أن يحدث فى المستقبل رجوع عن هذه السياسة ، بعد ما ظهر من فشل النزعات الخاطئة التى سبقتها . تلك النزعات التى أساءت الى سمعة كل من فرنسا وبريطانيا ، ولم تجن احداهما منها أدنى فائدة

وفى أوربا اصطدمت الروح القومية أيضا بنزعة السيطرة والتحكم ، التى كانت تهيمن على بعض الدول الكبرى . ففى البلقان تألبت شعوبه على دولة آل عثمان ، فاستطاعت كل من اليونان والصرب وبلغاريا ، أن توسع رقعتها على حساب دولة آل عثمان ، وتدخلت الدول الاوربية الكبرى ، لكى تنقذ ألبانيا وتجعل منها وحدة سياسية مستقلة . ثم جاءت الحرب الكبرى ، وقد رأينا من نتائجها تفكك الدولة العثمانية ، وقد تمزقت كذلك بسببها دولة النمسا والمجر ، ودال ملك آل هابسبورج العريق ، وخرجت من بين انقاض الامبراطوريتين دول جديدة فى البلقان وفى أواسط أوربا ، وتضاءلت كل من النمسا والمجر حتى أصبحتا وحدتين صغيرتين ، وظهرت دولة تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وتضخمت كل من يوجوسلافيا ، ورومانيا واليونان

وفى غير الامبراطورية النمساوية استطاع مبدأ القومية أن يخلق دولا جديدة ، أو يحيى دولا قديمة ، أو يعدل الحدود ويبدلها . وهكذا أنشئت دولة فنلنده واستونيا ، ولاتفيا ولتوانيا ، وتكونت دولة بولنده الجديدة باقتطاع أجزائها من كل من روسيا وألمانيا والنمسا .. وعدلت حدود ألمانيا الغربية بحيث أعيدت ألزاس ولورين الى حمى الوطن الفرنسى . واستطاعت ايطاليا أن تستولى على تريستا وترنتينو والنصف الجنوبى من بلاد التيرول

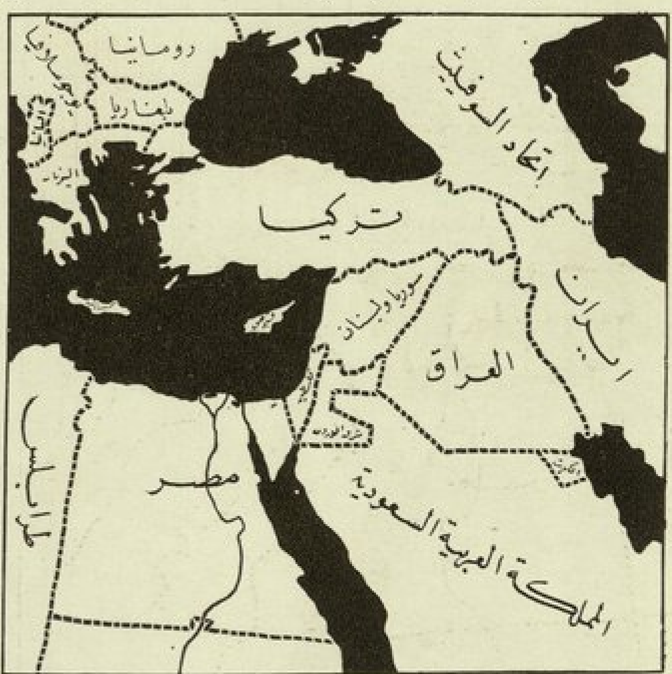
وهكذا نرى النزاع بين الاستعمار والقومية قد انتهى فى ذلك الزمن الى انتصار الروح القومية بوجه عام . وكان من نتيجة هذا الانتصار تقسيم أقطار واسعة فسيحة الى وحدات صغيرة ، وأظهرت هذه الدويلات ـ ويا للاسف ! ـ عجزها عن أن تتعاون فى درء ما قد يعرض لها من خطر أو يتهددها من ويل

وقد ظهر الويل والخطر فى نزعة جديدة هى العدو اللدود للروح القومية ، وللرغبات والمنافع المحليه . تلك النزعة الجديدة هى النزعة الفاشية الاستبدادية ، التى ترى حقوق الافراد ، أو الوحدات القومية أشياء تافهة لا يقام لها وزن ، ولا يعبأ بها . والواجب أن يضحى بكل شىء ، وبكل حرية سياسية أو دينية أو ثقافية ، من أجل خلق دولة ضخمة ذات بأس وسلطان قاهر ، يقوم على العنف والقمع

لقد كانت الروح القومية تتمشى عادة مع الحياة الديمقراطية الحرة ، أما النزعة الفاشية فشعارها الحكم الاستبدادى المطلق ، يقوم به حزب قوى عنيف ، لا يسمح بنقد أو تردد . ويسيطر السيطرة التامة على حركات كل فرد وسكناته

وهاتان القوتان تصطرعان اليوم صراعا هائلا بشعا ، لا رحمة فيه ولا هوادة . ولا بد انه سيكون من نتائج هذا الصراع تحوير وتبديل فى سطح هذا الكوكب ، الدائم التغير والتبدل

محمد عوض محمد



تركيا بعد أن دالت امبراطوريتها

تطور التفكير العالمي في خمسين سنة

بقلم الأستاذ سامي الجريديني

ما هو التفكير العالمي حتى نبحث ما طرأ عليه من تغيير أو تناوله الدهر من تبديل وتعديل ؟

لا بد للجواب على هذا من تحديد التفكير العالمي – فان وصف التفكير بالعالمي يخرجه عن متناول بلد واحد أو قارة واحدة ويجعله شائعا بين بني الانسان ، فاذا كان الامر كذلك سهل التدليل على هذا النوع من التفكير وسهل علينا بالتالي ان نرقب ما اعتوره من تحول وتغير

فاذا رجعنا بأثر ما تركته بأنفسنا القراءات والمشاهدات الى الوراء خمسين سنة رأينا عاملين عظيمين سيطرا على العالم أو كادا وهما المبدأ الاقتصادي والمبدأ القومي

فلا شك أن العالم كان منذ خمسين سنة متمشيا على مبادىء أوائل أيام القرن التاسع عشر خاضعا لها حتى جاءت الحرب العالمية الاولى فزلزلت ما زلزلت من هذه المبادىء وكأنها لم تحسن الهدم ولم تتقن التخريب فجاءت هذه الحرب التي نصطلي بنارها الآن عاقدة النية على اتمام النقص عسى العالم أن ينهض بعدها الى بناء آخر أقوى دعامة وأتقن بنيانا

وما كانت مبادىء القرن التاسع عشر الا رأسمالية مطلقة لا رابط لها في الاقتصاد وأخذ بنظام القومية في السياسة والاجتماع

النظام الاقتصادي

قامت جميع النظم في القرن التاسع عشر على مبدأ الحرية . وأخلق بقرن هو وليد الثورة الانجليزية والثورة الفرنسية ان تكون روحه مشبعة بالحرية وقد كانت الايام من قبل غارقة في بحار الاستبداد والظلم

هذه الحرية التي بدأت ثورة على الاستبداد تغلغلت في جميع النظم الاجتماعية وما سلم منها النظام الاقتصادي وقد ظن القوم أن اطلاق الحرية في الاقتصاد ينهض الفقير من كبوته ، وما دروا الا أخيرا أن تلك الحرية أخلت بالنظم الاقتصادية ، فتجمع المال في أيد قليلة أخذت في استغلاله فاحتكرت مرافق الحياة في البلد الواحد وانتشرت عبر البحار فكان الاستعمار وكانت الثروات الضخمة يعمل لها الكثيرون ويفيد منها القليلون

وقد كانت الحال مما يطاق لو ظل العالم زراعيا خاضعا للحقل ولحضارة الحقل ولكن يوم الصناعة كان آخذا في الظهور ثم طغى فهجر الناس الريف والحقول الى الصناعة والتجمهر ، فكانت المدن والكتلات البشرية يتكالب بعضها على بعض رجالا ونساء وأطفالا

وهنا بعث الرأسمالية واستثمر أصحاب الاموال الارض وما تحتها يسخرون الآلة وهذه تسخر ابن الانسان حتى ضاقت المذاهب على العامل وأخذ يتطلع الى من يأخذ بيده

وليس كالحاجة من حافز الى الاستكشاف . وليس كالفقر من سلم الى التبرم فالثورة

في هذه الحال نمت المبادىء الاشتراكية وترعرعت حتى أصبحنا اليوم فاذا بها مسيطرة على مقدرات العالم أو تكاد

قلنا ان الحريه كانت الاساس الذى قامت عليه نظم القرن التاسع عشر فلم يكن مندوحة عن أن تطلق المعاملات الاقتصادية من اغلال الاستبداد القديم ولما كان ابن آدم شريرا فى نزعته الفطرية تأخذ عليه الانانية كل مشاعره ، ظن الذين رأوا الثروة تكاد ان تكون محصورة فى أيد قليلة ان الاجتهاد والكفاية هما اللذان يعملان فى ميدان الحرية على اصلاح المجتمع الاقتصادى ، وما دروا ان هذه الحرية نفسها هى التى جارت على الضعيف الذى لا حول له من مال فابقته رقيقا يستغله الرأسماليون فى السياسة فيحتكرون مقاعد مجالس النيابة ويقتنون ما شاءت لهم مصالحهم وما شاءت لهم أنانية الابقاء على نفوذهم وتسلطهم

فكانت النتيجة ما رأينا وما لا نزال نراه منذ نيف وثلاثين سنة من اضطراب يتلوه اضطراب ، ومن تقلقل يعقبه تقلقل حتى أدت الحال الى هذه الحرب التى يكتوى العالم كله بنارها وليس لها من سبب وجيه الا العامل الاقتصادى وعامل القومية الذى سنبينه فيما بعد

فاذا لم يهتد العالم الى نظام يحل محل الرأسمالية وقد فشلت وحق عليها الافلاس فانه سائر الى ثورة لا تبقى ولا تذر

ولسنا نرى بابا للفرج الا الرجوع الى المبادىء الاقتصاديه الاشتراكية وقليل من الناس من يدركونها . هذه المبادىء ترتكز على أساس أن العالم كله وحدة اقتصادية لا تتجزأ وأن لكل أحد الحق بأن يضمن لنفسه أو تضمن له الجمعية غذاءه وسكنه وتهيئة أسباب العمل

والامر سهل فالعالم أوسع من أن يضيق بهذه الامور لراحة المخلوقات البشرية جمعاء . فاذا جعلت المرافق العامة فى يد الجمعية تمثلها الحكومة أو الهيئات النيابية أو البلدية ، واذا جعلت موارد العيش والثروة الطبيعية ملكا للجمعية لا للفرد ، اطمأن المرء على كيانه المادى وانصرف الى الاشتغال بالرقى الادبى فانه عند ما يرتفع مستوى المعيشة المادية ترتفع الغايات الادبية ويخطو الانسان خطواته الصحيحة فى طريق الحضارة الصحيحة

النظام السياسى

وهنا أيضا نرى الحرية تتخذ المقام الرفيع فى تكوين النظم السياسية فى أوربا . ونرى هذه الحرية تتملص من عبودية الاديان وتنحو نحوا جديدا فى توجيه الاوضاع السياسية . على أن وصفنا لها بالجديد ليس بالحقيقى على اطلاقه . فمبادىء السياسة فى القرن التاسع عشر غرست بذورها من قبل بل كانت دائما تمشى فى تكوين الشعوب رغم سيطرة السلطان الدينى على طرق التفكير ومنازل الحكومة فيما مضى من السنين

فمبدأ القومية بلغ أشده فى أواخر القرن الثامن عشر وظل العامل الاكبر فى كل سياسات القرن التاسع عشر . وشط القوم فى الاخذ به فصارت القومية Nationalism مبدأ يكاد يكون مقدسا

فأصبحنا فاذا ما تواضع الناس على انه حرام أو مكروه فى قاموس المجتمع الادبى حلال شريف اذا دعا اليه داعى القومية

واذا بنا وكل شىء يرمى الى تعزيز القومية

فالتسليح على قدم وساق لرفع شأن القومية

والاقتصاد كله مسخر للقومية

والاصلاح فى شتى نواحيه وقف على المصلحة القومية وان نفر منها ناموس الجار الادبى

فكانت النتيجة أن حل الكره بين الشعوب محل ما كان يجب أن يكون من تبادل منافع ووفاق . وكان أن أصبحت البطولة قائمة على الحاق أكبر ما يكون من ضر فى قومية اجنبية عن قومية البطل عوضا عن التضامن فى خدمة الانسانية . وكان أن تفرق الناس شيعا ومذاهب كلها قوميات تتناحر وتتفاخر بالحروب بدل التفاخر

فى الخدمة العامة . انه لا شك عندنا ان نظام « القومية » الحق بالانسانية مصائب لم تصبها من نظام آخر سواها

ويكفى أن ندل على التسلح وتجارة السلاح من أثر بارز من آثار المبالغة فى حب « القومية » . وهكذا حتى بدأت طلائع الحرب العظمى الاولى فظن المصلحون الذين كانوا يدعون الى « العالمية » Internationalism أن عقباها خير وان جمعية الامم ستوجه العالم وجهة خير

ولكن المرض المزمن – مرض القومية – ظل متغلغلا فى جسوم الاوربيين وفى عقولهم فكانت الدولة من دولهم تعمل لنفسها أولا وآخرا فأفسد النظام كله سواء أكان سياسيا أو اجتماعيا أو اقتصاديا وظل روح القرون الحالية مسيطرا على عقول أوليـاء الامر فى مختلف الدول حتى كانت هذه الحرب العظمى الثانية وانا نؤمن ايمانا لا يشوبه تشكيك أو الحاد أن عقبى هذه الحرب أيا كان المنتصر فيها سيكون فوزا للشعوب دون الزعماء – فوزا للطبقات التى كانوا يدعونها سفلى – فوزا للعالمية على القومية – فان تاريخ سياسة البشر متوجه هذه الوجهة منذ القدم لولا هذه الاشواك التى تزرع فى الطريق تارة باسم الدين وأخرى باسم الوطن . والزارعون فى معظم الاحيـان رأسماليون يسخرون الروح الشريف لكسب هذا الشىء التافه الذين يسمونه مالا فيقيمون له الهياكل والتماثيل ويعبدونه أو مفتونون تأخذهم العزة بالاوطان فيجورون على الوطن الاسمى والقومية الحقة وهى الانسانية

والتفكير العالمى فى نظرنا رمى فى الخمسين سنة الماضية الى هذين الأمرين اللذين يكدان يلمسـان باليد : أولهما التوجه فى الاقتصاد وجهة اشتراكية ، وثانيهما التوجه فى السياسة الاجتماعية وجهة عالمية

فالاشتراكية ليست مذهبا أو قانونا من قوانين مادى وفارس وانما هى طريق فى كيفية توزيع دخل مملكة . فهى نظام « وترتيب » يخضع للتبديل والتغير شأن كل « ترتيب »

فالذين كانوا يسلقون هذا النظام فى الروسيا بألسنة حداد أصبحوا اليوم يحذون حذوه ويثنون عليه بكل شفة ولسان

ذلك لان الاختبار الروسى هذب ما قيل فى الكتب وطبق الرأى على العمل

وانا نكاد نراه قائما الآن فى انجلترا وفى الولايات المتحدة مما يجعلنا راسخى الايمان بفوز هـذه الامم على أمم تأخذ بالعنف وتسعى اليه كأمة اليابان مثلا

كذلك قل عن المبدأ « العالمى » . فانه أخذ يحل المحل الاول فى السياسة الدولية العملية بعد أن كان حلما مده الكرى لبعض المفكرين . حتى أصبحنا نقرأ منذ الآن مشروعا يتلوه مشروع فى مزج الامم الناطقة بالانجليزية مزجا أو اندماجا يكون مقدمة لما سيكون عليه الاندماج العالمى فيما بعد

فهل تتحقق هذه المبادىء التى وصل اليها التفكير العالمى الآن ؟ وهل يصح قول القائلين بأن العالم يسعى من سىء الى حسن فالى أحسن حتى يبلغ مرحلة سعادة لا بأس بها ، يتمتع الآدميون فيها متاعا ماديا وأدبيا ظلوا يصبون اليه منذ قرون ؟

أم يصح قول الآخرين الذين يقولون عن الانسان انه حيوان أو شر من الحيوان ، وان هذا الطلاء الادبى لا يلبث ان تزيله الغريزة البهيمية فيعود بعد قليل من الراحة الى ما أعد له من خطة لا تتغير فى أصلها وان تناول التبديل شكلها ، ألا وهى ان الآدميين يأكلون ويتناسلون ويتقـاتلون وما زاد على ذلك فأشيـاء على الهامش . سنة الله فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلا ؟

سامى الجريدينى

أحداث التاريخ
في خمسين سنة

بقلم الاستاذ محمد عبد الله عنان

شهد العالم فى الخمسين عاما الاخيرة أعظم الانقلابات والتطورات التى عرفتها الانسانية المتمدنة ، ففى هذه الفترة القصيرة تحول مجرى التاريخ وتغيرت معالم الكرة الارضية ووقعت حربان عالميتان ، واختفت من الوجود دول عظيمة تالدة لتحل محلها دول فتية ، وتصدع بناء أوربا القديمة ، وانهار صرح التوازن السياسى الذى عاشت فى ظله أحقابا ، واختفت النظم القديمة فى كثير من الامم لتحل محلها نظم جديدة ، وتطورت عقليات الشعوب والامم وتغيرت حياة الفرد والمجتمع أعظم تغير

وقد كان القرن التاسع عشر ، عصر الانقلابات السياسية والاجتماعية الكبرى ، ولكن الانقلابات التى شهدها هذا القرن وكان لها أعظم أثر فى مصاير الامم ، تتضاءل أمام التطورات الهائلة التى ما زالت آثارها العنيفة تعصف بمجرى التاريخ بسرعة يستحيل معها أن نتصور أين تقف وكيف تنتهى

حينما أشرف القرن التاسع عشر على أعوامه الاخيرة كانت الدول الاوربية العظمى تتمتع بنوع من الهدوء والاستقرار ، بعد أن جازت السياسة الاوربية قبل ذلك بأعوام قلائل أزمتين من أعظم ما شهدت فى النصف الاخير من هذا القرن : الاولى حينما وقعت الحرب الالمانية الفرنسية فى سنة **١٨٧٠** وانتهت بهزيمة فرنسا وقيام الامبراطورية الالمانية الكبرى ، والثانية حينما وقعت الحرب الروسية التركية فى سنة **١٨٧٧** واختتمت بمعاهدة برلين التى مهدت لتمزيق تركيا وتحرير الامم البلقانية من حكمها

غير أن هذه الفترة التى تمتعت فيها السياسة الاوربية بنوع من الاستقرار كانت فى الوقت نفسه تمتاز باضرام المنافسة بين الدول الكبرى فى الميادين الاستعمارية والاقتصادية . وكانت المانيا بعد قيام الامبراطورية الالمانية تجوز عصرا من القوة وتتبع سياسة انشائية قوية ، وتبذل فرنسا جهدها للتخلص من آثار الصدمة التى أصابتها فى الحرب الالمانية واستعادة مركزها القديم فى أوربا ، وكانت روسيا القيصرية تكاد تستأثر بتوجيه السياسة فى شرقى أوربا وفى البلقان . أما انكلترا فكانت فى ختام العصر الفكتورى قد وصلت الى ذروة



حرب البوير

أول اجتماع عقد بين القائد البريطانى – لورد كتشنر – وبين قواد البوير للتفاهم على شروط الصلح بين الفريقين المتحاربين . الجالسون من اليمين : هاملتون ، كتشنر ، بوتا ، دى ويت . والواقفون من اليمين دى جيجر ، ماكسويل ، فريزر ، واطسن ، فان فلدن ، هندرسون

الرخاء الاقتصادى والتوسع الاستعمارى ، ولم يكن لايطاليا يومئذ كبير شأن فى توجيه سياسة القارة . أما الدولة العثمانية القديمة فكانت تسير نحو التفكك والفناء بخطى سريعة

وفى هذه الفترة بالذات ، أعنى فى ختام القرن التاسع عشر وضعت أسس التوازن السياسى والحربى الذى وقعت فى ظله الحرب الكبرى ، فقد عقد التحالف الثنائى بين المانيا وامبراطورية النمسا والمجر ثم انضمت ايطاليا اليهما وبذا قام التحالف الثلاثى ، ووقع بين السياستين الانكليزية والفرنسية مدى حين نوع من الجفاء ، ولبثت فرنسا منذ احتلت انكلترا مصر تتربص بالسياسة الانكليزية ، وتفاقم الخلاف بين الدولتين فى سنة ١٩٠٠ حينما حاولت بعثة مرشان الفرنسية ان تحتل أعالى النيل ، وقد احتلت فاشودة بالفعل ، وكادت الحرب تنشب بين الدولتين ، لولا أن غلبت الحكمة وجنحت السياسة الفرنسية بعد ذلك الى التفاهم ، وانتهى الامر بعقد الاتفاق بين فرنسا وانكلترا سنة ١٩٠٤ ، فتنازلت فرنسا عن كل تدخل فى المسألة المصرية كما تنازلت انكلترا عن كل تدخل فى المسألة المراكشية ، وبذلك وضعت أسس المعسكر المناوىء للتحالف الثلاثى

وفى أثناء ذلك كان التنافس الاستعمارى يشتد بين الدول الكبرى ، وكانت مغانم القارة الافريقية تجذبها



فى سنة ١٩١٩ احتفلت فرنسا بعيد ١٤ يوليو احتفالا مزدوجاً ، لأنه كان أول عيد للحرية بعد انتصار الحلفاء فى الحرب الماضية . وترى هنا المارشال جوفر والمارشال فوش على رأس الجيش الفرنسى يطوفون شوارع باريس ابتهاجاً بهذا العيد

جميعا ، وكانت البعثات الاستكشافية تتلوها الحملات العسكرية ، وعقدت بين انكلترا والمانيا وفرنسا اتفاقات عديدة لتقسيم الاراضى الجديدة وتحديد مناطق النفوذ ، ولكنها لم تضع حدا للخلاف والتنافس . وخرجت انكلترا وفرنسا من مغانم القارة الافريقية بأعظم قسط ، ولبثت المانيا غاضبة حانقة تتربص الفرص . ولما نشبت الحرب بين البوير وانكلترا فى سنة ١٨٩٩ ، وظهر البوير على القوات الانكليزية غير مرة كانت المانيا تجاهر بعطفها على البوير ، ولكن انكلترا تغلبت على مقاومة البوير الباسلة بعد ثلاثة أعوام ، واستطاعت فى النهاية أن تحقق مشروعها فى انشاء اتحاد يضم أملاكها فى جنوب أفريقية وأراضى البوير (الترنسفال والاورانج)

ومنذ بداية القرن الحالى نرى التنافس الاستعمارى والاقتصادى يهيمن على سياسة الدول الكبرى ، ويثير أكثر من حرب أو أزمة خطيرة فقد نشبت الحرب الروسية اليابانية فى سنة ١٩٠٤ من جراء التنافس بين اليابان وروسيا فى السيطرة على قواعد الصين الساحلية ، وكان انتصار اليابان فى هذه الحرب على روسيا أعظم عامل فى ظهور اليابان على مسرح السياسة العالمية كدولة عظمى . وفى سنة ١٩١١ وقعت من جراء الخلاف على المسألة المراكشية بين فرنسا والمانيا أزمة كادت تضرم نار الحرب بينهما . ففى أغسطس من ذلك العام رست سفينة حربية المانية فى ثغر أغادير المراكشى احتجاجا على ما قررته معاهدة الجزيرة التى

وقعتها المانيا ذاتها من ترك الشؤون المراكشية لعناية فرنسا واسبانيا ، فأثار هذا التحدى وما صرح به امبراطور المانيا يومئذ من أن المانيا يجب أن تظفر بمكانتها تحت الشمس ، سخطا شديدا فى فرنسا كاد يؤدى الى الحرب بين الدولتين ، لولا ان عملت فرنسا على ترضية المانيا بالتنازل لها عن بعض أملاكها فى الكونغو الفرنسى

وقامت ايطاليا بغزو برقة فى سنة ١٩١٢ لكى تعوض بهذا الفتح الهين ما أصابها فى عدوة على يد الاحباش فى سنة ١٨٩٦ من هزيمة ساحقة ، ووثبت الدويلات البلقانية فى نفس الوقت بعدوتها القديمة فاقتطعت منها ولايات أخرى ، وظهر ضعف تركيا يومئذ واضحا ، وبدا الرجل المريض على وشك الاحتضار

وكانت الولايات المتحدة الامريكية فى تلك الفترة تلتزم عزلتها التقليدية بعيدة عن التدخل فى شؤون السياسة الاوربية ، بيد أنها استطاعت أن تعمل على انتزاع كوبا وجزائر الفيلبين من اسبانيا سنة ١٨٩٧ وفقدت اسبانيا بذلك آخر مستعمراتها الغنية

وأما دول أمريكا اللاتينية فكانت جميعا تسير فى طريقها الخاص مرتسمة خطى السياسة الامريكية فى البعد عن جميع الشؤون الدولية التى لا تمسها

***

كان نشوب الحرب الكبرى نتيجة محتومة للتنافس الاستعمارى والاقتصادى بين الدول العظمى فى أواخر القرن الماضى وفاتحة القرن الحالى ، وكانت المانيا بنوع خاص تخوض هذا النضال بروح السياسة الجرمانية العالمية Weltpolitik وترمى فضلا عن جهادها لاحراز السيطرة السياسية فى القارة الاوربية ، الى احراز التفوق العالمى فى الميادين الاستعمارية والاقتصادية ، ولم يكن انشاء المانيا لاسطولها الضخم قبل الحرب الكبرى الا تدعيما لهذه السياسة . ونشبت الحرب الكبرى فى صيف سنة ١٩١٤ بين المعسكرين العظيمين اللذين انقسمت اليهما أوربا ، وتركت ايطاليا فى البداية جانب التحالف الثلاثى ، ثم انضمت بعد ذلك الى جانب الحلفاء لما وعدت به من الغنائم والمزايا . وأحرزت المانيا فى المراحل الاولى انتصارات عظيمة المدى سواء فى الشرق أو الغرب ولكن هذه الانتصارات لم تكسبها الحرب . وجاء دخول أمريكا فى سنة ١٩١٧ مرجحا لكفة الحلفاء وانتهت الحرب الكبرى بهزيمة المانيا وحلفائها فى نوفمبر سنة ١٩١٨

ونحن نعرف ما ترتب على ظفر الحلفاء وانكسار المانيا فقد فرضت على المانيا فى معاهدة فرساى شروط ومغارم فادحة . واستأثرت انكلترا وفرنسا بمعظم المغانم الاستعمارية ، وابتدعت فكرة الانتداب لاقتسام أملاك الدول المنهزمة وقامت عصبة الامم كأحدى نتائج مؤتمر الصلح لتعمل على تنظيم علائق الامم فى ظل السلم والعدالة ، ولكنها ظهرت منذ البداية كأداة فى يد الدول الظافرة تعمل لتوطيد سياستها وتحقيق رغباتها ، ولم تغتبط أمريكا بنتائج الصلح فأقرت معاهدة فرساى ولكنها رفضت الانضمام الى عصبة الامم

وكان من نتائج معاهدة فرساى أن غيرت خريطة أوربا تغيرا عظيما فقامت فيها على حساب الدول المنهزمة عدة دول ودويلات جديدة هى المجر وتشيكوسلوفاكيا وبولونيا وجمهوريات البلطيق أى لتوانيا ولاتافيا واستونيا وفنلندة

وتمخضت الحوادث فى روسيا قبل نهاية الحرب عن أعظم انقلاب اجتماعى واقتصادى شهده التاريخ ، فقد انهارت دولة القياصرة فى مارس سنة ١٩١٧ وقامت مكانها الديمقراطية الرأسمالية مدى أشهر قلائل ، ولكن سرعان ما انهارت بدورها تحت ضربات البلشفية فى أكتوبر من نفس العام وقامت مكانها الشيوعية المركسية ، ومن ذلك التاريخ تعيش روسيا فى ظل النظم الشيوعية السوفيتية « وسيادة الكتلة العاملة »

ولم يمض على عقد الصلح سوى ثلاثة أعوام حتى قامت الفاشستية فى ايطاليا فوق أنقاض الديمقراطية البرلمانية واستأثرت بكل سلطة وكل توجيه وكان قيامها أول نذير بالانتقاض على معاهدات الصلح بالرغم من أن ايطاليا كانت الى جانب الدول الظافرة فى سنها والتمتع بمزاياها

وقامت فى تركيا المنهزمة حركة تحرير قوية بزعامة مصطفى كمال وزملائه فحطمت الغزو اليونانى

وأنقذت الآستانة من الاحتلال الاجنبى وبعثت الى تركيا قوة وحياة جديدين

ولبثت معاهدة فرساى مدى أعوام دستور أوربا السياسى والاقتصادى ، والمانيا والدول المنهزمة ترزح تحت شروطها وأغلالها ، وتعانى أروع ضروب الفوضى السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، وعصبة الامم من جهة أخرى عاجزة عن تحقيق البرنامج الضخم الذى سنته لها معاهدة الصلح . ومرت فترة قصيرة لاح فيها أن الخصومة بين الغالب والمغلوب قد أخذ يخبو ضرامها ، وارتضت الدول الظافرة ان تخفف أعباء المغارم المفروضة على المانيا ، ثم عقد ميثاق لوكارنو بين الفريقين ضمانا بتوطيد السلم النهائى ، وسحبت بعد ذلك جنود الاحتلال من منطقة الرين ، ولكن هذا التفاهم القصير المدى ما لبث ان اصطدم بمشروع نزع السلاح الذى فشلت عصبة الأمم فى تحقيقه ، فانسحبت المانيا من العصبة وأخذ هذا الصرح الخلب ينهار رويدا ، وأخذت المانيا تتجه الى طريق جديد لم يدرك خطورته فى البداية سوى قلائل من ذوى النظر البعيد

ذلك أن بذور السخط واليأس التى بذرتها معاهدة الصلح فى المانيا المنهزمة كانت تنمو بسرعة ويزيد فى اضطرامها ما يعانيه الشعب الالمانى من ضروب الحرمان والفاقة التى ترتبت على انهيار المانيا الاقتصادى



أخذت هذه الصورة أثناء انعقاد إحدى الجلسات التاريخية لمؤتمر نزع السلاح سنة ١٩٣٢ فى جنيف وقد ظهرت الى اليمين منصة الرئاسة يتصدرها مستر هندرسون رئيس ممثلى بريطانيا فى المؤتمر ، والذى انتخب يومئذ لرئاسة الاجتماع

والاجتماعى . وكانت حفنة من الرجال ذوى العزم تعمل منذ البداية على استغلال هذه المرارة وتلقى بين جماعات الشباب اليائس المتعطل مهادا خصبة لبث دعوتها ، وهكذا قام الحزب الوطنى الاشتراكى بزعامة أدولف هتلر يدعو الى تحرير المانيا من أغلال الهزيمة واسترداد مكانتها فى أوربا ، وكان نموه بطيئا فى البداية ولكنه أخذ منذ سنة ١٩٢٩ يتبوأ مكانه فى حلبة الصراع السياسى بسرعة ، ولما ظفر فى انتخابات ديسمبر سنة ١٩٣٢ بعدد كبير من كراسى الريخستاغ دعى الى تولى الحكم فتولى مقاليده فى ٣٠ يناير سنة ١٩٣٣ وغدا هتلر من ذلك اليوم سيد المانيا الحقيقى

وأخذ الحزب الهتلرى أو النازى يعمل بسرعة مدهشة لتنفيذ برنامجه الشامل ، وشعاره الداخلى تحطيم اليهودية والشيوعية ، وسحق جميع الحريات الفردية وادماج المانيا فى كتلة موحدة هائلة تأتمر بأمر زعيم واحد ، وشعاره الخارجى تحطيم معاهدة فرساى وتحرير المانيا من أغلالها واسترداد المانيا لمكانتها العالمية التى فقدتها

ونحن نعرف مبلغ نجاح النازية فى تنفيذ برنامجها الضخم وقد كانت دعامة نجاحها العمل بهمة لا تعرف الكلل على احياء قوة المانيا العسكرية ، وكان زعماؤها الجدد يعرفون مبلغ تعلق الدول الاخرى بالسلم والرخاء الاقتصادى ومبلغ تقصيرها فى اعداد قواها الدفاعية . ولم يكن ثمة فى أوربا دولة تستطيع ان تمد المانيا

اليها يد المحالفة سوى ايطاليا الفاشستية فلما نفذت ايطاليا فى سنة ١٩٣٥ مشروعها لغزو الحبشة جاهرت المانيا بمناصرتها ، وتخاذلت الديمقراطية يومئذ عن مقاومتها واتحدت النازية والفاشستية من ذلك الحين وتحالفتا

ولما أنست المانيا النازية أنها تستطيع املاء رغباتها أخذت تسدد ضرباتها تباعا . وكانت أول ضربة أذهلت أوربا وكشفت عن مقاصدها الحقيقية هى الاستيلاء على النمسا فى مارس سنة ١٩٣٨ ، ثم كانت مشكلة السوديت فى سبتمبر من هذا العام وتخاذل انكلترا وفرنسا وتخليهما عن تشيكوسلوفاكيا ، ثم كان مصرع تشيكوسلوفاكيا ذاتها واستيلاء هتلر عليها فى مارس سنة ١٩٣٩ واستيلاء ايطاليا على البانيا بعد ذلك بأسابيع قلائل

هذه الضربات العنيفة المتوالية أيقظت انكلترا وفرنسا من سباتهما العميق وبدا خطر المانيا النازية عندئذ على سلام أوربا وسلام العالم واضحا جليا ، ولم تكن مسألة دانزج التى أثارتها المانيا بعد ذلك بأشهر قلائل سوى حجة ظاهرة لاضرام نار الحرب التى انتوت النازية ان تضرمها لتحقيق أطماعها فى سيادة أوربا وسيادة العالم ، والتى لبثت أعواما طويلة تستعد لها وتسخر من أجلها كل موارد المانيا العظيمة الزاخرة

ونحن نعرف كل ما كشفت عنه حوادث الاعوام الثلاثة الاخيرة من ظهور قوة المانيا وانهيار الدول التى غزتها ومنها فرنسا فى أسابيع معدودات ، ووقوف بريطانيا وحدها فى وجه الخطر الداهم ، ثم اقدام هتلر على غزو روسيا التى استطاعت أن تثبت فى وجه الغزاة ، وأن تقلب خططهم رأسا على عقب

ثم كان فصل جديد من المأساة فدخلت اليابان الحرب لتحقيق برنامجها الاستعمارى الضخم الذى بدأته منذ أعوام بغزو الصين ، كما دخلتها أمريكا الى جانب بريطانيا وحلفائها

***

وكانت الامم الشرقية خلال هذه الحقبة تشق أيضا طريقها الى مصاير جديدة ، وكانت حتى نشوب الحرب الماضية تجوز فترة ركود عميق ، فلما انتهت الحرب بظفر الحلفاء وذاعت مبادىء الرئيس ولسون فى تقرير المصير ، أخذت معظم الامم الشرقية من الهند الى مصر تجيش بحركات جديدة ، ترمى الى تحقيق أمانيها وكانت الامم العربية التى سلخت عن الدولة العثمانية قد وضعت تحت الانتداب ، وفرض الوطن القومى اليهودى على فلسطين ، ووضعت مصر منذ نشوب الحرب تحت الحماية . ولكن سرعان ما تبين الظافرون اخطاءهم وأخذوا يستمعون شيئا فشيئا الى صوت الشعوب المغلوبة ، ومع أن هذه الشعوب لم تظفر حتى اليوم بجميع مطالبها وأمانيها فانها قد استطاعت أن تحقق قسطا منها . ولا ريب انها بما أبدته من مؤازرة لبريطانيا العظمى وحلفائها فى هذه المحنة العالمية جديرة بأن تحقق أمانيها المشروعة

***

هذه صورة سريعة خاطفة لاحداث التاريخ التى شهدها العالم فى الخمسين عاما الاخيرة وهى أحداث جسام تملأ مجلدات ضخمة

وما زال العالم منذ ثلاثة أعوام يتقلب فى جحيم المحنة التى ألقته اليها القوات النازية المتوثبة لاحراز السيادة العالمية بطريق الغزو الشامل ، ومن المستحيل أن يتكهن انسان فى الوقت الحاضر متى وكيف تختتم هذه المأساة المروعة التى لم يشهد التاريخ مثل هولها وشناعتها

بيد أن هناك شعاعا بدا يتفتح فى الافق ويملأ قلوب عباد الحرية والكرامة والانسانية أملا فى أن تنهار قوى الشر التى أخذت تخبو وتبدو عليها علائم الوهن . ففى ميادين روسيا الشاسعة تستنفد قوى النازية ومواردها تباعا ، وبريطانيا العظمى وامريكا تسرعان الخطى فى مضاعفة الانتاج الحربى والاستعداد لتسديد الضربة الحاسمة . ومتى بدأ المعتدون فى الترنح ، ومتى لقيت ألمانيا النازية ضربتها الساحقة سواء فى ميدان الحرب أو ميدان الثورة الداخلية ، فعندئذ فقط يستطيع العالم وتستطيع الشعوب الحرة كلها أن تعود فتنعم بنسيم الامن والحرية والسلام

محمد عبد الله عنان

العالم سنة ١٩٩٢

بقلم الدكتور أمير بقطر

فى مقدمة ما يسترعى الانظار فى سنة ١٩٩٢ تطور هائل فى سرعة المواصلات ، لا تكاد تصدقه العين ، ولا يكاد يحلم به انسان . تقصر المسافات بين البلدان ، فيصغر العالم الذى نعيش فيه ، وتنكمش الكرة الارضية ، فيستطيع السائح أن يدور حولها على جناح الطائرة فى ساعات معدودات . واذا ما شاء ان يعرج فى طريقه على بعض العواصم ، استطاع أن يتناول طعام الافطار فى لندن أو باريس ، والقهوة فى نيويورك والغذاء فى سان فرنسسكو ، والشاى فى شنغاى ، و« الكوكتيل » فى بمباى ، والعشاء فى القاهرة . وبذلك يصبح التسابق على الشريط الازرق ، بين كوين مارى وما يعادل نورماندى ، حديثا نسج عليه العنكبوت خيوطه

وتنبغ طائفة من علماء السياسة والاقتصاد والاجتماع والنفس ، فيشيدون هذه العلوم على مبادىء وأسس تثبت التجارب صحتها ، فيسمو الخلق الدولى ، ويعيش الساسة فى جو أقرب الى الصراحة وحسن النية ، منه الى الدس والخديعة . وينتج من ذلك ان تضعف القومية ، ويزداد التعاون بين الامم ، ويتهدم جانب كبير من الحواجز الجمركية ، ويكون أساس التجارة وتوزيع السلع العالمية ، النفع المتبادل ، لا حشد الثروة فى بلد على حساب بلد آخر . أما مصر وسائر الاقطار العربية ، فتتقرب من أوربا فى ثقافتها وحضارتها وتفكيرها ، ويقل الكلام عن العروبة ، ويكثر الحديث عن اعتناق «الاوربية» خصوصا حضارة البحر الابيض المتوسط منها ، ويخفت صوت المتحدثين عن الشرقية والشرقيين ، والمصريين ، والعرب ، والمسلمين ، ويعلو صوت المنادين باحياء الحضارات التى زهت على ضفاف الكنج ، وترعرعت بين الفرات والدجلة ، وبلغت أعراف المجد على شط النيل ، ثم انتقلت الى حوض البحر الابيض المتوسط ، وأخيرا سمت الى السماك على شطى المحيط الاطلسى . وينظر الناس الى هذه الحضارات كتراث قديم ثمين ، ومتاع مشاع بين جميع الامم . وبالقدر الذى به تقصر به المسافات بين البلدان ، تتقرب الافهام ، وتتوحد الازياء ، ويتشابه التفكير الاممى ، وطرق العيش ، مع عدم الاخلال بمقتضيات المناخ والجغرافيا ، وبما لا بأس به من العرف والتقليد

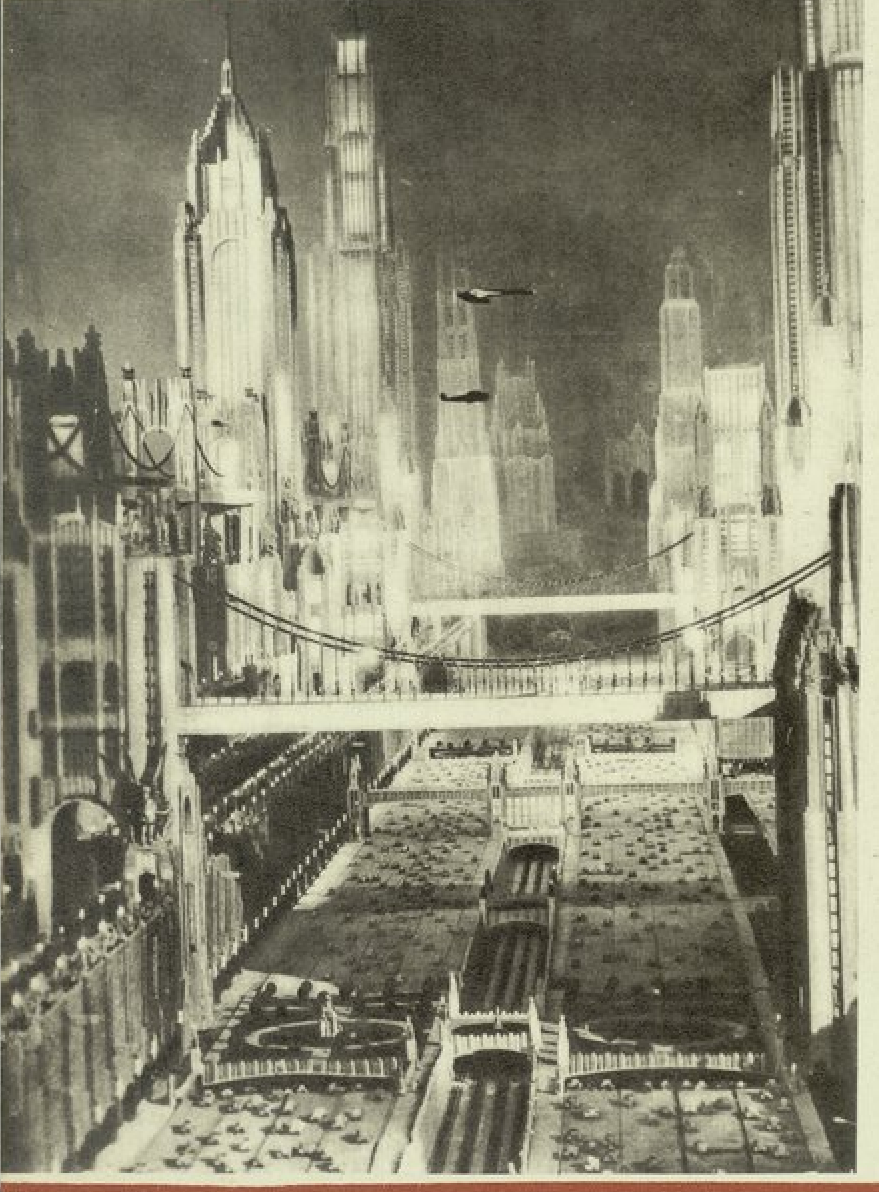
ويقفز العلم قفزات خاطفة فى نهاية الخمسين سنة المقبلة ، حتى تبلغ سرعته فى شتى النواحى عشرة أمثالها فى خلال الخمسين سنة الفائتة . ففى عالم الطب يقضى على الألم فى جميع صوره قضاء مبرما ، ويقطع دابر عدد يذكر من الامراض الخبيثة ، وينجلى بعض سحب الغموض التى تغطى الكثير من الامراض النفسية ، والاضطرابات العقلية والعصبية ، ويهرع الاصحاء والمرضى الى علماء النفس ، للتحليل النفسانى ، كما يهرع المتمدينون اليوم من آن الى آخر لفحص اجسامهم وان كانوا من غير المرضى . اما الهندسة فتصبح الحاكم بأمر الله ، تخضع لها الكهرباء ، والاثير ، وطبقات الهواء ، فتسخرها وتسير العالم بوساطتها تسييرا يقلب طرق البناء ، والمواصلات ، والرى ، والميكانيكا رأسا على عقب ، وتكشف لنا علومها عن حقائق لا تقل روعة ، عما يكشفه لنا العلم عن حقيقة الغدد ، والاشعة ، والفيتامين ، والذرة

ويصيب علماء التوالد وتحسين النسل نصيب من النجاح فى التحكم فى المولود ، فيتمكنون من ان «يوصوا» به أن يكون ذكرا أو انثى ، أو ان تحمل المرأة به بغير ان تتصل برجل ، وقد يتسنى لهم ان تتم عملية التلقيح بطريقة كيمائية خارج الرحم ، أى فى أنبوبة اختبار ، وبذا يخلقون للعالم مشاكل جديدة لا حول لنا على مجابهتها ولا قوة ، ويضاعفون استقلال المرأة عن الرجل ، فوق ما نالته فى العصر الحاضر من استقلال . ـ

ويتأتى من هذه وسواها من مظاهر التقدم الاجتماعي والاقتصادي ، تعقد في مسائل الزواج ، والطلاق ، والعلاقات الجنسية بين المرأة والرجل ، وتحول متطرف في هذه الناحية ترتعد لها فرائص آباء هذا العصر وأمهاته . وتزاحم المرأة الرجل في جميع الميادين ، وتفقد الكثير من أنوثتها وطراوتها ، ولكنها تضحى أشد اعتزازا بنفسها ، وأكثر افتخارا بشخصيتها ، وأقل اعتمادا على أبيها وزوجها ، وتمثل دورا هاما على مسرح السياسة ، فتقلب الحكومات متى شاءت ، وتوطد دعائمها متى شاءت ، متخذة في ذلك سيفا ذا حدين : الانوثة والمقدرة . ولن يكون اختلاف الدين حائلا بين زواج رجل بامرأة من غير دينه حتى في أشد البلدان العربية تحفظا

وتجنح بلدان العالم المتمدين الى نوع من النظام الاشتراكي المعتدل ، فتهبط النسبة العددية في كل من الطبقتين الموسرة والفقيرة ، وترتفع في المتوسطة ، كما هي الحال اليوم في أمم اسكندناوه وسويسرا وفنلندا . وستنال مصر وسائر الاقطار العربية نصيبا غير وفير من هذا النظام في المدن على الاخص . فتخفض مرتبات كبار الموظفين تخفيضا كبيرا ، وترتفع مرتبات صغارهم قليلا ، وتلغى الرتب والنياشين ، ويقل الاقبال على وظائف الحكومة ، ويحجم الشبان ذوو المطامح عن الاشتغال بالاعمال ذات المرتبات المحدودة ، ويؤثرون الاعمال الحرة المربحة ، تاركين الوظائف الكتابية التي تملأ دواوين الحكومة اليوم ، للجنس اللطيف

ويصبح عدد الأميين من المصريين في كل مئة مثل عدد المتعلمين في كل مئة اليوم ، على ان السواد الاعظم من سكان الريف برغم ذلك ، لن ينتفعوا بما تعلموه اذ أنهم وان استطاعوا أن يقرأوا ، فانهم لن يجدوا ما يقرأون ، وسرعان ما ينسون ما تعلموه أو يكادون . أما عن التربية عامة ، فستأخذ مصر والاقطار الشقيقة بمبادىء المدرسة الحديثة ، فتجعل المناهج أساسها نفسية المتعلم ، لا المنطق ، وتجعل النظام أساسه الرغبة والحاجة ، لا الضغط والارهاب . وبذلك تصبح كل مرحلة من مراحل التعليم الحياة بعينها ، لا الاعداد الى الحياة ، أو الى المرحلة التي تليها . ويختفي من المدارس الابتدائية المعلمون من الذكور ، كما يختفي الممرضون من المستشفيات فيحل مكان هؤلاء المعلمات ، ومكان أولئك الممرضات . ويختفي التعليم النظري في أكثر المدارس الثانوية ، ويأخذ مكانه التعليم العملي الذي يعد الطلاب للحياة الصناعية والتجارية والزراعية ، اذ لا يقال عندئذ ان مصر بلاد زراعية ، بعد أن تنتشر في ربوعها المصانع ، فتكون صناعية تجارية أكثر منها زراعية . ولعل أهم انقلاب في نظام التعليم تغلغل الحياة المدرسية في الحياة الاجتماعية واندماج النشاط المدرسي بالنشاط الاجتماعي . فهذه المدرسة السعيدية يتكفل طلابها بالعناية بأشجار شوارع الجيزة . فلكل طالب شجرة يتولى سقيها بالماء وشذب أغصانها والعناية بها . وهذه مدرسة فاروق الاول يتولى طلابها نظافة شارع العباسية ، فيكون كل منهم مسئولا عن شطر منه ، أو حارة أو طريق متفرع منه . وهذه مدرسة الاميرة فوزية تعنى طالباتها بملاجىء الايتام في الاحياء القريبة من المدرسة ، وهكذا . .



مدينة المستقبل كما تخيلها
أحد مخرجي السينما الأمريكان

هناك أشياء تكون فى سنة ١٩٩٢ كما هى اليوم ، لا تتغير أبدا أو لا تتغير الا قليلا ، واخص بالذكر أولا الطبيعة البشرية ، وثانيا الفلاح المصرى . لا تكفى الخمسون سنة القادمة فى زحزحة كابوس الفقر والجهل والمرض قيد أنملة ، كما لا تستطيع أن تهذب طبيعة الانسان ، وقد مضى عليها ألوف من السنين وهى لم يصقل فيها الا ذلك الغشاء الرقيق ، الذى سرعان ما يخدش حتى تبدو تحته المادة الخام

منذ أعوام قليلة مضت سئل دكتور بارلو (من مؤسسة روكفلر سابقا ومن أطباء وزارة الصحة حالا) هل هناك أمل فى قطع دابر البلهارسيا والانكلستوما ؟ أجاب نعم ، بعد أربعة آلاف سنة اذا بذل أقصى الجهد فى مكافحتها . معنى هذا اننا سندون فى كتب الاحصاء بعد ٥٠ عاما أن أكثر من ٩٠ ./. من الفلاحين مصابون بهذين الداءين ، ومثل هذه النسبة مصاب بالرمد الحبيبى . وتوخيا للايجاز أضع نموذجا من أخبار محلية فى صحيفة يومية من صحف سنة ١٩٩٢ ، يرى فيها القارىء صورة لا تختلف عن مثلها فى صحف هذا العام :

١ ـ تشكلت برياسة وزير الاشغال لجنة للنظر فى استدعاء خبير أجنبى واحياء مشروع توليد الكهرباء من مساقط المياه فى خزان اسوان

٢ ـ يجتمع مجلس السكة الحديدية الاعلى اليوم لاستئناف البحث فى مسألة كهربة خط حلوان

٣ ـ ينظر مجلس النواب فى جلسة هذا المساء الاستجواب المقدم بشأن خفض نسبة النجاح فى الانتقال من سنة دراسية الى أخرى فى جميع الجامعات المصرية

٤ ـ طلبة الانتساب مدعوون للاجتماع حول كشك حديقة الازبكية غدا الساعة السادسة مساء

٥ ـ بلغت تبرعات أعيان مديرية الدقهلية لمشروع الحفاء ٣٥٠٠ جنيه مصرى

٦ ـ يلقى عميد كلية الحقوق فى جمعية الشبان المسلمين فى تمام الساعة الخامسة من مساء الغد محاضرة فى عيوب الوقف الاهلى وطرق علاجها

٧ ـ جاءنا مقال انحى فيه كاتبه باللائمة على مصلحة التنظيم لاهمالها الاحياء الوطنية ، مع شدة عنايتها بالاحياء الاوربية ، فاكتفينا بالاشارة اليه

٨ ـ نشرت صحيفة التيمس بلندن مقالا لمراسلها فى القاهرة وصف فيها القرية المصرية كما رآها ومما جاء فى المقال أن حياة الفلاح المصرى وبيته وطرق معيشته لم يطرأ عليها تغيير منذ آلاف السنين

٩ ـ يشكو نظار المدارس الحرة من ان وزارة المعارف لم تصرف لهم اعانة الاستبقاء الى الآن

١٠ ـ شكلت لجنة من طلبة جامعة فؤاد الاول للسعى فى ازالة سوء التفاهم بين الزعماء والتوصل الى تكوين وزارة قومية

أمير بقطر



[تصوير ابكار — بالاسكندرية]

قلعة صلاح الدين الايوبى بالقاهرة

الأدب بعد خمسين عاما

بقلم الاستاذ ابرهيم عبد القادر المازنى

بعد خمسين عاما كيف ترى سيكون الادب ــ أو غيره ؟ من يدرى ؟ وليست خمسون عاما بالمسافة الطويلة من الزمن ، وانها لتستقل اذا كانت عمر انسان مفرد ، فكيف بها فى حياة أمة لا ينفك عمرها يتطاول بمن يخلف آحادها الذاهبين ، على ظهر هذه الارض ؟. ولكن قصر هذه المسافة لا يعين على حسن التمثل وصحة التصور لما عسى أن يكون ، وانى لأرى محاولة ذلك اجتراء على الغيب ، وما أعرفنى أدركت ما فى يومى الحاضر ادراكه ، حتى أستطيع أن أمد بصرى الى ما وراء الاستار المسدلة ، ثم ان الزمن يتغير بسرعة حتى ليحس المرء كأنما يساق بالسياط . ولو سئلت أن أرسم صورة لما عسى أن يكون بعد ألف عام لكان أهون ، فانها حقبة مديدة يمكن أن تتغير فيها الدنيا تغيرا تاما ، ويتسع المجال للخيال ، أما خمسون سنة فالارجح أن يحياها المرء ولا يشعر بالتطور الحاصل ، أو يفطن الى ما صار اليه ، بالقياس الى ما شب عنه

على انه لا ضير مع ذلك من التسلى بالتخيل . أوليس معظم حياتنا وهما ؟ ألسنا نعيش بالأمل والخوف ؟

ولا أعلم متى تضع هذه الحرب أوزارها ، ولكنى أكاد أقطع بأنها لن تكون الاخيرة ، ولا شرها على بنى الانسان . وستدور أرحاء حرب أخرى بعد فترة استجمام واستعداد فانى أرى بذورها تلقى من الآن

ولا تعنينى الحرب فى ذاتها وانما يعنينى منها ما تورث الناس . وهى تشب الاحساس وتوقظ الشعور فى أول الامر ولكنها تضعف قوة التفكير السليم عند الجمهور ، وآية ذلك ما نراه فى أيامنا هذه من سرعة التصديق للسخافات اذا اتفق أن تجىء موافقة للهوى أو الأمل أو الخوف . ومن آفات الحرب انها توهن ملكة النقد الدقيق والوزن المحكم للحوادث والحقائق وتشجع المغالطة العاطفية للنفس واذا طالت أورثت الناس ــ من مدنيين وعسكريين ــ كثافة فى الحس وبلادة فى الشعور وخشونة فى الطباع وأثرة واضحة وأنانية صارخة فينحط المستوى الاخلاقى العام، وتتزعزع الاركان الادبية التى يقوم عليها بناء الجماعة الانسانية

ولا نزاع فى اننا نحن المصريين صرنا بعد الحرب الماضية أكثر استباحة لما كان محرما أو مكروها قبلها وسنصبح بعد هذه الحرب أشد شططا وأعظم اغراقا لان هذه الحرب تكلف أعصابنا فوق ما كلفتها الحرب الماضية . فاذا جاءت حرب ثالثة ــ وهو ما لا يخامرنى شك فيه ــ فالى أى حال نصير يا ترى ؟ انى أدع للقارىء أن يتصور الاثر الذى يحدثه فى عيشنا ومساعينا تصدع نظام الحياة والاضطراب الطويل قبل أن يقوم نظام جديد تستقر على حدوده الامور

ويخيل الى ــ كلما أدرت عينى فيما مر من الحوادث فى زمانى ــ أن هذه الحروب ــ وأنا أضيف اليها ما أراه آتيا لا محالة ــ من العلامات المؤذنة بميلاد عالم جديد بعد أن يتم هدم عالمنا القديم وفى جملته امريكا ــ فانى أعنى بالعالم حضارته ونظمه السياسية والاقتصادية والاجتماعية ــ ولا يبقى منه سوى انقاض كأنقاض المدنية الفرعونية التى عفى عليها الزمن ــ تدهش الناس ولكنها لا تؤثر فى حياتهم لانها ماتت ودفنت كما دفنت بومبى ثورة بركان فيزوف

***

وأنتقل الى اللغة والادب فأقول انى أحسب أن الثروة اللفظية للغتنا لن تكون فى المستقبل من مزاياها وسيكون هم الناس الاجتزاء بما يفى بحاجات التعبير وطرح الباقى الذى لا خير فيه ولا حاجة اليه ولا حياة له لانه غير لازم . وليس هذا من الشطط فى التخيل فاننا نصنعه الآن وما على من يشك فى هذا الا أن

يسأل نفسه كم كلمة يستعملها الاديب منا فيما يكتب من كل هذه الثروة اللفظية التى تملأ عدة مجلدات ضخمة ؟ ما أظن أن أحدا منا يستعمل أكثر من بضع مئات من الالفاظ هى الحية الصالحة أما ما عداها فميت ولو كانت به بقية حياة لسالت به الاقلام ودار على الالسنة

ولا يتوهم أحد أن قلة الالفاظ المستعملة تضعف الاداء أو تحول دون وفائه أو تؤدى الى التقصير فيه فان أوتار القيثارة أربعة ليس الا ومع ذلك يعزف الموسيقى عليها كل صوت ويخرج من هذه الاوتار القليلة ألحانا لا عداد لها . . وأداة التصوير بضعة ألوان أساسية يزاوج بينها المصور ويرسم بها ما شاء . فليت مجمعنا اللغوى الموقر يعنى باحصاء هذه المئات القليلة من الالفاظ الحية ويهمل ما يريد أن يضيع فيه وقته من وضع معجم شامل محيط لقديم منبوذ وجديد سينبذ ما لا صلاح له منه

ويتفرع على هذا أن الترادف سيزول أول ما يزول لانه عبث وعناء باطل لا يتسع له وقت الاجيال المقبلة وسيتوخى الكتاب أن يفصلوا كلامهم على قدود المعانى ومن يدرى ؟ لقد شاعت « مودة » السراويلات والقمصان القصيرة التى تظهر من الجسم أكثر مما تستر ويوشك أن يصبح زى غاندى هو الشائع ! فاذا عددنا هذا اتجاها يصلح أن يقاس عليه فقد يصبح الاداء كالفهرس — ايماءات وجيزة الى معان عميقة أو واسعة أو نوعا من الاختزال

وهذا يستدعى ان تختفى كتب البيان والبديع وما الى ذلك ، وأن لا يبقى من النحو والصرف الا ما لا غنى عنه لصواب التأليف

***

ويكبر فى وهمى أن الشعر لن يكون له محل — أو الا محل ضئيل — فى هذا المستقبل فيقل الاقبال عليه وتفتر الرغبة فيه فلا يقول القائل سوى أبيات مفردة تكون كالفلتات . ونذر هذا التحول ملحوظة من الآن فان سوق الشعر ليست بذات رواج

وسواء بقى أم لم يبق فان هذه البحور والاوزان ستذهب — كما تذهب التقفية — فانها أغلال للذهن كما هى أغلال لتأليف الكلام وصوغ العبارة . والاتجاه — فيما أرى — الى التحرر من الماضى العتيق لكثرة ما يختلط فيه من الفساد بخيره القليل

***

وهذا الذى اتخيله فى المستقبل القريب نسبيا ليس الا مرحلة فى الطريق الى ما أنا مقتنع بأن الامر صائر اليه لا محالة بعد زمن كاف ، وأعنى بذلك الاستغناء عن اللغة جملة ، وعن أداة اللفظ فى التفاهم والاكتفاء بموجات نفسية يتبادلها الناس ويتفاهمون بها ولا يحتاجون معها الى كلام وثرثرة . وقد استخدمنا اللاسلكى فى التراسل وفى اذاعة الاصوات ، فلماذا يتعذر الترقى الى استخدام الموجات بين نفس ونفس ؟

وما حكم الله فيما ترك لنا السلف من آثار ؟ أظن أن هذه ستختصر ويختار من كل أثر أجود ما فيه وأحقه بالبقاء أما سائره فيبقى فى « متحف » دار الكتب !

ولا استطيع أن أقول شيئا فى موضوعات الادب فانها — كما هو ظاهر — رهن بما تستقر عليه حياة الجماعة من قواعد جديدة . على انى أعتقد أن العقول ستكون أقدر على التلقى والاستيعاب والارسال ، وأن أسلوبها فى النظر سيكون « مباشرا » خاليا من اللف والدوران كأسلوب التعبير سواء بسواء

هذه صورة لا أزعم انها واضحة أو منتظمة ، ولكنى مؤمن بالاتجاهات فيها بغض النظر عن مسافة الزمن

وقد سئل جحا مرة « كم نجما فى السماء » فقال « مائة ألف » قالوا « يا شيخ هذا قليل » قال « من كان لا يصدق فليصعد الى السماء ، وليعد ما فيها من نجوم ! »

وأنا أقول كما قال جحا . . .

ابرهيم عبد القادر المازنى

القضيّة العربيّة

فى خمسين سنة

بقلم الاستاذ حبيب جاماتى

فى سنة ١٨٩٦ عقد أحرار الترك مؤتمرا فى باريس دعوا اليه ممثلين من جميع العناصر والشعوب التى كانت تتألف منها الدولة العثمانية فى ذلك العهد . وكان الغرض الاول من عقد المؤتمر الوصول الى ازالة سوء التفاهم بين الترك من ناحية والارمن من ناحية أخرى ، على أثر الحوادث الدامية التى توالت بلا انقطاع فى أرمينيا . وقد فشل المؤتمر ، واحتدم الجدال فى الجلسة الاخيرة بين لفيف من ممثلى الترك ولفيف من ممثلى العرب ، فنهض زعيم الفريق التركى ، مراد بك الداغستانى ، وخاطب أحد ممثلى العرب الكاتب السياسى الشهير خليل غانم اللبنانى ، قائلا : « أصحيح أن العرب يريدون الانفصال عن الدولة العثمانية ويسعون الى تأسيس دولة عربية مستقلة ؟ » فالتفت خليل غانم الى زميله ندرة بك مطران أحد ممثلى العرب المسيحيين فى سورية ، وطلب اليه أن يرد على هذا السؤال باسم رفاقه . فوقف ندرة بك وخطب قائلا ما ملخصه ان العرب فى الدولة العثمانية لا يريدون الانفصال ولا يسعون الى تأسيس دولة مستقلة . ولكنهم يطلبون الاصلاح ويرغبون فى أن يتمتعوا بذات الحقوق التى يتمتع بها مواطنوهم الترك . وان غاية ما يصبون اليه هو انشاء نظام « اللامركزية » الذى تمنح بموجبه الولايات العربية نوعا من الحكم الذاتى الداخلى . وأعلن الخطيب بلهجة قاطعة أن العرب لا يفكرون فى أن يمدوا أيديهم الى الاجانب وأنهم يحافظون على استقلال الدولة العثمانية وسيادتها محافظة الترك أنفسهم على ذلك التراث القومى الثمين



الملك حسين بن على — الملك فيصل الأول



جلالة الملك فاروق يتصدر المأدبة الملكية التى أمر باقامتها فى يناير سنة ١٩٣٩ لممثلى الاقطار العربية فى مؤتمر لندن لحل مشكلة فلسطين . وإلى يمينه الأمير فيصل رئيس الوفد السعودى ، وإلى يساره سيف الاسلام الامير حسين ولى عهد اليمن ورئيس الوفد اليمنى

تلك كانت خطة العرب منذ نحو نصف قرن ، وذلك كان شعورهم . وما كانت القضية العربية فى أول نشأتها بأكثر وأوسع مما وصفها به ندرة بك مطران ، أى أنها كانت حركة داخلية ، ضمن نطاق الدولة العثمانية ، ترمى الى الحصول للعنصر العربى على حقوقه المدنية والسياسية كاملة غير منقوصة

فأول مظهر اذن للقضية العربية هو « اللامركزية » ومعنى هذه الكلمة كما كان المطالبون بها يفسرونها « عدم حصر السلطات جميعها فى أيدى القابضين على زمام الحكم فى الآستانة ، بل توزيعها واعطاء الحكام ومعاونيهم فى الولايات العربية صلاحيات واسعة تخضع على كل حال ، فى نهاية الامر ، للسلطة المركزية فى عاصمة الدولة » غير أن الباب العالى لم يكن فى ذلك الوقت واسع الادراك بعيد النظر ثاقب التفكير كما كانت تقتضى الظروف والاحوال والتطورات السياسية والاجتماعية والثقافية . فقد نظر السلطان ومن حوله الى طلاب الاصلاح من العرب نظرهم الى أعداء يرومون الأذى بالدولة ، وظلت العلاقات تسير من سىء الى أسوأ بين الترك والعرب بسبب تمسك هؤلاء بمطالبهم وتعنت أولئك فى مناهضتها ، الى أن حدث الانقلاب الذى أسفر عن سقوط السلطان عبد الحميد وقيام النظام الدستورى الذى رحب به العرب ترحيب الترك أنفسهم ، الى حد أنهم أطلقوا عليه اسم « عهد الحرية »

ولكن آمالهم خابت فى هذا النظام الجديد كما خابت من قبل فى النظام السابق له . وارتفعت شكاياتهم مرة أخرى من تطبيق الدستور بروحه وأحكامه ونصوصه تطبيقا غير عادل يحرم العرب من حقوقهم ويفرض عليهم جميع الواجبات . وحاول عقلاء العرب أن يحملوا أصحاب الأمر والنهى فى الاستانة على العدول عن سياستهم الخالية من الانصاف ، ولكنهم عجزوا عن اقناعهم فاشتد الجفاء وجعل العرب يفكرون فى سلوك مسلك آخر يوصلهم الى تحقيق أغراضهم

وفى سنة ١٩١٣ عقد المؤتمر العربى الاول فى باريس . وهو المؤتمر الذى يمكن اعتباره المظهر الحقيقى الاول لدخول القضية العربية فى الدور الخطير الذى أدى الى اعدام طائفة من الاحرار فى بيروت ودمشق فى الحرب العظمى الأخيرة واعلان الثورة على الدولة العثمانية

وقد عقد المؤتمر العربى جلسته الأولى فى ١٣ رجب سنة ١٣٣١ الموافق ١٨ يونية (حزيران) سنة ١٩١٣ بالقاعة الكبرى للجمعية الجغرافية بشارع سان جرمان بباريس . وكانت لجنته الادارية المنتخبة مؤلفة



مؤتمر بلودان بجوار دمشق ، وهو أحد المؤتمرات التى عقدت لحل مشكلة فلسطين . فى الصف الأول من اليمين : أمين بك التميمى فمحمد باشا السعيد فالدكتور عبد الحميد سعيد فمحمد على علوبة باشا فالأميران شكيب وأمين أرسلان، وخلفهم بقية مندوبى الأمم العربية

من السادة : عبد الحميد الزهراوى (رئيسا) وشكرى غانم (نائب رئيس) وسليم على سلام واسكندر عمون والشيخ احمد طبارة وندرة مطران وعبد الغنى العريسى ومحمد محمصانى وعونى عبد الهادى وجميل مردم وشارل دباس

ونذكر هنا أن عبد الحميد الزهراوى والشيخ احمد طبارة وعبد الغنى العريسى ومحمد محمصانى كانوا بين الشهداء العرب الذين أعدمهم جمال باشا السفاح فى دمشق وبيروت سنة ١٩١٦، وأن الكاتب الشاعر شكرى غانم مؤلف « عنترة » بالشعر الفرنسى أنشأ لجنة فى باريس وافقت على انتداب فرنسا على سورية ولبنان وتوفى بمدينة أنتيب . وأن سليم على سلام توفى من سنوات فى بيروت . وأن اسكندر عمون قام مدة على رأس جمعية الاتحاد اللبنانى بمصر التى كانت تطالب باستقلال لبنان ثم انضم الى الملك فيصل فى دمشق وعين وزيرا للخارجية السورية وتوفى من سنوات . وأن ندرة مطران توفى أيضا بباريس وقد وضع كتابا بالفرنسية عن سورية بسط فيه القضية العربية بسطا وافيا . ويواصل عونى عبد الهادى الآن جهاده فى سبيل فلسطين كما يواصل جميل مردم جهاده فى سبيل سورية وقد ترأس حكومتها وفاوض باسمها لعقد المعاهدة السورية الفرنسية . وأما شارل دباس فقد أصبح فى عهد الانتداب الفرنسى رئيسا للجمهورية اللبنانية وظل فى كرسيه الى أن وافته المنية

***

ولنعد الآن الى المؤتمر العربى فنقول ان مباحثاته ومناقشاته لم تتناول قط مسألة الانفصال عن الدولة العثمانية . ونجد أبلغ دليل على ذلك فى القرارات التى وافق عليها بالاجماع فى جلسته الاخيرة ، وأذاعها على الملأ ، وقابلتها العناصر العربية فى البلاد العثمانية والخارج بالارتياح والقبول ، وهى :

١ ـ ان الاصلاحات الحقيقية واجبة وضرورية للمملكة العثمانية فيجب أن تنفذ بوجه السرعة

٢ ـ من المهم أن يكون مضمونا للعرب التمتع بحقوقهم السياسية وذلك بأن يشتركوا فى الادارة المركزية للمملكة اشتراكا فعليا

٣ ـ يجب أن تنشأ فى كل ولاية عربية ادارة لامركزية تنظر فى حاجاتها وعاداتها

٤ ـ كانت ولاية بيروت قدمت مطالبها فى لائحة خاصة صودق عليها فى ٣١ كانون الثانى (يناير) سنة ١٩١٣ بأجماع الآراء وهى قائمة على مبدأين أساسيين هما : توسيع سلطة المجالس العمومية وتعيين مستشارين أجانب. فالمؤتمر يطلب تنفيذ وتطبيق هذين الطلبين

٥ ـ اللغة العربية يجب أن تكون معتبرة فى مجلس النواب العثمانى ويجب أن يقرر هذا المجلس كون اللغة العربية لغة رسمية فى الولايات العربية

٦ ـ تكون الخدمة العسكرية محلية فى الولايات العربيــة الا فى الظروف والاحيان التى تدعو للاستثناء الأقصى

٧ ـ يتمنى المؤتمر من الحكومة السنية العثمانية أن تكفل لمتصرفية لبنان وسائل تحسين ماليتها

٨ ـ يصادق المؤتمر ويظهر ميله لمطالب الارمن العثمانيين القائمة على اللامركزية

٩ ـ يجرى تبليغ هذه القرارات للحكومة العثمانية السنية

١٠ ـ وتبلغ أيضا هذه القرارات للحكومات المتحابة مع الدولة العثمانية

هذه هى القرارات التى اتخذها المؤتمر العربى بباريس . وأضيف اليها ملحق جاء فيه انه اذا لم تنفذ القرارات المشار اليها فالأعضاء المنتمون الى لجان الاصلاح العربية يمتنعون عن قبول أى منصب كان فى الحكومة العثمانية الا بموافقة خاصة من الجمعيات التى ينتمون اليها . وأن هذه القرارات ستكون برنامجا سياسيا للعرب العثمانيين ولا يمكن مساعدة أى مرشح فى الانتخابات التشريعية الا اذا تعهد بتأييد هذا البرنامج وطلب تنفيذه

***

تلك كانت مطالب العرب قبل أن ينفجر البركان وتندلع نيران الحرب العظمى فى سنة ١٩١٤ . نعم ان بعض زعماء العرب فى الدولة العثمانية كانوا فى ذلك الوقت وقبله يفكرون فى حركة أوسع نطاقا ويعللون النفس بآمال أبعد من هذه فيحلمون بانشاء دولة عربية مستقلة تقطع كل صلة بالدولة العثمانية . ولكن عدد هؤلاء المتحمسين المتطرفين كان قليلا جدا . وما كانت الحركة العربية الى سنة ١٩١٤ تتعدى تلك الدائرة الضيقة التى وصفناها أو ترمى الى احداث ثورة مسلحة . ولو أحسن الترك السياسة والتصرف ، وعالجوا الخلاف القائم بينهم وبين العرب بالحكمة والتعقل ، لتمكنوا من حل القضية العربيــة فى سنتى ١٩١٣ و ١٩١٤ حلا يرضى الفريقين ، ولحالوا دون قيام العناصر العربية بثورتها العامة فى سنة ١٩١٦ مما أدى الى تعجيل انهيار السلطنة العثمانية ، وقلب الاوضاع السياسية فى الشرق الادنى رأسا على عقب

فقد دخلت تركيا الحرب بجانب المانيا وحلفائها . وبدل أن يسعى رجال تركيا الفتاة الى خطب ود العرب والتفاهم معهم لابقائهم على ولائهم للدولة ، غاص أولئك الرجال الى أعناقهم فى سياسة العنف والارهاق التى انتهى بهم الأمر الى صبغها بالدماء . ووقع اختيار الحكومة التركية حينذاك ، لتنفيذ خطتها العدائية نحو العرب ، على رجل غليظ شرس ، فطر على حب الأذى وكان دائما تواقا الى سفك الدماء ، وهو جمال باشا ، الذى أطلق عليه العرب فيما بعد لقب « السفاح »

أراد أنور باشا ورفاقه أن يبعدوا هذا القائد المزاحم الطماع عن الآستانة فأرسلوه الى سورية ولبنان قائدا للجيش الرابع وحاكما مطلقا على البلاد ، يصنع فيها ما يشاء للقضاء على كل حركة عدائية من جانب العرب ، فعمد الى تجويع السكان من ناحية ، والى اعدام الزعماء وذوى الرأى وأصحاب النفوذ من ناحية أخرى

وهل كان يجب أكثر من ذلك لكى يطفح الكيل ويثور البركان ؟

فان الحرب كانت قائمة بين الدول . وكان الفريق الذى ناصبته تركيا العداء قد أدرك مكان الضعف من جسم الدولة العثمانية فجعل يتقرب من العرب ويتودد اليهم ويحرضهم على الانتقاض وكانت السياسة التركية



لورنس : أشهر رسل الحلفاء فى الثورة العربية

نحو العرب تزداد شدة وعجرفة وسوءا . بحيث يمكننا القول اليوم أن الترك هم الذين دفعوا العرب الى الثورة أكثر مما دفع العرب أنفسهم اليها أو دفعهم الحلفاء أعداء تركيا فى ذلك الوقت

ففى ١٠ يونية (حزيران) سنة ١٩١٦ رفع الشريف حسين بن على فى مكة راية العصيان وأعلن ثورة العرب على الدولة العثمانية ودعا العناصر العربية فى أنحاء السلطنة الى الالتحاق به وبرفاقه . وخرج من دمشق خفية لفيف من السوريين بعد اتفاقهم مع فيصل بن الحسين الذى كان قد أقام فى العاصمة السورية مدة من الزمن . وتدفق المتطوعون من كل فج وصوب على الحجاز وقد أصبح مهد الثورة وقبلة أنظار الثائرين . وتسلم قيادة الحركة الشريف حسين أو « ملك العرب » كما نودى به ومعه أبناؤه على وعبد الله وفيصل وزيد . وحولهم نخبة مختارة من رجال السوريين والعراقيين كجعفر العسكرى ونورى السعيد وفوزى ونسيب البكرى وعبد الرحمن شهبندر وأبناء العسلى والمؤيد وغيرهم . ولعب رسل الحلفاء دورهم فى توجيه الثورة وتوسيع نطاقها وعلى رأس أولئك الرسل الكولونيل لورنس المشهور . ولست فى حاجة هنا الى سرد تاريخ تلك الثورة فقد أصبح أمرها معروفا

***

فالثورة اذن انتقلت بالقضية العربية من طور الى طور فأصبحت هذه القضية قائمة على أسس ورامية الى أغراض غير التى وضعها المؤتمر العربى بباريس ، أى أنها لم تعد مجرد حركة اصلاحية بل أصبحت حركة استقلالية ترمى الى الانفصال عن الدولة العثمانية وجمع شمل العرب وتوحيدهم فى حدود دولة ذات سيادة . فهل حققت الثورة المسلحة التى قام بها العرب فى وجه الترك الاغراض الثلاثة التى كانت ترمى اليها ، ونعنى بها الانفصال والوحدة والاستقلال ؟

كلا . لم يتحقق من هذه الاغراض غير واحد فقط تحقيقا كاملا ، وهو الانفصال عن جسم الدولة العثمانية فقد زالت السيادة التركية عن جميع الولايات العربية التى كانت داخلة فى حدود السلطنة العثمانية . أما الوحدة فقد ظلت وما زالت الى الآن حلما من الاحلام . وأما الاستقلال فانه لم يتحقق بكامله وظل مقيدا بقيود يختلف نوعها باختلاف البلدان . فالقطر العربى الذى نال استقلاله فعلا بعد الثورة — أو بعد الحرب العالمية الماضية — هو الحجاز . وأما البلدان الأخرى التى اشتركت فى الثورة فقد فرض عليها نظام الانتداب وهذا ما جعل الصراع الذى كان قائما بين العرب والترك من قبل ، يتخذ وجهة جديدة فيصبح صراعا بين العرب الخاضعين للانتداب والدول الأوروبية المنتدبة عليهم من جمعية الأمم ، وانهمك كل قطر من الاقطار العربية بقضيته الخاصة فضعفت بذلك القضية العربية بجملتها . ولكنها عادت فنشطت مرة أخرى فى السنوات الاخيرة على أثر الحوادث المختلفة التى وقعت فى معظم الأقطار العربية فقربت بين العرب وأحيت فى نفوسهم الآمال الراقدة

والآن ، بعد مضى نصف قرن على تكوين الفكرة العربية الحديثة ، ومرور ثلاثين سنة على المؤتمر العربى الأول فى باريس ، وأكثر من ربع قرن على قيام الثورة العربية الكبرى ، نجد أن الأقطار العربية التى كانت جزءا من الامبراطورية العثمانية تؤلف طائفة من الدول الخاضعة لأنظمة يختلف بعضها عن بعض . فلنلق عليها نظرة عامة :

مصر : لم تشترك مصر فى الحركة العربية ، لا فى أول عهدها عند ما كانت ترمى الى اللامركزية ، ولا فى تطوراتها المتوالية فى أثناء الحرب الأخيرة وبعدها . غير أن قيام الحركة الوطنية فى مصر سنة ١٩١٩ ، وما عقب ذلك من حوادث داخلية ، قابلتها حوادث مشابهة لها فى البلدان العربية المجاورة ، كل ذلك دفع بمصر الى التعاون — ولو من الناحية المعنوية — مع تلك البلدان المجاهدة مثلها فى سبيل الحرية والاستقلال . وقد تضاعف ذلك التعاون فى السنوات الأخيرة وأصبح عمليا ، منذ أن تدخلت مصر فى القضية الفلسطينية لحلها بالاتفاق مع جاراتها العربيات . ونرى اليوم مصر المستقلة ، حكومة وشعبا ، تعطف على قضايا البلدان العربية الأخرى وتسعى بمختلف الوسائل لحلها حلا يتفق مع رغبات السكان وأمانيهم ، فضلا عن اهتمامها



النصب التذكارى لشهداء
القضية العربية فى دمشق

بتوثيق العلاقات السياسية والثقافية والاقتصادية مع الاقطار العربية توثيقا يبشر بخير عميم . ومصر اليوم قد حلت قضيتها الوطنية بعقد معاهدة تحالف وصداقة مع بريطانيا العظمى ، ينفذها كل من الفريقين بروح المودة والاخلاص

المملكة السعودية : تضم المملكة العربية السعودية الحجاز ونجد . وهى مستقلة ذات سيادة . وقد حلت فيها الأسرة السعودية محل الأسرة الهاشمية ، صاحبة الفضل الأول فى اعلان الثورة العربية

اليمن : زالت السيادة التركية عن اليمن منذ الحرب الاخيرة . ولم يشترك هذا القطر العربى فى الثورة التى أعلنها الحسين ولكنه استفاد منها بطريقة غير مباشرة . واليمن اليوم دولة مستقلة ذات سيادة

العراق : خضع العراق للانتداب الانكليزى . ثم ألغى هذا النظام وأصبح العراق دولة ملكية مستقلة تربطها ببريطانيا العظمى معاهدة صداقة وتحالف

سورية : تألفت منها الجمهورية السورية التى خضعت للانتداب الفرنسى . وفلسطين التى قام فيها الوطن القومى لليهود كما هو معروف . وشرق الاردن الذى جعل أمارة على رأسها الأمير عبد الله بن الحسين . وقد أعلن الفرنسيون الأحرار أخيرا أنهم يعترفون باستقلال سورية – ووافقهم على ذلك ممثلو بريطانيا العظمى وحلفائها – ولكن النظام النهائى الذى يجعل الاستقلال ناجزا معمولا به لن يوضع فى موضع التنفيذ الا بعد انتهاء الحرب الحاضرة

لبنان : خضع للانتداب . ثم حدث له ما حدث لسورية بالنسبة الى الفرنسيين الأحرار

الامارات العربية : أما الامارات العربية الاخرى كالكويت والبحرين وعمان وغيرها ، فانها لم تقم من قبل بأى دور فى تطورات القضية العربية . وجميعها الآن منفصلة عن الدول العربية التى تجاورها ومرتبطة بمعاهدات مع بريطانيا العظمى

***

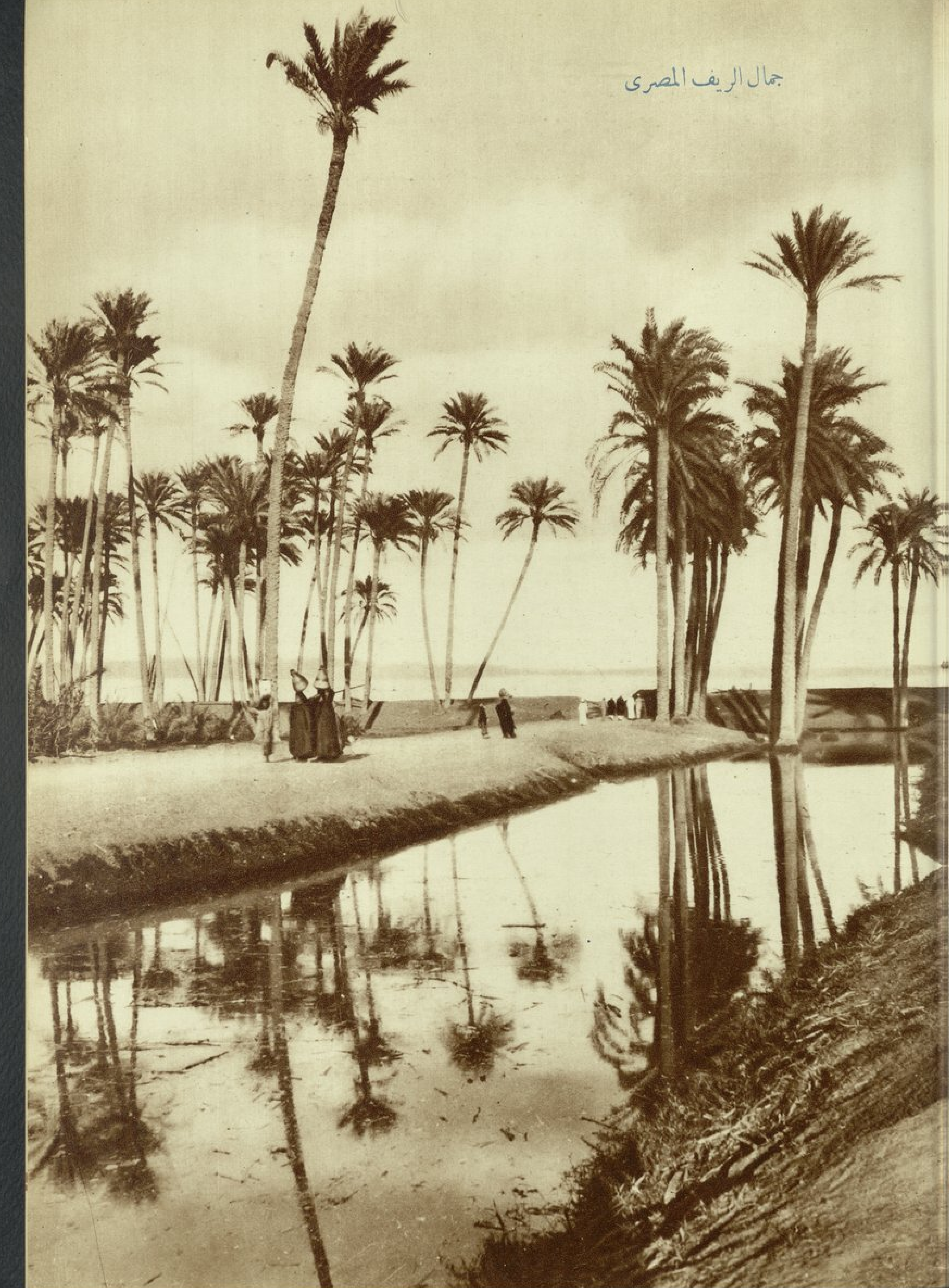
هذه نظرة اجمالية عن الوضع السياسى فى الأقطار التى يحق أن تسمى « عربية » بالنظر الى قومية سكانها وجنسهم ودينهم ولغتهم وعاداتهم وتقاليدهم . ويتضح مما تقدم ان القضية العربية قطعت شوطا بعيدا فى سبيل الحل . فقد تأسست دول عربية ولم يكن للعرب دولة قبل الحرب العالمية الماضية . كما انه لم يكن لهم ملوك أو أمراء مستقلون فأصبحوا اليوم ولهم الملوك والامراء ورؤساء الجمهوريات . وأما القضايا الخاصة بكل قطر عربى على حدة ، فقد حل بعضها ، والبعض الآخر سائر فى طريق الحل

بقيت الآن مسألة « الوحدة العربية » أو « الاتحاد العربى » أو « الكتلة العربية » وهى فكرة تعددت أسماؤها وتباينت آراء أنصارها ، ولكنها ترجع الى رغبة فى نفوس العرب متشابهة ، تدفعهم الى العمل فى سبيل توحيد مصالحهم ، ورفع الحواجز المنوعة التى تفصل بين أوطانهم ، والاستفادة بعضهم من مواهب البعض الآخر أو موارده

فالقضية العربية لم تعد اذن اليوم ما كانت بالامس ، بعد أن تم للعرب الانفصال عن الدولة العثمانية ، وتأليف دول مستقلة أو شبه مستقلة . بل ان تلك القضية قد أصبحت اليوم حركة ترمى الى التقارب والتعاون والتكاتف بين تلك الدول ، كبيرها وصغيرها ، على أمل الوصول الى ما هو أبعد من ذلك : الوحدة العربية أو الاتحاد العربى

وليس تحقيق هذه الأمنية بالأمر المستحيل ، اذا عرف المشتغلون بالقضية العربية كيف يسوسون أمورهم ، ويعالجون سياستهم ، ويتجنبون الأوهام والأحلام ، ويسلكون الطرق القويمة السهلة ، ويسعون الى تحقيق ما هو قابل للتحقيق

حبيب جاماتى



جمال الريف المصرى

الأدب والأدباء في العراق
في خمسين سنة

بقلم الأستاذ محمد رضا الشبيبي

وزير معارف العراق الأسبق

مر على الادب والادباء خلال هذه الحقبة البالغة خمسين سنة فى العراق عصران متباينان لكل عصر منهما طبيعته ومميزاته ، وهذان العصران هما عصر الدولة التركية وقد استغرق النصف الاول من الحقبة المذكورة ثم عصر الدولة العراقية وهو العصر الحالى ومن الغريب أن يمتاز العصر الاول على الذى يليه بكونه عصر النهضة الادبية ولذلك أسباب سنذكرها ، وهاك شرح الادوار التى مر بها الادب خلال هذه العصور

فى عصر الدولة التركية

يبدأ هذا العصر بسلطنة عبد الحميد سنة ١٢٩٣ هـ = ١٨٧٦ م وينتهى بتخلى الترك عن العراق بعد الحرب الماضية ولنا أن ندعو عصر العراق هذا (عصر العزلة) ويمتاز بأن البلاد كانت خلال مدته على الاكثر بمعزل عن كل ما هو أجنبى من حضارة أو ثقافة كما كانت مادة الثقافة فيه « ما عدا ثقافة الجالية التركية » عربية بحتة من الطراز المألوف فى العصور الاخيرة . ولما كان العراقيون كما لا يخفى من رعايا الدولة فى هذا العصر ، وكان حكامهم المستبدون بالسياسة هم الاتراك أعرض أبناء البلاد عن السياسة وانصرفت جهود أذكيائهم وذوى المواهب منهم الى الادب فى بعض ما انصرفت اليه . لذلك لم يخل العراق فى عصره هذا من حركة أو نهضة أدبية ، وقد تعددت هذه النهضات واختلفت باختلاف عواملها وأسبابها والظروف التى نشأت فيها ، فمن نهضة للادب العراقى فى فترة الاستبداد التركى الى أخرى تختلف عنها اختلافا كبيرا فى فترة اعلان الدستور ودونك بيان ذلك على وجه الاجمال

فترة الاستبداد

وعوامل هذه النهضة دينية بحتة عمت الاقاليم الجنوبية فى الربع الاخير من القرن الماضى الى أوائل هذا القرن ، وكان مركز هذه النهضة بعض حواضر الفرات وأشهرها النجف والحلة وقد اقتصرت على الشعر دون النثر غالبا فكانت لغة الكتابة والتأليف دون لغة الشعر لان الشعر فى أصله من المواهب ولذلك سبق النثر بمراحل كثيرة كما انها أى النهضة المذكورة لم تكن منبعثة عن دراسة منظمة على الوجه الذى نعرفه الآن وانما كان جل اعتمادها على البداهة والدراسات الشخصية الحرة المعروفة فى مدارس النجف والحلة وغيرهما من المدارس القديمة فى العراق ولهذه الطريقة الحرة فى الدراسة مزاياها عند فريق من اساتذة التربية ومن ذلك انها محك الذكاء والاجتهاد

وللادب فى النهضة المشار اليها — وعواملها دينية كما قلنا — ميزات خاصة ويصح أن يدعى (الادب العلوى) أو (الحسينى) وموضوعه مأساة الحسين وغيره من أئمة أهل البيت . وللعاطفة الدينية عاطفة الولاء والتفانى فى محبة القوم والتظلم لهم أبلغ الاثر فى ازدهار الادب المذكور وهو أدب معروف فى تاريخ الاسلام قديم قدم المآسى المذكورة ، شعاره البساطة والصدق والاخلاص ، ومن أقدم شعرائه الكميت الاسدى ودعبل الخزاعى ومنهم بعد هذه الطبقة أبو فراس الحمدانى والشريف الرضى ومهيار الديلمى وشعراء كثيرون جدا لا يخلو منهم عصر من العصور



منظر طبيعي جميل لغروب الشمس خلف دار البرلمان في بغداد

وليس هذا الادب أدب دموع وآلام فقط كما يتبادر الى الاذهان بل هو في جوهره أدب قوة وحماسة أشاد بذكر البطولة ودعا الى النضال ومجد الدفاع عن النفس والعقيدة في قصص وملاحم وقصائد يتخللها ذكر عادات العرب ومنازلهم في بلادهم وأوصاف الحروب والسلاح وهي قصص وقصائد وملاحم لا تكاد تحصى عدا وكثير منها متداول مطبوع . ومما لا شك فيه الآن أن الفصحى انتفعت بما في هذا الادب من ثروة لغوية وأساليب عربية بل كان من أقوى العوامل على نشرها في أقطار عديدة منها القريب ومنها البعيد عن العراق كما ساعدها على دحر (العامية) في هذا العصر الذي طغت فيه وذلك لاقبال العامة عليه اقبالا منقطع النظير . فكانت النهضة والحالة هذه نهضة أدبية عامة . ومن أبلغ شعرائها المتأخرين الشيخ جعفر الخطي وابن معتوق والكعبي وابن معصوم ، ومنهم بعد هذه الطبقة الازري وعبد الباقي العمري ثم شعراء الحلة الفحول وفي مقدمتهم السيد حيدر الحلي امام هذه الطريقة وأشهر شعرائها قديما وحديثا ، وكذلك الشيخ صالح الكواز والحاج حسن القيم وغيرهم ممن لم يزل شعرهم محفوظا ودواوينهم متداولة خصوصا في المراثي وما اليها وآخرهم السيد جعفر الحلي الشاعر المشهور

وليس معنى ما تقدم أن أدب العصر المذكور كان أدب مراث فقط فمن شعراء هذا العصر وأئمة الادب فيه ما لا نعرف لهم نظما في المراثي وانما طرقوا سائر أبواب الشعر ، وبرع بعضهم في الشعر الغنائي أو الغزلي نذكر منهم الشيخ محسن آل الشيخ خضر والشيخ محمد الجزائري والسيد الحبوبي والطباطبائي وله مراث قليلة غير مشهورة وآخرون من آل الشيخ جعفر وآل القزويني في النجف والحلة ، ولم تخل كل من بغداد والبصرة والموصل من شعراء أو أدباء في هذا العصر لا غبار على أنسابهم العربية كما ستأتي الاشارة الى ذلك

بعد اعلان الدستور

أعلنت أحكام الدستور في بلاد الدولة سنة ١٣٢٦ هـ = ١٩٠٨ م وأصبح لرعاياها حق التمتع بحرية الرأي والقول والاجتماع ودخلت البلاد بذلك دورا من أدوار اليقظة في الفكر والشعور لا عهد لها به من قبل وقد تجلى ذلك في نهضة الصحافة وكثرة الصحف والمجلات التي ظهرت في بغداد وغيرها من مدن العراق وكذلك كثرة الاندية والجمعيات ولنا ان ندعو هذه الفترة فترة « التطور » و « التجدد » في أدب

العراق نظما ونثرا ففيها تكاثر عدد المجددين من الشعراء وقد عدلوا بشعرهم عن مذاهب المقلدين الجامدين . فقل المدح في الشعر وكثر الوصف، وصف جمال الكون ومحاسن الطبيعة وشاع الشعر الاجتماعي والسياسي ،عبر أصحابه بأجمل عباراتهم عن مساوىء الاستبداد ومحاسن الحرية وأشادوا بقيم الفضائل ومكارم الاخلاق في نهضات الأمم والشعوب . ومال شعراؤنا الى (وحدة الموضوع) في قصائدهم بدلا من تعدد المواضيع. وقد تطور الانشاء في هذه الفترة وارتقت لغة الكتابة بعد أن كانت منحطة عن لغة الشعر كما رأيت في الفترة السابقة وظهر عدد من الكتاب والصحفيين ليس في كتابتهم تكلف ولا في ترسلهم سجع أو فضول ويعد بعضهم في طليعة كتاب العربية ولهم جولات في أرقى الصحف العربية الصادرة خارج العراق وبعض هذه الصحف تعد مرآة لأدب العراقيين في ذلك الحين وكم لهم فيها من ابحاث مفيدة وآراء سديدة في اللغة والأدب والتاريخ وغير ذلك

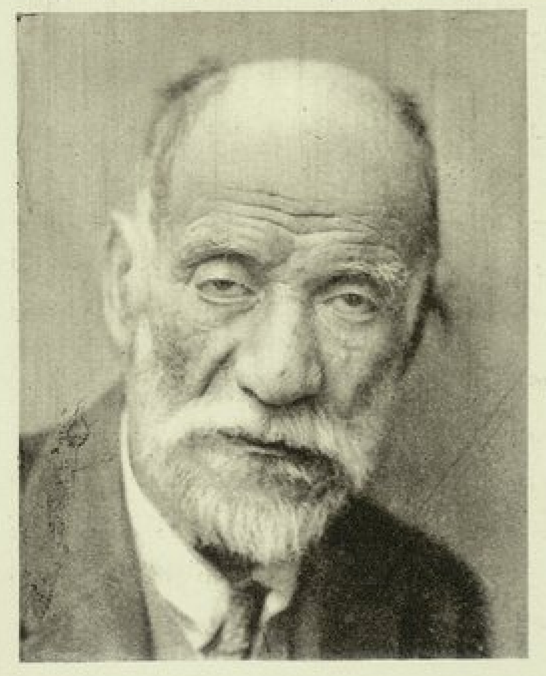
والخلاصة يمتاز أدب هذه الحقبة بأنه أدب له رسالة وللأدباء من منظومهم ومنثورهم أهداف يتوخونها ومن بينها التعبير الجميل عن آمال الامة وآلامها وعن طموحها الى مجاراة الامم الناهضة ورغبتها في التخلص من عوامل الضعف والانحلال الى غير ذلك . على أن رسالة الادب هذه أصبحت في أخريات هذا الدور من أدوار حياة الدولة قومية بحتة بعد أن كانت وطنية عثمانية ، ولذلك أسباب من احداث ذلك العصر وأحواله السياسية وعلى من شاء الاطلاع على الاسباب التي جعلت من الادب العراقي ولا سيما الشعر أدبا مشبعا بالنزعة القومية في ذلك الحين مراجعة الكتب الخاصة بتاريخ الفترة المذكورة

وقد انبعثت في كل من بغداد والبصرة حركة أدبية . انبعثت في بغداد من مدرسة آل الالوسي وعميدها في هذا العصر الاستاذ محمود شكري الألوسي وقد تثقف في مدرسته رهط من البغاددة يعدون في طليعة المثقفين في اللغة والآداب العربية كما كان منتدى الشيخ أمين عالى من وجوه البصرة وخزانة كتبه الثمينة بمثابة معهد للمباحث الادبية . ومن المكتبات التي امتازت بنشاطها وكثرة روادها من المتأدبين وكانت من قبيل المعاهد المختصة بالمباحث اللغوية في هذا العصر مكتبة دير الآباء الكرمليين ببغداد

ومما هو جدير بالذكر أن النجف حافظت في هذه الفترة على استقلالها الادبي وتراثها الروحي الذي خلت عليه العصور فما زالت دار علم ومدرسة للثقافة فيها أسر قديمة توارثت طلب العلم والادب خلفا عن سلف وأساتذة ممتازون في المنقول والمعقول ومكتبات غنية بما ينشده الباحث والأديب ، وقد عرف النجفيون منذ القديم بذوقهم اللطيف في انشاء المكتبات والمنافسة في اقتناء المجاميع الثمينة من المخطوطات ، وكان من مميزات هذه الحقبة في النجف ظهور طائفة من رجال الفكر والادب راعهم ما تعانيه البلاد من الجمود فجاهروا بنزعتهم في التجديد ودعوتهم الى اصلاح نظم التدريس والتعليم ، وقد اتخذوا لهم طريقة حديثة في البحث وفي النظم والنثر تخالف الطرق القديمة وكان لهذه الحركة أثرها الذي لا ينكر في نشوء الادب العراقي الحديث وتطور الحركة الفكرية في البلاد

في عصر الدولة العراقية

يبتدىء هذا العصر وهو عصرنا الحالي بتخلي الاتراك عن البلاد بعد الحرب العامة الماضية فهو عبارة عن



جميل صدقي الزهاوي : الشاعر العراقي

فترة السلم بين عهدين أو بين حربين طاحنتين وفيه احتك العراق بعد عزلته احتكاكا قويا بالحضارة الآلية الحديثة وبمختلف النظم الجديدة للأدب والثقافة والتعليم . فكان لذلك تأثير لا يستهان به فى حياة البلاد كما أصبح – أعنى العراق – دولة مستقلة ذات سيادة فى هذا العصر فانحصر نشاط العراقيين فى السياسة وطغت هذه على الادب . فاذا كان عصر الدولة التركية عصر الادب فى العراق فان عصر الاستقلال فيه عصر السياسة وليس للادب فى هذا العصر – عصر الانتقال – ميزة يمتاز بها اذ الادب عين الادب فى العصر الماضى والادباء كذلك ، ولدينا الآن عدد من الشعراء والادباء الناشئين أمثلهم من تخرج على شيوخ الادب فى الماضى القريب ، أما أدب الشباب فهو أدب يشوبه الغموض فى الحاضر ويخشى عليه من الفوضى فى المستقبل . ويعزى هذا الركود فى الحركة الادبية الى الانهماك بالسياسة دون الثقافة الادبية العالية

أطل على العراق عصره الحديث وفى البلاد ثروة أدبية مبعثرة فى الكتب والمدارس وتراث ضخم من العصور القديمة وفيه أيضا بقية من الاخصائيين فى اللغة وآدابها . عناصر لا يستغنى عنها بحال فى عصر الانبعاث ولكنها أهملت ولم يلتفت اليها عند ما أخذت البلاد بنظمها الحديثة فى الثقافة والتربية والتعليم ، ولا شك أن العربية أصبحت لغة التعليم فى مدارس الدولة منذ عشرين سنة وهى مدارس كثيرة وبعضها عالية ولكن لم تنشأ بينها مدرسة واحدة للتخصص فى اللغة العربية أو فى آداب هذه اللغة . فكانت كتب الدراسة فى العراق هزيلة من حيث لغتها وآدابها ومادتها كما عهد بالتدريس الى مدرسين ضعاف غير اخصائيين فى اللغة على الاغلب . وكان نصيب أكثر الاخصائيين من أبناء البلاد الانزواء والخمول وان كان للجمود والتقاليد البالية أثر فى ذلك كما انصرف فريق آخر من الادباء الى السياسة ، ومن هذه الناحية جاء ضعف الناشئة والشباب المثقف فى اللغة والادب والثقافة العربية والى ذلك – كما قلنا آنفا – يعزى ركود الحركة الادبية فى البلاد بل بذلك يمكن تعليل هذه الازمة التى يعانيها الادب والمحنة التى يجتازها الآن ، ولم تكن البلاد خالية من صحافة ناهضة فى مستهل عصرنا المذكور ، ولكن الصحف والمجلات الناهضة احتجبت الواحدة تلو الاخرى لقلة المشجعين المؤازرين

وهذا هو منشأ الفرق بيننا وبين مصر فى نهضتها الادبية. قد قيض للادب العربى الحديث فى مصر من نحى فى توجيهه أحسن المناحى وسلك لاحيائه والنهوض به أمثل الطرق من قادة الفكر وزعماء الحركة الادبية فشجعوا التخصص فى اللغة وأخذوا بضبع المتخصصين وأنشأوا المعاهد العالية لهذا الغرض ثم عملوا على احياء تراثنا الصالح ونشر كتب السلف القيمة ، ومصر تباهى أقطار الشرق الآن باسماعيل صبرى وبحافظ وشوقى وفتحى زغلول وحفنى ناصف وأمثالهم من شعراء وكتاب وهم مدينون بأدبهم ونبوغهم الى تلك العناية البالغة بالادب والى تشجيع التخصص والمتخصصين فيه . ولا يصح ونحن فى صدد هذا البحث اغفال بعض المذاهب الحديثة الشائعة فى النظم والنثر الآن وهى ما يطلق عليه أحيانا « أدب الشباب » ويمتاز هذا الادب على الاكثر بضعفه أو عجزه الظاهر فى اللغة ومحاولة الخروج على أحكامها وقواعدها والتخلص من أساليبها ومن أنصاره من يحاول ستر هذا العجز بالمقدرة على المعانى والوصول الى أغراض الشعر الحديثة وهيهات . واذا تصفحنا نماذج من هذا الادب وخصوصا الشعر خيل لنا أن الشعر العربى الحر قد مات ، مات بمعانيه ومبانيه وان آداب اللغة العربية مقضى عليها بالزوال . أما الادب القصصى وهو من أحدث أنواع الادب واليه يميل كثير من الشباب فى هذه البلاد وغيرها فلا يزال فى دور نشأته

وفى البلاد الآن طبقة أخرى من الادباء الناشئين جمعوا الى جوهر ثقافة الغرب حرصا على آدابهم القومية ولا يزال عدد هذه الطبقة قليلا وأكثرهم ممن تخرجوا بشيوخ الادب فى الماضى القريب ، واذا تكاثر عدد هذه الطبقة وقيض لها من يشجعها كانت عاملا قويا من عوامل انبعاث حركة الادب . فلا يزدهر الادب الا فى دولة يؤمن رجالها برسالته ويرفعون مكانة أهله ، ولا بد لانبعاث الادب فى المستقبل من الاخذ بوسائل جمة لا مناص من مساهمة الدولة فيها بأكبر نصيب

محمد رضا الشبيبى

النهضة الأدبية في الديار الشامية

في خمسين سنة

بقلم الاستاذ محمد كرد على

وزير المعارف الاسبق ورئيس المجمع العلمى العربى

فى الربع الأخير من القرن الماضى كانت المعارف فى الديار الشامية منقسمة الى معسكرين ، يقود الأول دعاة الكثلكة والبرتستانتية ، حملة علوم المدنية الحديثة ، ويقود الثانى دعاة تتريك العناصر أصحاب القومية التركية ، ومن ورائهم الدولة العثمانية . وكان معظم جماعة المعسكر الأول من المسيحيين فى الساحل ، وعامة جماعة المعسكر الثانى من المسلمين فى الداخل

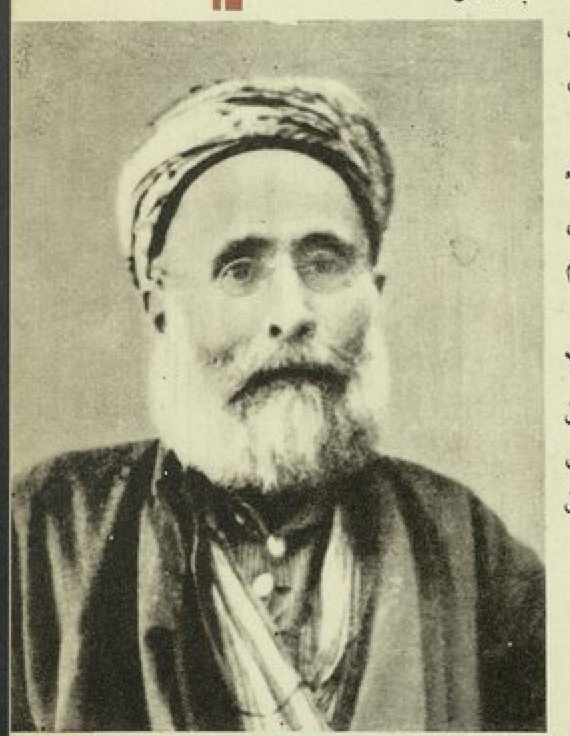
وظهرت شعلة العلوم الجديدة من مدينة بيروت بعدمذابح سنة ١٨٦٠ بفضل الجامعتين الاميركية واليسوعية وما أنشىء قبلهما وبعدهما من المدارس الطائفية والتبشيرية . وغدت اللغة العربية تدرس بعناية فى تلك المدارس ، وشاعت اللغتان الانكليزية والفرنسية ، والعلوم تدرس بأحداهما ، وكانت درست زمنا باللغة العربية فى الجامعة الأميركية ، ثم جعلت الانكليزية لغة التدريس فيها الى الآن . أما مدارس الترك الرسمية فكانت لغتها التركية فى الثانوى والعالى ، وتدرس العربية فى الثانوى والابتدائى تدريسا ضعيفا ، ومثل ذلك كان حظ اللغة الفرنسية من العناية

وبينا كانت اللغة العربية تنهض فى الساحل نهضة محمودة ،كانت فى مدارس الحكومة وفى المدارس الدينية القديمة ظاهرة الضعف ، سقيمة الاسلوب . وبينا كان طلبة المدارس التبشيرية والطائفية يتقنون من العلوم واللغات ما ينفعهم فى معاطاة الصناعات الحرة وممارسة التجارة ، كان طلبة المدارس الحكومية يتناغون بتعلم اللغة التركية ، لينشأ منهم فى الدولة موظفون فى الجندية والادارة ، ولا أثر بين أظهرهم للتعليم الذى يؤهلهم للحياة الحرة

نعم كانت اللغة العربية فى حالة نزع فى البلاد الداخلية ، اذا درست قواعدها فى المدارس الأميرية (ولا يحسن التركية من لا يعرف العربية والفارسية) فتدرس بالتركية وتشرح بالتركية ، على صورة أشبه بالهزل منها بالجد . وربما كانت وزارة المعارف تتعمد يومئذ نصب الاتراك لتعليم العربية ، كما كانت تعهد الى بعض أبناء العرب بتدريس اللسان التركى . ووقع لها غير مرة أن عينت فى المدارس الثانوية أناسا من الارمن والروم لتدريس العلوم الاسلامية

وبينا كانت الجامعة الاميركية وغيرها من المدارس الطائفية الكبرى فى لبنان تخرج شعراء وكتابا ومترجمين ومتأدبين مثقفين بثقافة العصر ، كانت علوم الدين واللسان تدرس فى مدارس حلب ودمشق على الطريقة القديمة العقيمة ، والقوم لايعرفون شيئا يعتد به عن الغرب وعلوم الغرب ، وبلغ بهم الجهل أن نسوا أن أمتهم كانت ذات عز علمى عظيم فى سالف الاحقاب

كانوا فى العصور الأخيرة يحفظون القرآن ولا يقرأون تفسيره ، ويتعلمون الفقه ولا يبحثون عن أصوله وفروعه ، ويتبركون بتلاوة الحديث ويخلطون صحيحه بسقيمه ويتدارسون قواعد النحو ولا تستقيم لهم جملة صحيحة ، ويستظهرون دساتير التصريف ولا يصححون الرسم والاملاء ، ويدرسون العروض وما يطلقون عليه علم المعانى والبيان والبديع ، ولا يحسنون



الشيخ طاهر الجزائرى

نظم أبيات ذات معنى طريف بلفظ جزل ، ولا انشاء خطبة مؤثرة أو صفحة بليغة ، وليس فى شيوخهم من يرتجل جملتين ، أو يكتب سطرين

وكانوا الى هذا يحرمون درس التاريخ ، ويقولون لا يخجلون انه من لغو الحديث ، على حين كان هذا العلم فى العصور الوسطى يدرس درسا عاما فى الجامع الأموى بدمشق كما يدرس الحديث النبوى . وكانوا يعدون علوم الطبيعيات والرياضيات والفلك مدرجة الى الزندقة . أما الفلسفة فان مجرد ذكر العارف بها كان كافيا للحكم عليه بالالحاد ، وأبيح دم المتفلسف وماله فى بعض الأدوار . بل لقد حرموا قراءة المنطق لما يلاحظ فيه من توسيع العقل ، وهم لا يطلبون من العقل الا أن يكون ضيقا . وانقرضت بقية من طالما لغطوا بهذه الآراء السقيمة ، واستعانوا بالقوة الزمنية على اضطهاد من يتدارسون العلوم المادية ، وخلف من بعدهم خلف لاذوا بالتقية فما وسعهم الا السكوت لما ان رأوا أبناءهم يدرسون ما كانوا هم يحظرون على الناس تعلمه

ولا عجب أن أصيبت العقول بمرض عقام أشبه بداء الفلج ، بحيث لا تقوى على الحركة ولا على الانتاج . وأصبح الأهلون يرون العافية فيما هم فيه ، راضين بجهلهم اذا سلم لهم دينهم على الصورة التى يتخيلونها دينا . وما كانت أنفسهم لتحدثهم بالخروج عما ألفوا عليه آباءهم ، ولا أن يحيدوا قيد أنملة عما خطه لهم ساداتهم وكبراؤهم ، من حكام كان الظاهر من مصلحة حكومتهم ترك العرب ، وهم نصف سكان السلطنة ، فى جاهلية جهلاء ، ويصرحون بأن الملك لا يسلم للترك الا بنزع سلاح العلم من العرب ! ولذلك كانت وزارة المعارف تحارب سرا انتشار التعليم بين المسلمين العرب ، زاعمة انه تقدم تقدما كافيا ، فالرأى تأخيره الى الوراء لا الدفع به الى الأمام . ولما آضت الحالة الى هذه الدركة من الجهل خلا الجو للدجالين والمخرفين وعم الفقر والخمول

وفى الحقبة التى كان فيها العلم العربى فى أحط مراحله ، والمشايخ يحاولون الاحتفاظ بسلطانهم الذى كان لهم على الملوك والسوقة ، لا يتحرجون من أن يزينوا الجهل للأمة ارضاء لأولى الامر منهم ، قام فى الشام أستاذنا العلامة الشيخ طاهر الجزائرى ، وهو فى هذه الديار كالاستاذ الامام محمد عبده فى مصر ، فسعى بأنشاء المداس الابتدائية الأميرية (للذكور والاناث) فى ولاية سورية العظيمة ، وأخذ يؤلف لها الكتب فى الفنون اللازمة ، ويلقن المعلمين أصول التدريس والتربية ، واشترك فى تأسيس ثانوية دمشق . وفى هذه المدينة أنشأ دار الكتب الظاهرية ، ثم دار الكتب الخالدية فى القدس . وكان طول حياته الحركة الدائمة فى نشر العلم ، لا يجد منفذا لبث الأفكار الا نفذ اليه ، ولا طريقا الى نشر الثقافة الجديدة الا سلكه وعبده أمام السالكين . كان ينشر كتب الأقدمين كما ينشر كتب المحدثين ، ويحيى علوم الدنيا كما يحيى علوم الدين ، ويحبب الى النفوس الحضارة العربية كما يحث على اقتباس الحضارة الغربية ، وبأرشاده انتفعت طائفة صالحة من الشبان ، وتخرج به من كان على استعداد لقبول دعوته ، ومنهم من تلقى تعاليمه مباشرة ومنهم من اكتفى بالأخذ عنه بالواسطة . وظهور هذا المصلح العظيم دليل على أن البلاد كانت ذات ثقافة محلية لا تحتاج الا الى يد صالحة تتعهدها وتوجهها

ولما نفس خناق الشاميين بانتشار القانون الاساسى (سنة ١٩٠٨) هبت القوى الكامنة فى بعض النفوس الى احياء كل ما كان فيه احياء مجد الامة العربية ، وغدت دمشق عاصمة الامويين مبعث تلك الحركة الرشيدة ، فصدرت فيها الصحف السياسية والمجلات العلمية ، وبدىء بارسال بعثات علمية الى مدارس فرنسا ، وأنشئت فى الحواضر الكبرى مدارس ثانوية أميرية تعلم العلوم بالعربية ، الى جانب المدارس الثانوية التى ظلت سائرة على ما كانت عليه تعلم بالتركية

وما ان وضعت الحرب العامة أوزارها ، وخرجت البلاد عن حكم العثمانيين (١٩١٨) حتى نهض القوم لتلقف العلوم بهمة عظيمة ، فأسس المجمع العلمى العربى فى دمشق ، على عهد الحكومة العربية ، كما أنشئت كلية الطب وكلية الحقوق . ثم كلية الآداب ودور المعلمين والمعلمات ، وأصلح نظام المدارس الثانوية

والابتدائية ، وانتشر التعليم بالاستكثار من المدارس الابتدائية فى المدن والقرى . واستعادت اللغة العربية بعض بهائها القديم ، وأصبح لها المقام الاول فى منهاج الدروس ، وجعلت لغة التعليم فى درجاته الثلاث ، وأصبحت اللغة الفرنسية تدرس تدريسا جديا راقيا . بمعنى أن أهل هذه الديار أخذوا يتعلمون على الطريقة التى يختارونها كما نص على ذلك صك جمعية الأمم التى انتدبت فرنسا لتنفيذه

وما هى الا أعوام قليلة حتى نشأ فى الداخل شبان دارسون على النحو الذى كان ينشأ عليه شبان الساحل ، وأصبحت دمشق أو سورية الداخلية تدرس من صنوف العلوم ما كان قد انقطع سنده أعصارا طويلة ، وبقى على حالة جامدة ما تعدى الحد الذى عرف به عند القدماء ، وما بلغ المشتغلين به وهم أفراد قلائل جدا انه طرأ على تلك العلوم ما غيرها رأسا على عقب بفضل الغرب وجامعاته

وبعد حين ظهر الاطباء والحقوقيون والمهندسون والزراعيون ورجال التربية والتعليم ، ونبغ كتاب وشعراء وأدباء وخطباء ، وشارك النساء الرجال فى هذه النهضة المباركة ، فأصبح منهن المؤلفة والمربية على مثال الرجال بمقياس صغير . وأخذت الحكومة ترسل الى جامعات فرنسا بعثات من نبهاء الطلاب للتخصص فى العلم والادب ، ليتولوا التدريس فى التعليم العالى والثانوى . وتعاطى بعضهم الاعمال الحرة وخدم بعضهم الحكومة ، ومنهم من تعلموا على نفقتهم الخاصة فى فرنسا وفى مصر وغيرهما ، ولا يقل عدد من تعلموا العلم العالى فى جامعات الغرب عن بضع مئات ، وهم الذين وضعوا كما وضع بعض اساتذتهم تآليف مدرسية ومصنفات راقية يظهر عليها الاتقان والبحث ، وذلك فى الحقوق والطب والتاريخ والفلسفة والرياضيات والطبيعيات والتربية والزراعة والمالية والاقتصاد والكيمياء والادب والقصة . ونازعت دمشق بيروت فى هذا الشأن ، وكانت هذه مستأثرة بطبع الكتب ونشر الجرائد والمجلات ، فبدأت عاصمة سورية تنافس عاصمة لبنان منافسة ظاهرة ، وانفسح لها المجال لذلك خصوصا بعد أن اتجه التعليم فى مدارس لبنان وجهة افرنجية فى العهد الاخير ، وضعف الغرام بالعربية وآدابها

وما صدر من التآليف العلمية فى سورية الداخلية منذ عشرين سنة ، وما تلى على منبر المجمع العلمى العربى من محاضرات الاخصائيين ، وما حملته مجلة المجمع فى سبعة عشر مجلدا من الابحاث بأقلام علماء وأدباء شاميين ، وما نشر فى مجلات الطب والحقوق والزراعة والتربية والادب من مقالات وتحقيقات ، عدا ما تنشره للشاميين الصحف المصرية وغيرها ، برهان جلى على ما نقول . وكان للجمعيات الخيرية والمدنية أثر مهم فى التربية ونشر الثقافة ، ومنها ما علم اليتامى واليتيمات ، ومنها ما علم الكبار ، ولا سيما فى المدن الاربع (دمشق وحلب وحمص وحماه) وذلك فى مدارس ليلية تعلم فيها عشرات الالوف من الشبان ما خرجوا به عن حد الأمية

وانا اذا نظرنا الى النهضة فى سورية والنهضة فى لبنان ، نجد أثر الغريب فى النهضة الاولى أقل من القريب ونجد العكس فى الثانية أى أنا اذا حللنا النهضتين ، اذا صحت تسميتهما بهذا الاسم ، يثبت لنا أن حظ الوطنى من نهضة لبنان كان أقل من حظ الاجنبى ، وحظ الوطنى فى سورية ظاهر كل الظهور ، ويد الغربى ضئيلة الأثر فيما تم . ومن الظواهر الغريبة أيضا أن أكثر من تعلموا العلم العالى فى فرنسا وغيرها عادوا الى وطنهم يدعون للمدنية العربية ، أى أنهم تلقفوا من المدنية الغربية ما استعانوا به فقط على بث مدنية أمتهم

استفادت سورية لاول أمرها من نهضة لبنان ، كما تستفيد الآن من نهضة مصر ، ونهضة سورية اليوم تشبه النهضة المصرية من وجوه كثيرة ، ولسورية من الاوضاع مثل ما لمصر . والجامعة السورية هى الوحيدة من بين جامعات الشرق التى تدرس العلوم العالية بالعربية ، وقد وضع لها الاساتذة ألوفا من الألفاظ العلمية فى الكتب التى ألفوها مباشرة أو نقلوها من احدى اللغات ، وسورية تتناول بكثرة كتب مصر ومجلاتها ، وربما عرف الشامى عن مصر أكثر مما يعرف المصرى عن بلده

ومن الظواهر فى أخلاق المتعلمين على المناحى الغربية أنهم يعنون فى سورية اليوم بأن تكون أرضهم

ميدان علمهم ومجالهم الحيوى ، فى حين كان أكثر من تعلموا فى مدارس لبنان يؤثرون الهجرة الى الامريكتين أو مصر والسودان ، وبمغادرتهم مساقط رؤوسهم ، وصرف جهودهم فى البلاد التى ينزلونها ، ضعفت قواهم بالطبع عن خدمة بلادهم الاصلية ، وقد تطول هجرتهم أو تصبح قطعية فى بلاد غير عربية ، فينشأ أبناؤهم بعيدين عن العروبة

وفى الحق انه كان من منافسة الطوائف وجمعيات المبشرين نشر التعليم فى لبنان ، فقل فيه عدد الأميين ، ولا تصل سورية الى مستوى لبنان فى ذلك قبل عقدين أو ثلاثة من الاعوام . والمأمول أن يزيد العلم فى ألفة المتخالفين فى مذاهبهم ، وأن تضمحل الفوارق من بين أهل الوطن الواحد ، ويدرك الخاصة والعامة معانى القومية التى لا تعيش الأمم بغيرها ، خصوصا فى قطر كهذا تكثر فيه المذاهب والنحل ، وفيه منها عشرون أو أكثر ، فهو فسيفساء أديان بعقيدته ومجموعة بدائع فى طبيعته

لا جرم أن اصلاح التعليم على اختلاف درجاته قد سهل أخذ العلم على معظم الطبقات ، ونظام البكالوريا الجديد أدخل الدراسة فى طور عملى نافع . وبالتعليم ارتقت لغة التخاطب والتكاتب ، وأصبح ما كان يجهله الدارسون من الشيوخ يتقنه بل يتمثله صغار الطلبة الذين لم يبلغوا الحلم . وفعلت الثقافة فى تحسين الملكات والعادات ، وأصبح المتعلمون حتى من اقتصروا على التعليم الابتدائى ، يميلون الى التجمل والنظافة وحسن الهندام ، ويألفون النظام والترتيب فى معظم مرافق حياتهم . وكانت المدن والقرى الى عهد قريب على حالة ابتدائية من حيث مظاهر المدنية ، وبانتشار العلم فى بيئات ما كان يظن أنه يسرى اليها ، حسنت حالة البلاد الأدبية والاقتصادية . ومما أعان فى هذا الشأن كثرة التنقل فى طلب الرزق فى البلاد الاجنبية ، وسهولة تناول الكتب والصحف والمجلات ، ويسر الاستماع الى اذاعات المذياع ومحاضرات المحاضرين وخطب الخطباء ، والفضل الاول فى هذا الانقلاب للمدرسة . ولو استطاعت الحكومات أن تبذل فى نشر المعارف أكثر مما بذلت ، وعاون الاهلون فى هذه السبيل معاونة صحيحة ، لعم التعليم القرى كما عم المدن ، ولأصاب من نعمته البدو كما أصاب الحضر ، ولظهرت البلاد بالمظهر الذى يليق بعظمتها الطبيعية والتاريخية ، فجمعت الى قديمها حديثا تغتبط به من كل وجه ، أمام الغريب والقريب

محمد كرد على



الجامع الأموى بدمشق

الهلال ودار الهلال
فى خمسين سنة

جرجي زيدان المؤرّخ والأديب

بقلم الأستاذ أحمد أمين بك

عصامي كون نفسه ، وحمل عبئه ، ورسم له مثلا أعلى آمن به ، ووضع الخطط المحكمة له ولم يهدأ حتى وصل اليه - يريد ان يتعلم ولا يجد المال فيخضع الزمن لارادته ويوفق بين مطلبه فى العلم ومطلبه فى المال حتى اذا أمكنته فرصة للاشتغال بالعلم وحده قصد اليه فى غير تردد ، وأى طريق علمى فتح له سلكه ، فهو يدرس الطب وقد أتاحت له الظروف دراسته ، وهو يدرس اللغات العبرية والسريانية وأخواتهما وقد وجد فى بيئة مكنته من ذلك . وهو كذلك يجرب حظه فى الحياة يتذوق ما يصلح وما لا يصلح ، فيعمل محررا فى جريدة الزمان المصرية ويشتغل موظفا فى الحملة الانجليزية على السودان بقيادة غوردون باشا ويعود الى مصر بعد ذلك فيكون معلما فى المدرسة العبيدية ويترك ذلك ليدير مجلة المقتطف سنتين . ثم يخرج من كل ذلك وفى ذهنه صورة كاملة لما يريد أن يعمله مسترشدا بتجاربه فى الحياة وتجاربه فى الاسفار وتجاربه فيما زاول من أعمال ، مهتديا بما تجلى له من ملكاته وتفاعلها مع ظروفه الخارجية

اذن فلتكن خطته أن يهب نفسه للعلم كما يهب العابد نفسه للدير وليخدم العلم من طرقه المختلفة ، ينشىء مجلة اسمها « الهلال » يديرها ويحررها مع من أعانه من الكتاب ويعطى لذلك جزءا من زمنه أما الزمن الآخر فللدراسة والتأليف ، فى اللغة ، فى التاريخ ، فى الادب ، وليحسب حساب المال كما يحسب حساب العلم ، فقد تصدى لمهمة شاقة وهو أن يكون مؤلفا وناشرا ، عالما وتاجرا ، منتجا فى العلم والادب وموزعا للانتاج ، وهي مهمة حاولها كثيرون ففشلوا بل حاولتها حكومات ففشلت ، أما هو فقد نجح فيها بجهده ويقظته ودقة حسابه واستقامته

ظل يعمل لهذه الخطة بضعة وعشرين عاما من غير انقطاع . وتعترضه الصعوبات الجمة فيحاول علاجها على الطريقة التى تعلمها فى الطب من تشخيص للمرض ومعرفة السبب ووصف العلاج - فهؤلاء قراء العربية لا يقرأون فليحبب اليهم القراءة بالموضوعات الجذابة والاسلوب السهل السلس والتعليم بالقصص ، وهؤلاء محاربون يحاربونه لانه يؤرخ الاسلام وليس مسلما ويبتدع طرقا غير التى ألفوها ، والمحافظون - دائما - أعداء الجديد ، فليستفد من نقدهم وليعف عن سبهم ، وليتركهم للزمان يأكل هجومهم وشتمهم فالقانون الطبيعى ان الزبد يذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الارض ، هذه بعض متاعبه عالما . وهناك متاعبه تاجرا فمعاملات غاشة خادعة ، وحيل وسرقات تجوز على الحذر ، فليعد من يثق به من أقاربه ليتولى عنه هذا شيئا فشيئا حتى يفرغ للعلم شيئا فشيئا

وهكذا كان وهكذا نجح فلما بغته الموت أتاه وهو مغتبط بنجاحه فى علمه وسعادته فى حياته

بضعة وعشرون عاما يخرج فيها اثنين وعشرين مجلدا من الهلال ، واثنى عشر كتابا بعضها فى مجلد وبعضها فى خمسة وبعضها فيما بين ذلك وجملتها واحد وعشرون جزءا ، ويخرج اثنتين وعشرين رواية فيكون معدله فى السنة مجلد هلال ورواية وكتابا أو مجلدا من كتاب ، وهو عمل بلا شك عظيم ، ومجهود جبار لا يستطيعه الا المخلص لعمله المؤمن بمثله الواهب نفسه لمبدئه . وليست هذه الكتب تقدر بكميتها وحدها بل بكيفيتها أكثر من كميتها ، فمن عرف ما يجده العلماء من عناء أياما فى البحث عن نص واحد يكشف غامضا أو يوضح مجهولا أو فى تحقيق مسألة ثار حولها الخلاف وتضاربت فيها الآراء فهم يعانون الامرين فى تزييف الباطل واحقاق الحق - من عرف ذلك كله عرف مقدار الجهد الذى بذل فيها وقوم النتائج التى وصل اليها

كانت دراسة التاريخ فى العالم الشرقى عند ما بدأ جرجى زيدان فى تآليفه التاريخية قد تقدمت بعض التقدم بفضل نشاط المطابع فى نشر الكتب التاريخية والادبية القديمة فعكف الخاصة على قراءتها والاستفادة منها . ولكن كان من ألف منهم فى التاريخ مزيته الوحيدة تلخيص ما فى هذه الكتب وتقريبها الى الاذهان وانتقاء بعض الروايات وتفضيلها على بعض ، وهذا هو الشائع فى أكثر ما ألف فى التاريخ الاسلامى فى ذلك العصر . كان ينقصهم شىء آخر هام لا يستطيعون الاستفادة منه وهو اطلاعهم على المجهود الضخم الذى قام به المستشرقون ، فمنذ القرن الثانى عشر الميلادى بل قبل ذلك والمستشرقون يبحثون فى الحضارة الاسلامية وآداب اللغة العربية . ولما اخترعت المطابع أخذوا ينشرون الكتب العربية التاريخية والادبية فى جد ونشاط ، وألفوا الجمعيات الاستشراقية المختلفة والمجلات المتعددة والمؤتمرات الكثيرة فكان من عملهم ثروة كبيرة مما نشروا ومما ألفوا ومما بحثوا. والى جانب ذلك كله كان لهم فضل آخر وهو منهجهم الذى اتبعوه فى البحث وهو على نحو منهجهم الذى ألفوه فى أبحاثهم فى تاريخهم ولغاتهم وآدابهم وعنايتهم بذكر المصادر ومناقشة الادلة ونظرتهم العامة الى الموضوع وتحليل أسبابه وعلله وما الى ذلك ـ كانت هذه الثروة كلها مجهولة عند أكثر المشتغلين بالتاريخ والادب فى العالم الشرقى لجهلهم باللغات التى ألفت بها فكان جرجى زيدان من الافراد القلائل فى ذلك العصر الذين استطاعوا ان يستفيدوا من المكتبة العربية مطبوعاتها ومخطوطاتها وأن يستفيدوا من المكتبة الاوربية الاستشراقية أيضا وأن يخرجوا ذلك كله ويستخرجوا منه نتاجا جديدا قيما

بدأ عمله بنشر أبحاث جزئية فى مجلة الهلال ، وثنى بتأليف روايات تاريخية ليحبب القراء فى التاريخ ، وثلث بالكتب التاريخية وأضخمها وأهمها بلا شك « تاريخ التمدن الاسلامى » وقد حدث هو نفسه عن ذلك كله فقال : « قد علقنا بدرس هذا التاريخ منذ أعوام وكنا نغتنم ساعات الفراغ من انشاء الهلال ونعلق ما يبدو لنا من حقائقه على أمل التفرغ لتأليف تاريخ مطول فيه . . ونظرا لما نعتقده من افتقار قراء العربية الى نشر هذا التاريخ بينهم ما فتئنا نختلس الفرص لنشر ما يسهل تناوله . .وأخذنا نهيىء أذهان القراء لمطالعة هذا التاريخ بما ننشره من الروايات التاريخية الاسلامية لان مطالعة التاريخ الصرف تثقل على جمهور القراء الخ »

تاريخ التمدن الاسلامى عمل فى منتهى المشقة والعسر ، فالمتعرض له يلزمه أن يكون مثقفا ثقافة واسعة فى العلم والادب والمال والفقه والمذاهب الدينية وقوانين التطورات الاجتماعية وغير ذلك ، ولكل فرع من هذه الفروع مصطلحات دقيقة ، والمؤلفون من مؤرخى العرب لم يعنوا بالناحية الاجتماعية والمدنية عنايتهم بأحداث الخلفاء والملوك والوقائع الحربية والعزل والولاية فيضطر الباحث الى تقليب الكتب العديدة لاستخراج نص فى ظاهرة اجتماعية وتقليب كتب أخرى لاستخراج نص آخر يكمل نقصه وحسبك هذا من عناء . لذلك لا نعجب اذا قال لنا انه لكتابته طالع أكثر من مائتى مجلد ما بين عربى وفرنسى وانجليزى والمانى

كان يجمع النصوص الواردة فى موضوع واحد ويسلط عليها ذهنه ليربطها بعضها ببعض ويستخرج منها صورة كاملة ، قد أخذ عليه أنه كان يستنتج من النص أكثر مما يحتمل ، وقد يفسره تفسيرا غير معروف ، وقد يعتمد على كتب لم يؤلفها المؤرخون ، ولكن هذا كله لا يقلل من قيمة هذا العمل الضخم الذى تعرض فيه لان يشرح الحضارة الاسلامية فى ثروتها وادارتها وسياستها وجنديتها وعلمها وأدبها وصناعتها وخلقها ، وأى مؤلف سلم من النقد وعصم من الخطأ . انما الخطأ الفاضح أن يعمد قوم الى أخذ بعض المساوىء فيشهرون بها ويتعمدون تغطية المحاسن وسترها ، كما حدث أن بعض النقاد ترك هذا الكتاب كله جانبا ولم يتعرض لما فيه من جهد واستكشاف وكل ما أهمه فى الموضوع أن كلمة « التمدن » ليست صحيحة لغة وانما الصواب التمدين ، فما أتفه ذلك وأسخفه

***

وكما أرخ الحضارة الاسلامية فى كتابه « تاريخ التمدن الاسلامى » أرخ الآداب العربية فى كتابه الضخم « تاريخ آداب اللغة العربية » فأراد به أن يتمم ما بدأه ابن النديم فى فهرسته فيجعل منه دائرة

معارف للعلماء والادباء والشعراء ووصف مؤلفاتهم وما بقى منها وما عدا عليه الزمن ومكان ما بقى فى جميع أنحاء العالم - وهو نتيجة درس طويل استغرق من المؤلف بضع عشرة سنة فى اعداده

وكان منهجه فيه منهجه في سابقه من الاحاطة قدر الامكان بما ألف فى ذلك من كتب العرب وكتب المستشرقين ، وهو فى نظرى أشق من تاريخ التمدن الاسلامى وأعقد لانه يتطلب احاطة تامة وعلما واسعا بما فى خزائن الكتب فى الاقاليم المختلفة شرقية وغربية - ويشعر بعبء هذا العمل من يعلم ان الامم الاسلامية فى عصورها المختلفة من أكثر الامم انتاجا للعلماء والادباء والشعراء ، وعلماؤها وأدباؤها أكثر الناس تأليفا وانتاجا فالتعريف بهم وبآثارهم فوق طاقة الجماعات بله الافراد

***

ويطول بنا القول لو وصفنا كل ما كتب فى التاريخ ، كتاريخ مصر الحديث والعرب قبل الاسلام وتراجم مشاهير الشرق والتاريخ العام وتاريخ انجلترا وتاريخ اليونان والرومان ، فهو فى كل ذلك باحث منقب عارض عرضا جذابا يقرب أعقد المسائل الى أبسط الاذهان

وطبيعى أن من يعرض لهذه الموضوعات الواسعة المتنوعة ويكثر هذا الاكثار فى الانتاج ويقدم هذه الالوان المتعددة من الغذاء للالوان المتعددة من الاذهان يكثر نقده ، وقد شكا هو نفسه من ذلك فقال : «لا نظن كاتبا من كتاب العصر لاقى ما لاقيناه من الانتقاد فى أثناء اشتغالنا بهذه الصناعة منذ بضع وعشرين سنة» وهذا طبيعى فما جاء أحد بمثل ما جاء به الا أوذى ، وكان نقاده مختلفى الاصناف ، فمنهم هادىء رزين فى نقده كنقد المرحوم رفيق بك العظم والاب لويس شيخو ونقد لاذع شديد كنقد المرحوم الشيخ أحمد الاسكندرى فى مجلة المنار ونقد نزيه ونقد غير نزيه وهكذا - ينقده بعض المسلمين لانه نقص بعض محاسنهم عما ينبغى وينقده بعض المسيحيين لانه تحمس للمسلمين أكثر مما ينبغى - وينقده الخاصة لانه لم يتوسع بقدر ما يشتهون وينقده غير الخاصة لانه أتى بأكثر مما يشتهون ، وهكذا لقى كثيرا وعانى كثيرا من الشىء ونقيضه

وقد اعتاد فى أول أمره أن يرد على النقاد فيقبل منهم القليل ويرد عليهم فى الكثير ويقارع الحجة بالحجة كرده فى جريدة المؤيد على نقاد الجزء الاول من تاريخ التمدن الاسلامى ، ثم اعتاد النقد وسعة الصدر فكان يقرأ النقد ولا يرد ويأخذ ما يراه حقا فيستفيد منه ويصلح خطأه ويهمل الباقى فى صمت وعدم اكتراث ، ثم جاء الموت فذهبت الحزازات وبقيت الحقائق

***

ولجرجى زيدان ناحية أدبية بجانب ناحيته التاريخية ، تتجلى فيما ألف من روايات وما كتب من مقالات ، فأما رواياته فكلها روايات تاريخية اختار لها وقائع بارزة فى تاريخ الاسلام ودرسها فى سعة وعمق ثم أعمل فيها خياله فخلق لها أشخاصها ورتب وقائعها وأثار لذة القارىء بأحداث الحب والغرام - غالبا - فمزج الواقع بالخيال والتاريخ بالقصص وهو فن عنى به أدباء الغرب وألفوا فيه الروايات التاريخية التمثيلية وغير التمثيلية فلما جاءت النهضة العربية قلدت الغرب فى هذا الباب فألف جميل مدور - مثلا - كتابه «حضارة الاسلام فى دار السلام» وهو رحلة صور فيها حالة المملكة الاسلامية فى أيام هرون الرشيد محتذيا فيها ما كتبه الكاتب الفرنسى «برتلمى» عن رحلة أحد الاجانب الى اليونان قبل وفاة الاسكندر واصفا ما يستحسنه من عادات اليونان وأخلاقهم ومعارفهم - وقد بدأت محاولات من هذا القبيل فأخذ أدباء مصر والشام يكتبون القصص مقتبسة من تاريخ العرب كرواية السموءل والمهلهل وشهداء نجران ونكبة البرامكة وحرب البسوس وغير ذلك . غير أن جرجى زيدان قد نقلها خطوة بما أحسن فيها من متانة الحبك وحسن السبك والاجادة فى التشويق كما انه وضع لذلك برنامجا أوسع وأشمل اذ أراد أن يصور عصور الاسلام المختلفة فى ممالكه المختلفة فى روايات مسلسلة ، بعضها فى أحداث الشام وبعضها فى العراق وفى مصر وفى الاندلس وفى السودان وقصد من ذلك كله تفهيم أكبر عدد ممكن من قراء العربية العصور التاريخية الاسلامية

والتمهيد للناس ليتذوقوا التاريخ بحثا كما تذوقوه رواية ولو أنسىء له فى عمره لاتم برنامجه الواسع

أما مقالاته الادبية فيغلب عليها نزعة الاصلاح ومعالجة المشاكل الاخلاقية والاجتماعية واللغوية فيكتب فى تكوين الاخلاق والعوامل الخفية فى الهيئة الاجتماعية والحقائق والاوهام واللغة الفصحى واللغة العامية الخ

ويغلب عليه فى بناء مقالته النظرة التاريخية للموضوع والتسلسل المنطقى فى التفكير والنمط التعليمى فى تحديد الموضوع الذى يريد الكلام فيه وتقسيمه الى أجزاء وانهاء الكلام فى كل جزء قبل أن ينتقل الى غيره حتى يصل الى الخاتمة

***

قد يؤخذ عليه عدم الجزالة فى تركيب جمله وعدم القوة فى أسلوبه وعدم الاناقة فى تأدية معانيه ولكنه كان يعمد الى ذلك عن مذهب فى الكتابة وعقيدة فى الاسلوب واختيار متعمد للمنهج الذى يسير عليه

خطب المستر ويلكوكس مرة فى موضوع « لم لا توجد قوة الاختراع لدى المصريين » وقال ان من جملة الاسباب فى ذلك تمسكهم باللغة العربية الفصحى ـ فرد عليه جرجى زيدان يخطئه فى هـذا الرأى وارتأى أن من الممكن التقرب الى الافهام بتجنب الالفاظ الغريبة والاساليب المعقدة وختم رده ببيان مذهبه « وهو انه يجب أن تكون عبارة الكاتب فى البحوث التاريخية والادبية عبارة بسيطة واضحة سلسة خالية من كل تعقيد حتى تكون المعانى جلية للمطالع كل الجلاء لا يحتاج فى فهمها الى التوقف لحظة أو مراجعة معجمات اللغة والا فان عجز الكاتب عن ذلك يعد نقصا فى واجبات صناعته »

ووصف ـ فى موضع آخر من كلامه ـ الكاتب الذى يكتب للناس لا لنفسه بأنه يلزمه أن يتصف بصفات ثلاث : (١) أن يختار الموضوع الذى يرى الامة فى حاجة اليه (٢) وان يسبكه فى قالب سـهل سالم من الركاكة والتعقيد جار مع روح العصر لا كأسلوب هؤلاء الكتاب الذين يحسبون اللغة وقفا لا يحل بيعه أو التصرف فيه وفاتهم أن اللغة خاضعة لناموس الارتقاء تتغير بتغير أحوال الاجتماع فتنمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعانى الجديدة والتراكيب العصرية للافكار العصرية ومن حاول الوقوف فى سبيل هذا التغيير فقد عارض الطبيعة وهو لا يستطيع أن يقف فى سبيلها ولكنه يفسد عمله (٣) وأن يكون صادق اللهجة صريحا فى قوله خاليا من الغرض وهذا الاخير من أصعب الشروط اذ لا يسهل على الانسان أن يجرد نفسه من الروابط الدينية والاجتماعية التى تتجاذبه وقد رضعها من اللبن وتمكنت من نفسه بتوالى الاعوام

هذه مبادئه التى اعتنقها فجرى أسلوبه على وفقها يضحى بجمال اللفظ لجمال المعنى ، وبرصانة الاسلوب لفهم الجمهور ، وبقيود القدماء لمجاراة روح العصر

***

ظل جرجى زيدان حياته يلقى على الناس دروسا بمقالاته ومجلته وكتبه التاريخية والادبية لا يفرغ الناس من قراءة أثر حتى يستقبلوا أثرا بل كان أسبق فى الانتاج من القراء فى قراءتهم اذا أمعنوا فيما يقرأون ـ بضـعا وعشرين سنة يثمر الثمار الطيبـة والناس يعيشـون على ثماره فى قراءتهم وتفكيرهم ونقـدهم وتقريظهم ، فلما قضى ظلت دروسه تلقى على الناس بما تخرجه المطابع من اعادة طبع مؤلفاته ونشرها بين عدد أكبر وجمهور أوسع ، وظلت آثاره تتوالد حتى بعد موته ، فالمجلة تلد مجلات والكتب تلقح العقول فتلد كتبا جديدة وأفكارا جديدة ، وأضاف ـ بعد أن قضى ـ درسا جديدا للناس يتعلمون منه كيف يستطيع الرجل بقوة ارادته أن يكون نفسه ويفرض على الزمن ـ رغم العقبات ـ نجاحه ، وكيف يثمر الجد وكيف ينجح الصبر والحزم ، وكيف يجعل من الحبة قبة ومن البذرة شجرة ، وكيف يستطيع الانسان أن يبنى نفسه ليبنى قومه وأن يكون أحد قواد الحركة الفكرية فى أمته يرسم مع الراسمين الخطط فى نهضتها ويضع مع النابغين الحجر الاساسى فى رفعتها . رحمه الله

أحمد أمين

أثر الهلال ومنشئه

للدكتور طه حسين بك

اذا طلب اليك كما طلب الى صديقى اميل زيدان أن تكتب فصلا تؤرخ ظاهرة من ظواهر الحياة الادبية فى نصف قرن فلا تتحرج من أن تضيف الى نصف القرن هذا أعواما أو تنقص منه أعواما فان ظواهر التاريخ الادبى ليست يسيرة التحديد لمن يريد أن يوقتها بالاعوام. وأكاد أعتقد أن ظواهر التاريخ السياسى كظواهر التاريخ الادبى فى هذا، فالذى يمكن أن يؤقت هو الحوادث الفردية أو التى تحددها الظروف التى وقعت فيها. فأما الظواهر التى اقتضت وقوع هذه الحوادث فأمرها أدق من ذلك وأشد عسرا. فقد أنشىء الهلال مثلا سنة **١٨٩٢** وكان انشاؤه حدثا من الاحداث الادبية ذات الخطر البعيد كما سنرى. فاذا استطعنا أن نوقت نشأة الهلال بالعام والشهر واليوم فقد لا ينبغى أن يخدعنا هذا عن أنفسنا والا يغرنا عن الحق والا يخيل الينا اننا قد وقتنا نشأة الهلال توقيتا دقيقا. ذلك ان الهلال لم ينشأ فجأة وانما نشأ لان هناك أمورا اقتضت انشاءه ومن المحقق ان المرحوم جرجي زيدان قد عرف بعض هذه الامور وأحصاها وتأثر بها فيما أقدم عليه من عمل أدبى خطير. فهو قد أحس حاجة الشرق الى هذه المجلة، وأحس قدرته على انشائها، وأحس انه قد يقصر فى ذات نفسه وفى ذات الشرق وفى ذات الادب اذا لم ينشىء مجلة الهلال

ولكن لماذا أحس هذا كله، ولماذا خطر له هذا كله، ولماذا دفع الى أن يحس هذا كله ويفكر فيه؟ الاسباب كثيرة ما أظن انه عنى باحصائها أو استقصائها. فقد كان رجل عمل يعنى بالاقدام أكثر مما يعنى بشطر الشعرة شطرين كما يفعل بعض المؤرخين وبعض مؤرخى الآداب بنوع خاص وأكبر الظن ان الاسباب التى دعت الى انشاء الهلال كانت أقدم وأبعد من التفكير فيه، بل كانت أقدم وأبعد من وجود جرجي زيدان نفسه فقد اتصل الشرق بالغرب اتصالا قويا فى آخر القرن الثامن عشر وأحس الشرق الحاجة الى أن يأخذ مناهج الغرب فى التفكير والتثقيف والنشر والاتصال بين أفراد المثقفين وجماعاتهم وظهرت محاولات لذلك كله أتيح لبعضها الفوز وقضى على بعضها الاخفاق. وجعل الشرق كلما تقدمت به الايام اشتدت حاجته الى استئناف هذه المحاولة والوصول بها الى الفوز، وكان الجهد الذى بذله جرجي زيدان فى انشاء مجلته وتعهدها جهدا من هذه الجهود الخصبة الموفقة. وليس من شك فى اننا نستطيع أن نرجع الى أسباب أخرى أبعد من القرن التاسع عشر ومن القرن الثامن عشر، ولكننا أردنا أن نضرب المثل لما أشرت اليه آنفا من أن توقيت الظواهر الادبية بالاعوام والشهور والايام ليس شيئا يسيرا، وقد لا يكون شيئا معقولا فى كثير من الاحيان

فاذا أرادنى صديقى اميل زيدان على أن أؤرخ له اللغة والادب فى نصف قرن وعلى أن يكون هذا التأريخ فى فصل قصير فانى استأذنه فى أن أتجاوز نصف القرن هذا وفى أن ألاحظ أن التطور الذى غير الحياة الادبية العربية فى مصر خاصة وفى الشرق العربى بوجه عام ربما كان أقدم من نصف القرن هذا، وربما كان من المقارب ان نرجع به الى أيام اسماعيل حين كثرت آثار المطبعة وحين كثرت آثار البعوث العلمية الى أوربا وآثار البعوث العلمية من أوربا الى الشرق وحين أصبح الاتصال الدقيق المنظم السريع غير



مؤسس الهلال

مقصور على أوربا والشرق القريب بل متناولا للشرق البعيد أيضا بعد أن احتفرت قناة السويس ، وغير مقصور على التعليم والتعلم بل متناولا للسياسة والادارة والاقتصاد والمال ، وحين نشأ عن هذا كله جيل ساخط يشعر بنفسه وبكرامته وبآماله ، وحين نشأ عن هذا السخط العام اضطراب عام فى الشرق العربى كان من بعض مظاهره الخطيرة الثورة المصرية التى وقعت أحداثها قبل نشأة الهلال بعشر سنين

وقد كان جرجى زيدان رحمه الله رجلا من رجال هذا الجيل الساخط الطامح وكان الهلال نتيجة من نتائج سخطه وطموحه كما كان محمد عبده رجلا من رجال هذا الجيل الساخط الطامح وكما كان الاصلاح الدينى وحرية الرأى نتيجة لسخطه وطموحه . وقل مثل ذلك فى قاسم أمين وقل مثله فى البارودى وحافظ وشوقى وغيرهم من الذين قامت عليهم نهضتنا المعاصرة مهما تختلف فروعها ومظاهرها

وفى الادباء كثير من الاعتداد بالنفس والاكبار لآثارهم فى الحياة العقلية بل فى الحياة عامة . ويكاد كثير من الادباء يقطع بأن تطور الحياة انما هو أثر من آثار الانتاج العقلى لهذا الكاتب أو لهذا الشاعر ، وربما تطول فآمن بأن فكرة لعالم من العلماء أو اختراعا لرجل من رجال الفنون التطبيقية قد كان لها أثر فى هذا التطور ولكن الادباء قلما يحفلون بالمؤثرات الاقتصادية وبالمؤثرات المادية بوجه عام . ومع ذلك فلهذه المؤثرات المادية والاقتصادية خاصة نتائجها الخطيرة فى الحياة الانسانية جملة وفى الحياة العقلية والادبية على وجه التحديد كما يقولون . وقد يكون من البحوث الطريفة الخصبة أن يحاول محاول استكشاف الآثار القريبة والبعيدة التى تركها فى لغتنا وآدابنا احتفار قناة السويس وما نشأ عنه من هذا الاتصال المنظم بين أقصى الشرق وأقصى الغرب وما نشأ عن ذلك من تغير حياتنا الاقتصادية والمالية ومن تحقيق الغاية التى كانت مصر تطمح اليها منذ أقدم عصورها وهى أن تكون مركز الالتقاء بين الشرق والغرب

ولست أقول هذا كله تزيدا أو تعمدا للاسراف فى الاحصاء والاستقصاء وانما أريد أن الاحظ أن من أصعب الاشياء وأشدها عسرا ان نفترض فى تاريخ الظواهر الادبية وقتا معينا تبدأ فيه أو تنتهى عنده . والشىء الذى لا شك فيه أن مجلة اسمها الهلال نشأت منذ نصف قرن وكان منشئها رجلا من رجال هذا الجيل الذى صورته ساخطا طامحا شديد الطموح عظيم التوثب تنطوى نفوس أبنائه وضمائرهم على آمال ضخام عراض يتبينها المثقفون الممتازون من رجاله وكان منشىء هذه المجلة من هؤلاء الرجال . فلم تستأنف نهضة لغوية أو أدبية فى الوقت الذى أنشئت فيه مجلة الهلال وانما كانت هذه النهضة موجودة قوية سريعة الحركة الى أمام وكانت مظاهرها واضحة كل الوضوح ، كانت تتناول الشعر والنثر والتفكير الاجتماعى والدينى كما كانت تتناول العلم أيضا . ومن الحق ان هذه النهضة قد صدمت صدمة عنيفة قبل انشاء الهلال بعشر سنين حين كانت الثورة المصرية والاحتلال البريطانى . ولكن من الحق أيضا أن هذه الصدمة لم تمح النهضة ولم تحولها عن وجهتها وانما وقفتها أعواما ثم لم يلبث هذا الجيل الساخط نفسه أن أفاق من الصدمة واسترد نشاطه القديم واستأنف سيره الى أمام . وكان انشاء الهلال مظهرا لاستئناف هذا النشاط . وقد لاحظت فى غير هذا الفصل ان انشاء الهلال قد كان بعيد الاثر فى حياتنا الادبية وانه يكفى أن ننظر الى الاجزاء الاولى من هذه المجلة والى الاجزاء الاخيرة لنلاحظ أن منشىء الهلال كان يكتب مجلته كلها على وجه التقريب وأن صاحب الهلال بعد الحرب الماضية لم يكن يكتب فيه الا قليلا جدا ومعنى ذلك أن مجلة الهلال لم توجد لنفسها القراء فحسب وانما أوجدت لنفسها القراء والمحررين أيضا . وهى لم توجد القراء والمحررين فى البيئة المصرية وحدها ولا فى البيئة الشرقية وحدها وانما أوجدتهم فى بيئات بعيدة جدا عن مصر والشرق ، فى البيئات العربية الامريكية . ومعنى هذا كله أن نصف القرن الذى يريد صديقى اميل زيدان على أن أؤرخ الادب واللغة فيه قد امتاز بظاهرة أدبية شديدة الخصب عظيمة الخطر بعيدة الاثر جدا فى الحياة الادبية العربية وهى نشأة الهلال .

وما أريد أن يظن قارىء هذا الفصل انى أكتب تحية للهلال لأنه قد أنفق من حياته الطويلة نصف قرن ، فأنا لا أزيد على أن أكون مؤرخا للأدب العربى ولكن مؤرخا يحرص على ألا يتشعب عليه الموضوع

وعلى ألا يحاول فى فصل قصير ما لا يوفى الا فى كتاب ضخم . ويكفى أن ألاحظ لاثبات ما أقول ان مجلة الهلال قد كانت مصدر احداث أدبية خاصة كان لها أبعد الأثر فى حياة الأدب العربى المعاصر وقلما يشاركها فيها مظهر من مظاهر النشاط الادبى الحديث . فليس من الغلو فى شىء أن يقال ان منشىء الهلال قد أوجد فى اللغة العربية هذا العلم الحديث الذى نسميه تاريخ الأدب ، لا بتأليف كتابه المشهور فحسب ولكن بالبحوث الكثيرة التى نشرها فى الهلال وبالكتب التى أرخ بها الأمة العربية والحضارة الاسلامية

على أن منشىء الهلال لم يقف عند هذا الحد ولكنه بسط العلاقة بين الشرق والمستشرقين وألغى المسافة أو كاد يلغيها بين العلماء الدارسين للغة والأدب فى الشرق والعلماء الدارسين للغة والأدب فى الغرب . ولست أنكر أن لغير منشىء الهلال آثارا قيمة فى هذه السبيل ولكنى أزعم أنه هو الذى مهدلهذه الآثار وفتح للشرقيين هذا الباب من أبواب العلم . ثم لصاحب الهلال رحمه الله أثر آخر بعيد فى حياة الأدب العربى المعاصر وهو أثر أدبى خالص لم يوف حقه من الدرس والاكبار . فصاحب الهلال هو الذى نقل الى أدبنا العربى مذهبا من مذاهب الأدب الاوروبى هو القصص التاريخى . ولست أزعم أن القصص التاريخى الذى كتبه جرجى زيدان كان يمتاز بروعة الاسلوب وبراعة اللفظ ولكنى أسجل هذه المحاولة أولا على أنها نحو جديد من انحاء الانتاج الأدبى فيه احياء للتاريخ العربى وفيه توجيه للشباب وفيه بعد هذا كله تأثير قوى فى الخيال . ومهما أنس فلن أنسى انى كنت فى أيام الصبا والشباب أبدأ فى قراءة القصة التاريخية من قصص جرجى زيدان فلا أكاد أتقدم فى قراءتها شيئا حتى أفتن بها واذا هى تشغلنى عن دروس الأزهر حتى أتمها . واذا هى تأخذ على تفكيرى وقتا طويلا بعد اتمامها . ويستطيع النقاد ان يقولوا ما يشاءون ، ولكن الشىء الذى لا شك فيه هو أن القصص التاريخى الذى أصدره جرجى زيدان قد كان من أهم المؤثرات التى أتاحت لهذه النهضة ان تؤتى الثمار القصصية التى يستمتع بها قراء العربية الآن

ومن الواضح أن جرجى زيدان لم يكن وحده الذى يعمل وينتج ويغزو الثقافة العربية فقد كان هناك علماء وكتاب وشعراء ومفكرون كما كانت هناك مجلات كثيرة مختلفة . ولكن من الواضح أيضا ان جرجى زيدان كان أبعد هؤلاء المثقفين أثرا فى الحياة الأدبية المعاصرة كما أن مجلة الهلال كانت أبعد المجلات أثرا فى هذه الحياة الادبية . وقد يكون من الحق على ان اعلل هذه القضية وقد يكون تعليلى لها مدهشا لبعض الذين يتعجلون الاحكام فى التاريخ الادبى ، ولكنه مع ذلك تعليل صحيح فيما أعتقد . ذلك ان جرجى زيدان لم يكن أرستقراطى الادب وانما كان رجلا يجمع بين نزعتين مختلفتين أشد الاختلاف ولكنهما نافعتان أشد النفع احداهما النزعة العلمية التى تظهر فيما كتب من التاريخ الادبى والسياسى ومن تاريخ الحضارة . والثانية النزعة الشعبية التى تظهر فى هذه الكتب التاريخية نفسها وتظهر بنوع خاص فى قصصه وفى فصوله الثقافية العامة . فهو قد كان يتجه اذن بعلمه وأدبه الى أوساط المثقفين ولست أعرف بيئة أحسن استعدادا للانتفاع بالثقافة من هذه البيئة المتوسطة التى لا يرتفع بها الامتياز عن الاستفادة ولا ينحط بها الجهل عن الانتفاع بما يقدم اليها من غذاء العقل والقلب والروح . وقد كان جرجى زيدان شعبيا فى علمه وفى أدبه ولكنه كان بعيدا كل البعد عما يتعرض له العلم الشعبى والادب الشعبى أحيانا من الاسفاف والابتذال . فكان له من أجل هذا أعمق الاثر فى نفوس الذين قرأوه وفى عقولهم أيضا . وما أسعد الذين يستطيعون أن يحصوا لانفسهم بين العلماء والادباء وأوساط المثقفين تلاميذ كالذين نستطيع ان نحصيهم لجرجى زيدان . وما أسعد الذين يعجز التاريخ الادبى عن ان يمر بأسمائهم وأعمالهم دون ان يقف عندها وقفة طويلة كالوقفة التى يقفها التاريخ الادبى عند اسم جرجى زيدان وآثاره

وقد طلب الى ان أكتب فصلا عن اللغة والادب فى خمسين عاما فاذا أنا لم أكتب الا فصلا قصيرا جدا — وان كان أطول مما رسم لى — عن أثر جرجى زيدان ومجلته فى اللغة والادب أثناء نصف قرن . وأؤكد لك انى بعيد كل البعد عن أن أوفى هذا الموضوع الخطير بعض حقه

طه حسين

مؤسس الهلال

تاريخه

* ولد مؤسس الهلال فى بيروت فى ١٤ سبتمبر سنة ١٨٦١
* تلقى مبادىء العلوم فى بعض مدارسها الابتدائية
* واضطر إلى ترك المدرسة صغيراً لمساعدة والده
* ودرس اللغة الانكليزية فى مدرسة ليلية فى مدة لا تتجاوز خمسة أشهر
* ثم انتظم فى « جمعية شمس البر » الأدبية فكان يحضر حفلاتها
* وفى سنة ١٨٨١ صمم على ترك شغله والمثابرة على طلب العلم
* دخل المدرسة الكلية ببيروت لدراسة الطب فمكث بها سنتين
* حدث اختلال فى تلك المدرسة فخرج منها بعد ما نال شهادة فى العلوم الصيدلية
* جاء مصر عقب الحروب العرابية لتكملة الطب
* حول عزمه عن دراسة الطب واشتغل محرراً بجريدة الزمان
* وفى سنة ١٨٨٤ سافر فى الحملة النيلية إلى السودان مترجماً بقلم المخابرات
* عاد إلى مصر بعد عشرة أشهر وقد نال ثلاثة أوسمة مكافأة له على خدماته
* فى سنة ١٨٨٥ انتدبه المجمع العلمى الشرقى ببيروت ليكون عضواً عاملا به
* أقام ببيروت عشرة أشهر فدرس اللغات العبرية والسريانية وأخواتهما
* فى سنة ١٨٨٦ انتدبته مجلة « المقتطف » لادارة أشغالها فقام بذلك نحو عامين
* انصرف بعد ذلك إلى الكتابة والتأليف
* فى سنة ١٨٩٢ أصدر مجلة الهلال
* كان فى أول نشأة الهلال يتولى وحده جميع شؤونه
* لما اتسع نطاق الاعمال فى الهلال عهد فى ادارته إلى شقيقه واستخدم آخرين
* أكب على التأليف والتحرير ، فكتب بعد نشأة الهلال مؤلفات جمة
* قام بعدة رحلات أهمها رحلاته إلى الآستانة وإلى أوربا وفلسطين
* فى ٢١ يوليه سنة ١٩١٤ وافته المنية فجأة ففاضت روحه إلى خالقها

آثاره

* محور آثاره كلها « الهلال » وقد أصدر منه ٢٢ مجلداً
* أهم مؤلفاته :

تاريخ مصر الحديث ــ جزءان
تاريخ التمدن الاسلامى ــ خمسة أجزاء
تاريخ العرب قبل الاسلام ــ جزء واحد
تاريخ آداب اللغة العربية ــ أربعة أجزاء
تراجم مشاهير الشرق ــ جزءان
الفلسفة اللغوية والألفاظ العربية ــ جزء واحد
تاريخ الماسونية العام « «
تاريخ اللغة العربية « «
أنساب العرب القدماء « «
علم الفراسة الحديث « «
طبقات الأمم « «
عجائب الخلق « «

* نقل تاريخ التمدن الاسلامي الى خمس لغات هى : الأوردية ، والتركية ، والانكليزية ، والفرنسية ، والفارسية ، وترجم كتاب الفلسفة اللغوية الى التركية
* ألف عدة روايات تاريخية جعلها متسلسلة منذ ظهور الاسلام
* ظهر من سلسلة روايات تاريخ الاسلام ١٨ حلقة اليك أسماءها :

١ ــ فتاة غسان : جزءان ــ ٢ أرمانوسة المصرية ــ ٣ ــ عذراء قريش ــ ٤ ــ ١٧ رمضان ــ ٥ ــ غادة كربلاء ــ ٦ ــ الحجاج بن يوسف ــ ٧ ــ فتح الأندلس ــ ٨ ــ شارل وعبد الرحمن ــ ٩ ــ أبو مسلم الخراسانى ــ ١٠ ــ العباسة أخت الرشيد ــ ١١ ــ الأمين والمأمون ــ ١٢ ــ عروس فرغانة ــ ١٣ ــ احمد بن طولون ــ ١٤ ــ عبد الرحمن الناصر ــ ١٥ ــ فتاة القيروان ــ ١٦ ــ صلاح الدين ــ ١٧ ــ شجرة الدر ــ ١٨ ــ الانقلاب العثمانى

* له أربع روايات خارجة عن السلسلة هى :

المملوك الشارد ــ أسير المتمهدى ــ استبداد المماليك ــ جهاد المحبين
وقد نقلت الى أهم اللغات الشرقية وبعض اللغات الأوربية



جرجي زيدان

عهدى بالهلال

بقلم الدكتور محمد حسين هيكل باشا

يرجع أول عهدى بمجلة الهلال الى أربعين سنة خلت . كنت يومئذ طالبا بالمدرسة الخديوية الثانوية ، وكنت كزملائى التلاميذ يومئذ ، وكأبنائنا التلاميذ اليوم ، أقضى الاجازات المدرسية بقريتنا فى الريف . وكان والدى مشتركا فى مجلتى الهلال والمقتطف . وكان حريصا على أن يتناول الطعام مع أبنائه فى الوجبات الثلاث ، وبخاصة فى وجبة الظهر . فاذا فرغنا من تناولها آوى الى مضجعه يقضى فيه ساعة أو بعض ساعة وكان يقرأ قبل ان ينام . فلما انتقلت من دراستى الابتدائية الى المدرسة الثانوية كان يدعونى بعد الغداء لاتلو الفصل الذى يختاره من مجلة الهلال . وأظل فى تلاوتى حتى اذا اطمأننت الى أنه نام انسحبت من مخدعه وفررت الى حيث يلعب أخوتى وأعمامى لاشترك معهم فى لعب النرد أو كرة القدم ، أو غير ذلك مما يكونون بسبيله من ألوان اللعب . وكثيرا ما حدث أن اعتقدت انه نام فوضعت المجلة وتأهبت للانسحاب فاذا هو ينبهنى الى انه لم ينم ، ولا بد لى عند ذلك من متابعة القراءة حتى ينام

خلقت هذه القراءات شيئا من الالفة بينى وبين مجلة الهلال من ذلك العهد . وكثيرا ما كنت أقرأ فى صحفها الاخيرة ما تنشره من فصول لهذه الروايات التاريخية الاسلامية التى كان يكتبها منشؤها المغفور له جرجى زيدان . وقد سرتنى قراءة هذه الفصول أثناء الاجازات ودفعتنى الى قراءة هذه الروايات كاملة

وكانت دار الكتب المصرية ـ أو الكتبخانة الخديوية كما كانت تدعى اذ ذاك ـ تحتل جزءا من البناء الذى كان يجمع وزارة المعارف ، والمدرسة الخديوية ، وهذه الكتبخانة الخديوية ، فكنت أخرج عقب انتهاء الدروس يوم الخميس فأذهب الى دار الكتب لاجلس فى غرفة المطالعة وأطلب هذه الروايات التى كتبها جرجى زيدان ، وتنشرها الهلال . ولا يزال الاثر الذى تركته قراءتى لغادة كربلاء عالقا بنفسى الى اليوم

سردت ما تقدم ليرى أبناء اليوم ما كان للهلال من أثر فى توجيه ثقافتنا نحن أبناء الامس . وأثر الهلال لم يقف فى حدود مصر حيث كان يظهر ، ولم يقف فى حدود بلاد الشرق العربى ، بل كان يتخطاها الى كل متكلم بالعربية حيثما كان من بقاع الارض

وكانت ميزة الهلال ، فى عهد منشئه ، البساطة فى عرض المسائل الادبية والاجتماعية والتاريخية بساطة تقربها الى الذهن وتحببها الى النفس ، كما انه كان يتجه بأبحاثه الادبية والتاريخية الى بعث التراث العربى والى نشر الثقافة العربية على نحو يؤلف بين الذين يتكلمون العربية ويطبع نفوسهم وقلوبهم بطابعها ويبعث الى جوارحهم محبتها والتشبث بها

وهذه الميزة قد احتفظ بها أبناء منشىء الهلال بعد والدهم ، ولهذا بقيت الصلة بين الهلال وقرائه الاولين ، أقام الهلال على الوفاء لهم وأقاموا على الوفاء له ، مع تطوره كتطورهم ليلائم الجميع روح هذا العصر السريع التطور ، ولعل الهلال قد بلغ من مجاراته العصر فى سرعة تطوره ما لم يبلغه غيره من صحفنا ومجلاتنا

ويسرنى لهذه المناسبة التى دعت لظهور هذا العدد الخاص من الهلال أن أوجه خالص التهنئة لابناء المرحوم جرجى زيدان ، وان أثنى عليهم لاحتفاظهم بتراث أبيهم وحرصهم على أن تظل مجلة الهلال مجلة الثقافة العامة التى يستريح جمهور القراء حين مطالعتها الى أنهم يقفون على صورة الحياة العامة فى عصرهم ، وصورة الثقافة العربية فى العصور المختلفة

محمد حسين هيكل

ذكريات عن الهلال ومنشئه

بقلم الأستاذ انطون الجميّل بك

خمسون سنة مرت منذ أنشأ المرحوم جرجى زيدان مجلة « الهلال »

ألا رحم الله منشىء الهلال ، ونفعنا بآثاره الباقية

ومد الله فى عمر مجلة الهلال ، وأبقاها عاملا فعالا فى خدمة الشرق واللغة العربية

أما منشىء الهلال فلا أزال أذكر ما كان له من الفضل يوما ما على نشأتى الادبية . واذا كنت أعمد مغتبطا ، لمناسبة هذه الذكرى الخمسينية الى تسجيل هذا الفضل فلا شك أن كثيرين غيرى من حملة الاقلام اليوم يعودون مثلى الى ماض قريب أو بعيد فيذكرون مثلما أذكر . . .

. . . كنا قبيل الحرب الماضية ، وكان جيلنا من شبان تلك الحقبة يتطلع الى النهضة الفكرية فى الشرق ، ويتلمس آثارها فى كتابات من كان فى الطليعة من أدبائنا

وكان أن صدر « ديوان الخليل » لاستاذنا مطران . فانصرفت اليه أطالع مقطوعاته فى كثير من الشغف والاعجاب لأنى وجدت فيه الكثير مما كانت تتشوف اليه نفوسنا الفتية التى نهلت من الادب الفرنجى ، وأصبحت تبحث عن مثل هذا المعين – دون أن تجده – فى أدبنا العربى العصرى . وبعد أن رويت ظمأ نفسى من هذه المطالعة أحببت أن أدون ما جال فى خاطرى من أثر هذا الشعر الجديد . فعكفت على كتابة بحث طويل عن شاعرية خليل وعوامل التجديد فى قصائده وموضوعاتها . ولما أتممت بحثى وأتقنت تبييضه حملته الى منشىء الهلال ، لان صفحات الصحف اليومية لم تكن تتسع وقتئذ لمثل هذه البحوث . وكان ، رحمه الله ، يقصد عند مغرب كل يوم الى مكتبة الهلال ، فى أول شارع الفجالة ، حيث تلتف حوله عصبة من رجال القلم يتفكهون ويتنادرون . فدفعت اليه المقال على أن أعود اليه فى اليوم التالى لاعرف رأيه فيه بعد اطلاعه عليه

وعند مغرب اليوم التالى عدت الى مكتبة الهلال ، فوجدت المرحوم جرجى زيدان بين رهط من اصدقائه كالمعتاد ، فابتدرنى بالتحية مرحبا وقال : « أهنئك بمقالك ، وسأنشره فى « هلال » الشهر القادم » . ثم أسمعنى بعض عبارات التشجيع قائلا : « أبشرك بمستقبل حسن فى الادب اذا ثابرت على البحث والكتابة »

وفى الشهر التالى قرأت بحثى منشورا فى الهلال وتفضل ، رحمات الله عليه ، بأن أهدى الى المجلة على سبيل المكافأة

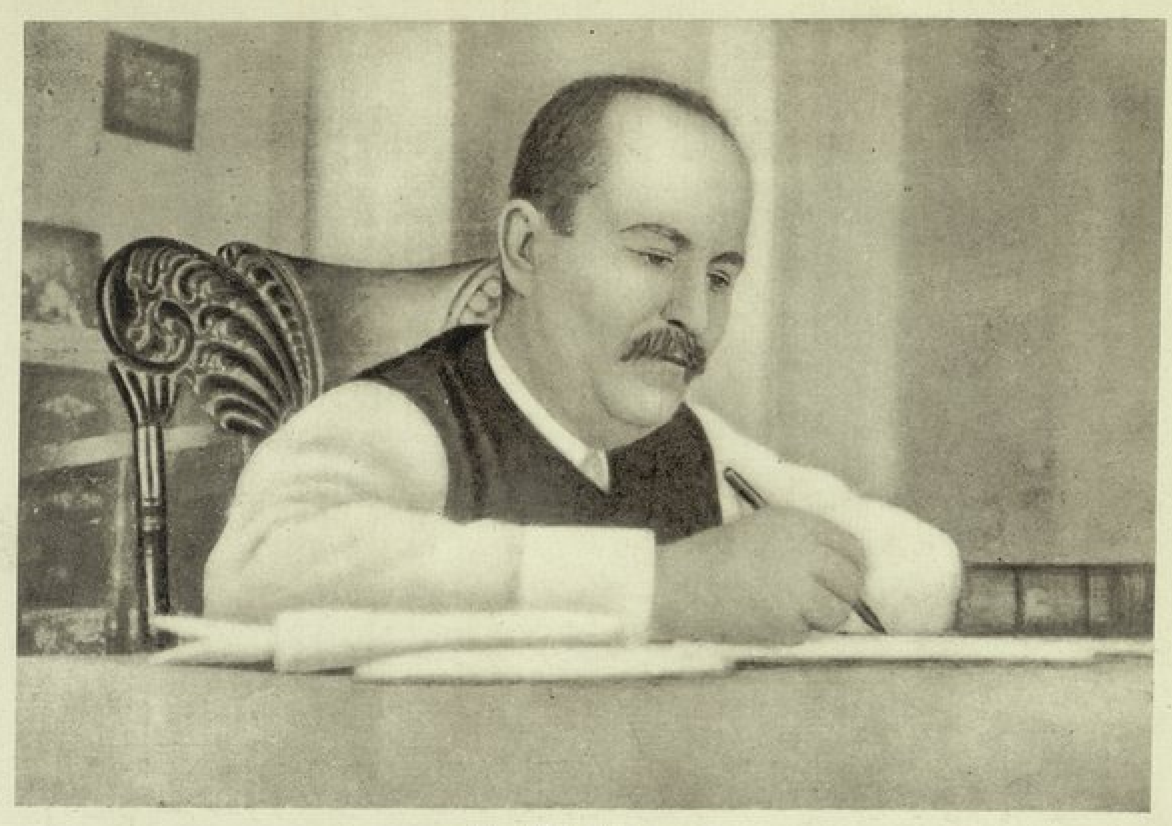
ولا شك فى أن هذا الحادث كان من الحوافز التى دفعتنى الى الكتابة فى المستقبل

هذه أولى ذكرياتى عن منشىء الهلال

***

أما مجلة الهلال وما قامت به من الخدمات الجلى للادب والتاريخ واللغة فقد يكون بعض الدليل عليه فى القصه الآتية :

كنا فى مطلع صيف سنة ١٩٢٧ نتأهب للسفر الى أوربا . وقصدنا مع بعض الاصدقاء الى بور سعيد للسفر منها على باخرة كانت قادمة من جزر الفيليبين الى جنوى



مؤسس الهلال جالساً إلى مكتبه

وتأخرت الباخرة عن موعد وصولها الى الميناء المصرى بسبب هبوب الرياح الموسمية فى المحيط الهندى . فقضينا ليلتنا فى أحد الفنادق ننتظر قدومها . وقبل طلوع الفجر أيقظنا وكيل شركة الملاحة مبشرا بأن الباخرة قد اجتازت قناة السويس ، وانها لا تلبث أن تواصل سفرها حالا . فأسرعنا بحقائبنا اليها . وما كدنا نستقر على ظهرها حتى أطلقت صفارتها مؤذنة بالرحيل

يعرف الذين يسافرون كيف تقضى أيام السفر فى البحر : مطالعة ، وحديث ، وسمر ، فى حلقات يعقدها الذين تعارفوا ، وذهاب واياب على ظهر السفينة للرياضة

وبينما كنت فى اليوم الثانى من السفر أذرع السفينة ذهابا وايابا ، رأيت رجلا وسيدة فى مقعدين متجاورين . وكان منظرهما قد لفت انتباهنا منذ اليوم الاول

الرجل مثال للعنصر الشرقى : بشرة سمراء ، وعينان سوداوان ، وشعر كث فاحم كظلام الليل ، وهو فى نحو الخمسين من عمره

والسيدة مثال للعنصر الانجلوسكسونى : بشرة ناصعة البياض ، وعينان زرقاوان ، وشعر أشقر كشعاع الشمس ، وهى فى نحو الثلاثين من عمرها

ترى ! من يكونان على ما فيهما من تفاوت السحنة والهندام ؟

سائحة وترجمان ؟ لا . . ! انهما يطالعان كتابا معا ، ويصوران بعض مناظر البحر ومشاهد السفينة ، ويدخلان الى قمرة واحدة ممتازة (كابين ده لوكس)

وبينما أنا فى طوافى جيئة وذهابا ابتدرنى الرجل ، وأنا أمر أمامه ، بسؤال وجهه الى باللغة الانجليزية :

ـ يوسبيك أرابيك ؟ (هل تتكلم العربية ؟) فأجبت بلسان عربى :

ـ على كيفك !

فقال بالعربية أيضا :

ـ اذن ، تفضل واجلس معنا

فحييت وجلست وذكرت اسمى ..

فقال : أعرف هذا الاسم .. ورحب بى ، وقدمنى للسيدة ، وهى زوجته ، ثم ذكر اسمه ، وسرد قصته قال :

ـ اسمى عزيز توفيق هاشم ، من كفر شيما بلبنان . هاجرت من قريتى وأنا فى الثانية عشرة من عمرى . وقد مر على فى المهجر أربعون سنة كاملة لم أرجع فيها الى الشرق .. ذهبت فى أول أمرى الى أمريكا الشمالية ، ثم انتقلت منها الى أمريكا الجنوبية ، ولم يصادفنى التوفيق فى كلتا الامريكتين ، فيممت شطر جزر الفيلبين ، وتعاطيت بعض الاعمال التجارية فى مانيلا ، فحالفنى النجاح . ثم اشتريت بالاشتراك مع الدكتور صليبى أراضى واسعة ، وكان من حظنا أن كشفنا فيها منجم فحم ، فكان لنا منه ثروة طائلة

قال ، واطلعنى على مجموعة صور فوتوغرافية لذلك المنجم ومئات العمال يشتغلون به

وكان الرجل يروى لى قصته هذه فى لغة هى مزيج من اللغة الفصحى واللغة العامية الدارجة فى لبنان يتخللهما شطرة بيت من الشعر أو كلمة بالانجليزية أو الاسبانية

ولما أبديت له استغرابى من أسلوب تعبيره المختلط ، قال :

ـ « لا تعجب ! قلت لك انى هاجرت من الشرق منذ أربعين سنة ، وأنا فتى يانع . وبعد بضع سنوات تلقيت كتابا من المرحوم والدى يقول لى فيه ما معناه : « يا بنى ، أخشى أن تنسى فى ديار الغربة لغة قومك وعادات عشيرتك لانك لا تزال صغير السن . لذلك اشتركت لك بمجلة الهلال لتظل تطالع فيها لغتنا فلا تنساها ، وتقرأ فيها أنباء شرقنا العزيز .. » وهكذا عرفتك عند ما تسميت لانى قرأت لك فصولا فى الهلال ، وهكذا ترانى بعد غياب أربعين سنة أحتفظ بلغتنا ، وان كانت العادة قد أدخلت على عباراتى كلمات أجنبية كثيرة .. »

***

وقد رأيت اليوم ، لمناسبة عيد الهلال الخمسينى ، أن أروى هذه القصة ، بدلا من تحبير مقالات الاطراء والثناء ، لان فيها دليلا محسوسا على فضل الهلال فى نشر لغتنا وآدابنا وتاريخنا

والى العيد المئوى ، ان شاء الله .. !

انطون الجميل

رسالة الهلال فى الشرق العربى

بقلم الأستاذ أنيس المقدسى

أستاذ الأدب العربى بالجامعة الامريكية ببيروت

للهلال منذ نشأته الى الآن عهدان ممتازان : العهد التاريخى والعهد الثقافى . ففى الاول كان الهلال موردا عذبا لدراسة التاريخ العربى ، من معينه يستقى القراء تلك المعلومات القيمة التى كان مؤسسه يعنى عناية خاصة بجمعها وتنظيمها وعرضها عرضا مبتكرا يستلذه المطالع والباحث ويستفيد منه الخاص والعام

ولا نقصد بنعتنا الهلال فى عهده الاول بالتاريخى انه كان - يومئذ خاليا من غير الابحاث التاريخية - فهو كسائر المجلات الادبية كان يحمل الى قرائه من الاخبار العلمية والمنتجات الادبية والفنية ما يوسع لديهم أفق الحياة ويطلعهم على اسباب التقدم . على أن التاريخ كان الصبغة الغالبة عليه أو قل كانت رسالته الخاصة الى الشرق العربى

ولا نعدو الحقيقة اذا قلنا ان الهلال من هذا القبيل هو استاذ الادباء فى الشرق ورائدهم فى مجاهل تاريخهم الفكرى والاجتماعى . ولا ريب أن للعلامة المغفور له جرجى زيدان الفضل الاكبر فى تنبيه أبناء العربية الى ماضيهم وتنظيم الوسائل المشوقة لفهم مآثر أسلافهم واتخاذ ذلك أساسا لحياة أفضل وعمران أكمل

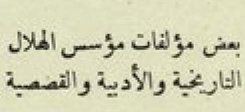
أجل . كان للهلال فى ذلك رسالة روحية يجب على كل شرقى عزيز النفس أن يقف منها وقفة الخشوع والاجلال . فقد كان يجلو لنا فى كل منشوراته تراثنا الماضى فيشعرنا بشىء من الكرامة القومية أو اللغوية فى عصر لم يكن فيه للعربى بل للشرقى عموما من كرامة تذكر

بزغ الهلال والعالم العربى لا يزال يتسكع فى ظلمات التأخر الاجتماعى والعلمى . وكان الناس منذ فتحوا عيونهم لنور المدنية الجديدة المشرق عليهم من وراء البحر قد أقبلوا على تقليد الغربيين فى عاداتهم وازيائهم واقتباس أنوار المعرفة من مدارسهم ومعاهدهم . فقادهم ذلك دون أن يشعروا الى تحقير نفوسهم وتعظيم الغرباء حتى أصبح الغربى عندهم مثال الكمال وأصبح همهم الاكبر النسج على منواله ومتابعة رجاله

ولا يخفى ان تضعضع الدولة العثمانية يومئذ هو الذى جرأ الاجانب عليها فزاد نفوذهم السياسى والاقتصادى فى انحائها ولا سيما فى القسم العربى منها . وقد أصاب من قال [1] : « فبسبب تشويش الادارة وتذبذبها لم يعد للحكومة قاعدة مطردة ولا أصول مرعية لا فى سياستها الداخلية ولا الخارجية ولذا سقط اعتبارها عند الدول الاجنبية حتى تجرأوا على تهديدها فى المسائل الطفيفة العادية . وسقط اعتبارها فى نظر رعاياها وصار أكثر الموجودين منهم فى الديار الاجنبية يأنفون من دخولهم فى التبعية العثمانية »

(١) الدرر ١٤٨





بعض مؤلفات مؤسس الهلال التاريخية والأدبية والقصصية

قام زيدان والعالم العربى هذه حاله ـ شعور بالصغار الذاتى ، تحقير للتراث القومى ، تعظيم لكل ما هو أجنبى ـ وعرف الغربيون ذلك الشعور فى الشرقيين فاستغلوه لمآربهم بل تمادوا فى استغلاله حتى صاروا لا يتورعون عن التشامخ على بنى الشرق ولا سيما الناطقين بالعربية وامتهانهم فى عقر دارهم

وقد آلم ذلك أباة الضيم من الوطنيين فهبوا يدعون الى تحسين الحال وكان بعض ذوى الحمية الملتهبة يتخذون الشعر أو منبر الخطابة وسيلة لمحاربة هذا الشعور كما فعل أديب اسحق اذ قال [1] فى خطاب ينبه فيه الشرق الى فساد ما ساده من اعتقاد بأفضلية الغربى وتفوقه الفكرى : « أم لا ترى انك لو عنيت بأمر قومك عنايتك بالاجنبى تقوم بأمره وتولع بشكره لما لبثت أن ترى منهم من يبلغ شأوه وان كان رفيعا ، ومن يدرك سعيه وان كان سريعا »

وقد اتخذ هذا الألم الوطنى عند بعضهم مجرى سياسيا عنيفا ومن ذلك عطف الشعر العربى على اليابان يوم اشتباكها وروسيا سنة ١٩٠٤ . وانما فعل ذلك لكونها دولة شرقية تحارب دولة غربية . وعلى هذا النحو ما كان يقوم به فى أواخر القرن الماضى وأوائل هذا القرن بعض المناهضين للنفوذ الغربى من الدعوة للجامعة العثمانية (وهى تمثل عندهم الكرامة الشرقية) ويكفى أن نذكر منهم هنا الخطيب عبدالله نديم والزعيم مصطفى كامل والعالم رشيد رضا والشاعر أحمد شوقى . ثم ما انبثقت به الصدور يوم اعلان الدستور العثمانى سنة ١٩٠٨ وقد ارتفع الضغط عن الالسن والصدور واتقد الشعور الوطنى اتقادا لم يعهد مثله من قبل . فأخذ الادب العربى يتغنى بالقومية تغنيا اشتركت فيه جميع العناصر والطوائف ولم تكن حماسة المسيحيين بأقل من حماسة المسلمين اذ رفعوا الهلال العثمانى الى أوج التعظيم . وهم يرون فيه مجدهم القومى وان فى سموه سموا للروح الشرقية التى طالما امتهنها الصلف الغربى

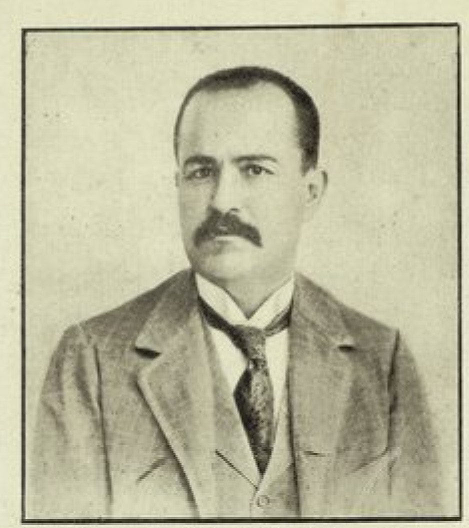
أما جرجى زيدان فلم ينـدفع اندفاع الشعـراء المتحمسين أو الدعاة القوميين والزعماء السياسيين بل سلك مسلكا آخر ـ سلك مسلك العالم الباحث فدرس بشغف تاريخ العرب وآدابهم ورأى أن يحمل الى العالم ما وصل اليه بعد البحث والتنقيب . فلما أشرق هلاله رأى الناس فيه ما لم يروه فى كتاب أو مجلة من قبل . رأوا روحا شرقية بحاثة تتغلغل فى ظلمات المكاتب العربية القديمة وتستخرج منها غذاء شهيا للنفوس

وأقبلت عليه جميع الطبقات الوطنية المستنيرة فاستساغته ورأت فيه مقويا روحيا كانوا فى أشد الحاجة اليه. وهكذا استطاع الهلال أن يخدم الشرق العربى خدمة لم تتح لسواه اذ حمل اليه رسـالة الكرامة القومية مستوحاة من مآثر عظمائه وتراث لغته وآدابه . هذه الكرامة القومية كان يشعر بها قراء الهلال مسلموهم ومسيحيوهم على السواء . ولا أدرى أكان زيدان يرمى فى ابحاثه التاريخية الى هذا الغرض أم لا ولكننى أدرى انه لم يكن ليضحى بحقيقة تاريخية لاجل غرض ما . فقد كان مؤرخا نزيها يحـاول الوصول الى الحقيقة مهما كانت . على انه ككثير من النوابغ كانت رسالته نتيجة طبيعية لحياته الفكرية الرصينة . واذا حق لنا ان نكبر هذه الرسالة التى حملها الهلال فى منشوراته المختلفة ونفضلها من حيث تأثيرها فى الشرق على نفثات الخطباء والشعراء والزعماء فلانها لم تكن بنت ساعة من ساعات الانفعال أو رهينة دعاية من الدعايات بل لانها مستقاة من منـابع الاستقراء مستنيرة بنور الحقيقة ثابتة على ممر السنين وتعاقب الاجيال

فتاريخ التمدن الاسلامى مثلا لم يوضع لدعوة أو غاية خاصة خارجة عن حب البحث ، ولكن واضعه فى دراسته لاسباب ذلك التمدن وتطوراته وفى تنظمه طرق البحث فى هذا الموضوع المبتكر قـد أرانا عظمة الشرق الحربية والاجتماعية والفكرية وبرهن لنا دون أن يحاول البرهان أن للشرقى قابلية للتقدم وأن ما استطاعه فى الماضى يستطيعه فى الحاضر والمستقبل ، وأية خدمة لابناء الشرق العربى أجل من هذه الخدمة ؟

كذلك هو فى كتابه تاريخ آداب اللغة ـ حيث طالعنا بكل ما انتجته قرائح أدبائنا وعلمائنا فى كل العصور ـ قد نظم للمتأدبين والباحثين ما كان مبعثرا فى طيات الكتب والمحفوظات فأزاح عن تراثهم الفكرى غواشى الظلمات وغرس فى نفوسهم بزور الثقة بالنفس اذ أراهم ما كان لاسلافهم من آثار فى تاريخ الفكر العام

(١) الدرر ١٤٨



مؤسس الهلال فى العقد الخامس من حياته

وما أدوه لاهل الغرب من خدمات علمية فى سالف الايام

أما رواياته الاسلامية فلا تزال الى الآن أفضل مشوق لدراسة تاريخ العرب والاسلام وأحب ما صنف فى هذا الباب الى قلوب النشء العربى الجديد فهو يجمع بين لذة القصة وحقيقة التاريخ

كل ذلك وسواه كان ينشر فى الهلال فتتلقاه الاوساط الادبية بارتياح لا مزيد عليه ولا عبرة بما كان من تنمر بعض الحساد والمغرضين ومحاولتهم الغض من عمل زيدان التاريخى والادبى فقد ذهبت محاولاتهم أدراج الرياح وظل زيدان بوطنيته الهادئة واخلاصه العلمى عاملا كبيرا فى رفع نفوس الشرقيين وتوطيد كرامتهم بين العالمين فلا غرابة ان يهتز الشرق العربى جزعا يوم منعاه وان تتفق المذاهب جميعها على التنويه بما كان له من فضل فى مسعاه

فقد كان للتاريخ نبراس حكمة	به يهتدى السارى بليل ضلاله
ترعرع والايام يعبس وجهها	له وصروف الدهر تزرى بحاله
فساور جيش الدهر حتى أذله	وفل بماضى العزم زرق نصاله
وما مات من فى عالم الفضل روحه	الى الدهر تبقى فى نفوس رجاله
ستذكره الاوطان ما ذر شارق	وما لاح فوق الافق ضوء هلاله
سيذكره الاسلام ما دام مسلم	يعز بتاريخ النبى وآله
ستذكره الآداب فى كل معهد	وبالذكر يحيا المرء بعد زواله

***

أما العهد الثانى فعهد التوسع الثقافى على أيدى القائمين بأدارة الهلال الآن

ذهب المؤسس وترك وراءه من تلقى الرسالة الادبية فحملها الى الشرق العربى ولكن عن طريق آخر فبعد أن كان « الهلال » يعنى فى الدرجة الاولى بوقائع التاريخ العربى وظواهر المدنية الاسلامية ــ وقد رأينا ان هذه العناية جاءت فى أشد الحاجة اليها ــ أصبح الآن يرمى الى هدف أبعد ، هو رفع المستوى الثقافى فى مصر والاقطار العربية الاخرى وذلك بالتوفيق بين قديمنا وحديثنا والجمع بين محاسن الشرق ومحاسن الغرب . وبكلمة أخرى ــ ان رسالة الهلال فى عهده الجديد هى درس الحضارتين الغربية والشرقية واستخلاص أفضل ما فيهما ليكون أساسا لعمران شرقى جديد

ولو نظرنا نظرة تحليلية الى الصحافة الثقافية فى العالم العربى لوجدنا هناك مدرستين مختلفتين ــ احداهما لا ترى من صلاح الا بنبذ القديم من عاداتنا وآدابنا والاستعاضة عنه بالجديد من عادات الغرب وآدابه . والاخرى بعكسها تهولها المدنية الحديثة ولا ترى فيها غير الانحطاط الاجتماعى والمفاسد الخلقية . وظاهر ان كلتا المدرستين متطرفتان وان الرقى الحقيقى لا يقوم على هذه أو تلك وانما هو تطور مستمر قائم على فهم مبادىء الحياة المثلى والتمسك بكل ما هو مفيد فلا قديم يجب نبذه ولا جديد يجب التعلق به وانما نحن ننبذ الفاسد من القديم والجديد ونتعلق بالصالح منهما . وما الصالح الا الذى يستطيع التقدم مع موكب الحياة . وكيف ندرك هذا الصالح الا اذا اطلعنا الاطلاع الكافى على حقيقة الماضى وحقيقة الحاضر ونظرنا النظر الصائب فى حسناتهما وسيئاتهما حتى يسهل علينا سلوك الطريق المؤدية الى خير الجمهور وصلاح حاله

وهذا ما يقوم به الهلال فى عهده الحالى وفى داره الجديدة .

فى العهد الاول وضعت بزور الكرامة القومية مستمدة من امجاد التاريخ وفى العهد الثانى نرى هذه البزور تنمو على ضوء الحقائق العلمية والاجتماعية . فى الهلال اليوم دعوة الى التقدم ــ فكأنه يقول غير مجد

ان نعرف تاريخنا ونقف عند هـذا الحد ـ غير مجد التطور فى الحياة وعن العوامل المؤدية الى الرقى الحقيقى كسائر الامم الراقية ثم يغمضوا عيونهم عن وسائل ان تشعر أبناء العربية بكرامة نفوسهم وقابليتهم للتقدم

ان الهلال اليوم ـ وبعد أن أدى على يد مؤسسه رسالته التاريخيـة الممتازة يلبس حلة قشيبة من الحيـاة الصحفية . وهو يعنى أن يكون نبراسا وضاء يحمل الى أبناء العربية فى جميع الامصار انوار الحياة الجديدة يفعل ذلك لا ليخدم طبقة محدودة من ذوى الاختصاص العلمى بل ليخدم الجمهور المستنير فى العالم العربى ففيه يجد الاختصاصى كما يجد المتعلم العادى ما يلذه ويوسع دائرة الحياة أمامه

وليس عمله هذا عند التحقيق الا تكملة طبيعـية لعمله السابق . واذا كان الهـلال فى عهـد جرجى زيدان قد نجح فى تهذيب النفس الشرقية بتحريرها من رق الصغار الذاتى فالهلال اليوم بفضل الجهود الجبارة والتضحيات المادية والمعنوية التى يقـوم به رئيس تحريره ومعاونوه قد نجح أو كاد فى الجمع بين حضارتى الشرق والغرب ومزج روحيهما مزجا تتجلى فيه مثل الحياة العليا . ولم يبلغ الهلال ما بلغه فى هذا العهد من حسن الاتقان وسعة الانتشار الا بوسائل ادارية وفنية قلما عنيت بها مجلة أدبية أخرى. ولنذكر من هذه الوسائل الثلاث التالية :

١ ـ حمل النوابغ من الكتاب والمفكرين على تغذية القراء بما يلذهم ويفيدهم من شتى المباحث

٢ ـ حسن اختيـار المواضيـع الجذابة والابواب المتنوعة التى تحسن لدى العامة كما تحسن لدى الخاصة

٣ ـ رفع المستوى الفنى فى بابى الطبـع والرسم بحيث أصبح الهلال يضارع أرقى المجلات الغربية

فنحن لا نخطىء اذا قلنا ان رسالة الهلال هى رسالة الثقافة الحرة ولو سأل سائل ما هذه الثقـافة وكيف يحملها الهلال الى الشرق العربى أجبنا . ان الثقافة هى الاسـتنارة الحـاصلة من تهـذيب القوى العقليـة والروحية والفنية . وعليه فقد ينصرف شخص ما الى فن من الفنون كالشعر أو الموسيقى أو الى علم من العلوم كالطب أو الهندسة فيخرج شاعرا أو موسيقيا أو طبيبا أو مهندسا حاصرا كل قواه فى عمله الخاص معرضا عن كل شىء سواه . ولا يكون مع ذلك ذا ثقافة حرة محلى بصفات الاستنارة العامة التى تقتضى اطلاعا واسعا وذوقا مرهفا وعادات لائقة ومبادىء انسانية سامية

وقد أدرك الهلال هذه الحقيقة وعرف ان حاجة الجمهور ـ جمهور الناطقين بالضاد انما هو الى هذه الثقافة الحرة التى تجعل من الشعب مجموعة مهذبة ذات رأى عام مستنير . وعلى هذا الاساس نظمت دار الهلال وأحكمت الوسائل التى تساعدها على حمل هذه الرسالة ونشرها فى الشرق العربى

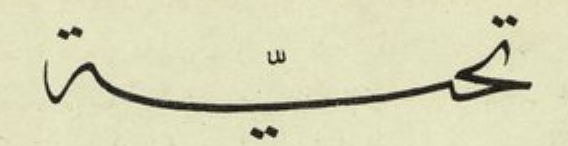
وليست رسالتها من هذه الرسائل التى يدعيها كثير من تجار الادب أو دعاة السياسة الحزبية بل هى من النوع الممتاز الذى يجمع بين البحث العلمى الصحيح والعرض الادبى الرفيع

وليس على الذى يشك فيما نذهب اليه الا ان يطالع مجلدات الهلال فى ربع القرن الاخير فيراها مشرقة بأنوار الحياة بل هى مرآة تعكس لنا خير ما تنتجه الحضارة الغربية والنفسية الشرقية الواعية

« ودار الهلال تؤدى واجبها بهدوء وعزيمة معا مطمئنة الى ما قد أنتجت متطلعـة الى اتقان ما تنتـج لا تداهن فريقا ولا تستملق كبيرا ولا تتساهل قيد شعرة فيما تعتقده حقا وصوابا . وهى تؤمن ببقاء العمـل الصالح واخفاق ما عداه ولذلك لا تحفل بالصغائر بل ترحب بكل فكرة نزيهة وتقصد كل جهد شريف وشعارها على الدوام الى الامام »

ذلك ما صرح به صاحبا الهلال سنة ١٩٤٠ تحت موضوع « شعارنا » . وذلك ما يصادق عليه كل أديب عربى يطالع الهلال باستمرار ويؤدى فيه الى الاجيال شهادة الاخلاص

أنيس المقدسي



بقلم الاستاذ عبد العزيز البشرى

ان خزانة كتب تنتظم خمسمائة مجلد أو تزيد ، لا شك فى أن تسكن باحرازها شهوة هاو منكمش فى جمع الكتب واقتناء الاسفار ، ولو لم يشق منها كتابا ، ولم تخض عينه منه فى أسطار

ولا شك فى أن خزانة كتب تنتظم هذه المجلدات تتحدث فى التاريخ ، وفى جمهرة العلوم ، والفنون ، والآداب ، وتعالج ما شاء الله من كل ما له صلة بالحياة ، وتطالع الكثير الكثير من الاسباب الدائرة بين الناس . لا شك أن خزانة كتب كهذه فيها مقنع وغنى لعالم يريد أن يتخفف من الاختلاف الى دور الكتب ، والاستعارة من الخزائن العامة أو الخاصة

واذا كانت هذه الاسفار مما أخرجت المطابع من نسختها المئات بله الآلاف ، منتشرة نسخها فى أدانى الارض وقواصيها ، فلا ريب كذلك فى اعتبارها منجما لا تنفد ذخائره ، وينبوعا لا ينضب معينه . بل هى نهر متدفق ينتظم الأقاليم ويسلك الاقطار ، ويسقى الحرث ذات اليمين وذات اليسار . فلا ترى الا نبتا رابيا ، وزرعا زاكيا ، ووردا يضحك للناظر ، وزهرا يبهج النفس ويسر الخاطر . وشجرا ثبت أصله وسمق فرعه ، وأدرك ثمره وطاب للآكلين ينعه

وهذا هو مجموعة « الهلال » ، وهذا أثره العقلى والروحى فى مصر ، وفى سائر الاقطار العربية

هى ثمانون ألف صفحة ، أو تزيد . ما من صفحة منها الا وهى عصارة الفكر ، وخلاصة العلم ، ووحى العاطفة ، والهام الفن ، وثمر الجهد العنيف فى المراجعة والتقليب ، وغاية الكد الشديد فى الفحص والتنقيب . هى هذا الخلق الذى سواه سهر الليالى فى السنين الطوال ، وحلته العزائم بأنفس ما فى الكنوز من جواهر غوال

ومجموعة « الهلال » ، ولا ريب ، هى أحسن « فلم سينمائى » يعرض النهضة العلمية والادبية فى مصر ، بل فى العالم العربى كله ، مدى جيل كامل ، فيجلوها على أصدق وجه ، ويصورها أدق تصوير

***

وبعد ، فان سؤالا لا يفتأ يضطرب فى النفس : ترى ما الذى كان يقدر منشىء الهلال للهلال يوم تقدم فردا لا مسعد له من نصير ولا مال ؟

أتراه رأى ، بلحظ الغيب ، أن هذا « الهلال » الذى تقدم لانشائه ، سيصبح ، على الايام ، ثروة علمية فنية لا تطاولها جهود الزمان ؟

أم هى العزمة الماضية تدفع صاحبها الى العمل دفعا . وربما تنظرت له ، بادىء الرأى ، بغاية قريبة المنال . ثم لا تزال المثل العليا تحدوه وتتقدمه كلما قطع شوطا ، وطوى فى سبيل القصد مرحلة

وكذلك تتم جلائل الاعمال ، على أيدى أفذاذ الرجال ، يأتون بما يفوق الطاقة بل بما يتصل بالمحال

اللهم ان « الهلال » ومنشىء الهلال ، لابرع مثل على ما للصبر والمثابرة من آثار فى حياة العالم جسام !

عبد العزيز البشرى

سبعة عشر عاما... هنا

بقلم الاستاذ فكرى أباظة

« سبعة عشر عاما » هنا ؟! ما أسرع العمر ؟!

أى والله سبعة عشر عاما فى هذا المكان ــ دار الهلال ــ ومع هذه الوجوه ؟! ومع ذلك لا يخيل الى اننى كبرت ، أو انها كبرت .. بل ما رأيكم انه يخيل الى أننى صغرت وأنها صغرت ؟! وأن دم الشباب الحامى ــ مع بعض وسائل التحذلق والتأنق والتصابى ــ قد جرى فى عروقنا حتى كأننا جميعا فى « سن القرعة » ؟!

هذا المكان ــ رغم الخمس والسبعين درجة من درجات سلالمه الطويلة الملتوية التى «نعاملها» يوميا صاعدين وهابطين ــ ينفث الحيوية والفتوة والقوة . فمن أراد أن يعود صبيا فليبحث عن عمل فى دار الهلال ..

***

ولكن علاقتى الصحيحة مع « الهلال » و « دار الهلال » تُرجع الى .. الى كم ؟! أيها الكذب انجدنى !.. ترجع فى الواقع الى خمسة وثلاثين عاما يوم كنت فى الخامسة أو السادسة أو السابعة أو الثامنة من عمرى وكان أبى من « زبائنه » ومن أحباب « جرجى زيدان » ومن عشاقه ومن قرائه . كان أبى يكلفنى بأن أحمل أكداس أعداد الهلال فلما ترعرعت وقرأت كان أبى رحمه الله يكلفنى بأن أقرأ له فصوله وأبوابه ورسائله وملحه واسئلته وأجوبته وأظن أن مجلة « الهلال » هى التى سببت لى « قصر النظر » الذى أشكوه فلم تكن دارنا فى « كفر ابى شحاته » مركز منيا القمح قد أدخلت بعد الكهرباء فكنت أقرأ على نور اللمبة نمرة ٣ أو على نور الشمعة الضئيلة أو على نور الفانوس الذى كانت تشعله « أم رجب » خادمتنا الاديبة التى كانت تسهر على حتى أتم على والدى حصة قراءة فصول « الهلال » ..

من ٣٥ عاما عرفت « زيدان » .. وعرفت « الهلال » .. وعرفت « دار الهلال » ..

واعجب للزمن !

كيف جمع بينى وبين الهلال ودار الهلال طفلا ، وفتى ، وصبيا . ثم كيف جمعنى به كهلا . ثم من يدرى كيف يجمعنى به شيخا !..

***

وكنا فى الجيل الثانى من القرن العشرين طلبة بالمعنى الصحيح . كنت احفظ أربعة آلاف بيت من بيوت الشعر المختار ! أين ذهبت هذه الآلاف من الذاكرة الغبية ؟! وكنت أحفظ مقامات الحريرى كلها أين ذهبت هذه المقامات ؟ كنت أتعقب « جرجى زيدان » فى الجامعة المصرية الحرة . وكنت التهم سلسلة رواياته العربية التهاما . وما اظننى سئلت فى أحسن ما يقرأ فلم أنصح بقراءة هذه السلسلة الرائعة التى عجز الجيل الحاضر عن أن يخرج أمثالها ونظائرها ..

ومضت السنون وكرت الايام ومرت الليالى حتى طلع على صباح ١٢ يوليه سنة ١٩٢٦ ..

فى «تراس» حمام سان استفانو العالمى الجميل جلست أجرع الكازوزه جرعا بعد حمام متعب كله صحة وعافية . واذا بشاب سمهرى القد ، نحيل القوام ، يقترب منى ويحيينى . قال : أنا اميل زيدان . قلت : تشرفنا .. قال : عندنا فكرة فى اصدار مجلة مصورة ويسرنا أن تعاوننا .. قلت : على العين والرأس ..

وكان هذا هو « كل العقد » ..

لم أكن أفهم مطلقا الا أن أكتب وأفرح بطبع ما أكتبه ونشره . وكنت أكاتب « الاهرام » الجبارة من

سبعة أعوام . وأصبت نجاحا بلا شك .. وفى ذات يوم من الايام استدعانى « جبرائيل بك تقلا » اذ ذاك وقال لى بلهجة رقيقة انه جرت العادة فى أوربا ان « يقبض » الكتاب المشهورون « حقهم » من الكتابة . فلا بد أن نحدد لك أجرا !

ثرت يومها ثورة لا أظن تقلا باشا ينساها . شعرت كأنه لطمنى لطمة مست شرفى وجرحت كرامتى وكلما ازداد دهشة من ثورتى ازددت غيظا وحنقا . كنت كاتبا « بكرا » وظننت أن « الفلوس » تجرح « عذريتى » وأخذت أصيح فى دار الاهرام : أنا محترف ! أنا حزب وطنى ! أنا أكتب للبلد لا لجيبى . وخرجت غاضبا ساخطا الى حين ..

فلما خاطبنى « اميل زيدان » هذا الخطاب المختصر لم يرد بخاطرى مطلقا أن فى المسألة « فلوسا » .. وكتبت المقالات الاولى فى الاسابيع الاولى من الزقازيق حيث كنت أقيم ..

واذا «بشيك» ظريف يتهادى الى بالبوستة فأقلبه مندهشا ولكن رقمه العالى يخمد ثورتى ويهدىء أعصابى ويخدرنى تخديرا فأقبضه وأنا صامت ..

وأظل أقبض ـ بصمت ـ من سنة ١٩٢٦ حتى سنة ١٩٤٢ ـ الى اليوم ـ دون أن أكلمه أو يكلمنى ..

وهكذا جرنى « اميل زيدان » الى الاحتراف بدون أن نتكلم فى الاحتراف أو فى الفلوس ..

ومن يومها « احترفت » حتى اليوم وأنا لا أدرى !

***

فى دار الهلال « قدوة » تخجل كل متبرم بكثرة العمل أو بعنف الجهد . هذه القدوة هى صاحباه . اميل وشكرى زيدان . انهما يحرران ، ويديران ، ويصدران ، ويستوردان ، ويعملان يوميا من التاسعة صباحا حتى الواحدة والنصف بعد الظهر . ومن الخامسة مساء حتى السابعة أو بعدها . جمعا بين الادارة والتحرير . فضلا عما يحف بهما من مشاغل ومسئوليات تتعلق بهما فى دوائر الحكومة وغير الحكومة . وعند ما يشكو الى محرر من كثرة الواجب الملقى على عاتقه أقول له : أنظر الى هذين كيف يعملان ..

صاحب العمل الذى يشعر كل معاونيه بأنه أكثرهم عملا وانتاجا وجهدا وعناء يرسم الخطة للجميع ويضرب المثل الواجب الاقتداء . ولقد طالما أشفقت عليهما ووجهت اليهما من النصائح بأن يستمتعا « بالكسل » كما يستمتع به كل الناس وأرجو أن يعملا بنصيحتى بعض الشىء ..

***

وأسرة « الهلال » التى عاونت على تشييد هذه الدار وعلى نموها أسرة كريمة . بل أكرم مما يتصور القارىء . عاونتها هذه الاسرة معاونة أدبية واسعة النطاق منبسطة السلطان مترامية الاطراف . هل ظفرت مجلة فى العالم ـ مثلما ظفرت دار الهلال ـ بأن يساهم فى تحرير مجلاتها ملوك وسلاطين وأمراء ؟! ملوك الشرق كلهم وفى مقدمتهم وطليعتهم ملك مصر المحبوب صدروا صفحات الهلال الممتازة بنفثات أقلامهم . وهذا شرف كبير ! وهذا نجاح فادح ! وهذه هى الذروة الصحفية التى لم تبلغها صحيفة بعد !

ما من رئيس حكومة أو رئيس أمة أو رئيس حزب أو قطب من أقطاب السياسة والمال والاجتماع الا وحرر فى مجلات دار الهلال أكثر من مرة . وكل هؤلاء الادباء العالميين الغربيين والشرقيين زخرت برسائلهم وآرائهم صفحات مجلات الدار فى كل عهد وفى كل جيل ..

هذا هو « رأس المال » الحقيقى لهذه المؤسسة . ولا يمكن أن يتأتى لهذه المؤسسة هذا الظفر الصحفى وهذا « القبول » و « الاقبال » من ذوى التيجان وذوى العروش وذوى الخطر الا اذا كانت المجلات فى حد ذاتها قد برهنت بماضيها وحاضرها على أنها جديرة بهذا الشرف. وبهذه الثقة. وبهذا السعر العزيز الغالى

فكرى أباظة

رئيس تحرير المصور

الهلال في نصف قرن

بقلم الأستاذ طاهر الطناحى

قبل أن نصف للقراء ما كان عليه الهلال منذ تأسيسه ، ثم ما درج فيه من النمو والتقدم فى مدى خمسين سنة يحسن بنا أن نثبت هنا هذه الفاتحة التى افتتح بها مؤسس الهلال الجزء الاول لتتبين الخطة التى سار عليها الهلال ، والغاية التى رمى اليها . قال :

« لابد للمرء فيما يشرع فيه من فاتحة يستهل بها ، وخطة يسير عليها وغاية يرمى اليها . أما فاتحتنا فحمد الله على ما أسبغ من نعمه وأفاض من كرمه ، والتوسل اليه أن يلهمنا الصواب وفصل الخطاب . أماخطتنا فالاخلاص فى غايتنا ، والصدق فى لهجتنا ، والاجتهاد فى وفاء حق خدمتنا . ولا غنى لنا فى ذلك عن معاضدة أصحاب الأقلام من كتبة هذا العصر فى كل صقع ومصر

« أما الغاية التى نرجو الوصول اليها فاقبال السواد على مطالعة ما نكتبه ، ورضاؤهم بما نحتسبه ، وإغضاؤهم عما نرتكبه . فاذا أتيح لنا ذلك كنا قد استوفينا أجورنا فننشط لما هو أقرب الى الواجب علينا

« أما موضوع مجلتنا فمقسوم الى خمسة أبواب :

« أولا : باب أشهر الحوادث وأعاظم الرجال . فلا يخلو جزء من تاريخ حادثة شهيرة أو رجل عظيم أو أكثر مع ما يحتاج الى إيضاحه من الرسوم

« ثانياً : باب المقالات . ويظهر فى كل جزء مقالة أو غير مقالة بقلمنا أو أقلام كتابنا المعاصرين

« ثالثاً : باب الروايات . وسندرج فيه من الروايات على مثال ما كتبناه مما هو تاريخى أدبى ممثل لعادات الشرقيين وحوادثهم ، موافق لأذواقهم ، خال من الحوادث الأجنبية والمسميات الأعجمية . فندرج فى كل جزء من الهلال جزءاً من الرواية مع ما تحتاج اليه من الرسوم

« رابعاً : باب تاريخ الشهر . وهو يشتمل على ماجريات الشهر الغابر فى سائر أنحاء العالم . ولا سيما مصر وسورية ملخصة من أصدق صحف الأخبار . فيجتمع منه فى آخر كل سنة حوادث تلك السنة مرتبة حسب زمن حدوثها يوماً فيوماً

« خامساً : منتخبات من الأخبار والتقريظ والانتقاد وغير ذلك

« وقد دعونا مجلتنا هذه بالهلال لثلاثة أسباب : أولا — تبركا بالهلال العثمانى الرفيع الشأن شعار دولتنا العلية أيدها الله . ثانياً — إشارة لظهور هذه المجلة مرة فى كل شهر . ثالثاً — تفاؤلا بنموها مع الزمن حتى تتدرج فى مدارج الكمال . فاذا لاقت قبولا وإقبالا أصبحت بدراً كاملا باذن الله . . »

هذا ما افتتح به مؤسس الهلال أول جزء منه . وترى فيه الخطة التى سار عليها والغاية التى رمى اليها وما اعتزمه من بذل الجهد فى خدمة هذه المجلة والاعتماد على العزيمة الصادقة فى تقدمها ونموها وفقا لتقدم الوسط ونمو مداركه . وقد أجمل رحمه الله محتويات الهلال فى هذه الفاتحة فذكر أنها خمسة أبواب يحتوى كل باب على ما يلذ ويفيد من الموضوعات القريبة من حاجة القراء على اختلاف طبقاتهم . وقد توخى الاسلوب السهل فى كل ما كتبه مع توضيحه بالصور والخرائط العدة

وكان مؤسس الهلال فى أول نشأته يتولى وحده جميع شؤونه التحريرية والادارية ، ويشرف بنفسه على أعمال طبعه . ولما اتسع نطاق المجلة عهد فى ادارتها الى شقيقه واستخدم آخرين للاشغال الاخرى وعكف هو على التحرير والتأليف . وعنى عناية عظيمة بالتاريخ ، وعلى الاخص تاريخ الشرق وتاريخ رجاله البارزين سواء أكانوا ملوكا أم قوادا أم فلاسفة أم رجال علم وأدب

وبدأ الهلال فى أول سبتمبر سنة ١٨٩٢ . وكان يظهر مرة فى الشهر . وكانت سنته اثنى عشر شهرا . فكان يبتدىء فى سبتمبر وينتهى فى أغسطس . واستمر الهلال يصدر على هذا المنوال (مرة فى الشهر) الى نهاية السنة الاولى . وفى أثناء هذه السنة ظهرت رغبة كثير من القراء فى زيادة حجم الهلال واتساع مادته ،

واقترح بعضهم أن يصدر مرتين فى كل شهر ، فوعدهم مؤسسه بذلك ابتداء من أول السنة الثانية

فلما كانت السنة الثانية ظهر الهلال مرتين فى الشهر : الاولى فى أوله ، والثانية فى منتصفه . وأصبح عدد أجزاء الهلال فى السنة أربعة وعشرين ، كل جزء يحتوى على ٣٢ صفحة ، وفى غضون هذه السنة زادت أبواب الهلال بابا سادسا هو « باب السؤال والاقتراح » . فصارت أبوابه ستة

وفى السنة الثالثة من حياة الهلال زاد مؤسسه عدد صفحاته ١٦ صفحة ، فصار مجموع الجزأين ثمانين صفحة فى الشهر ، وأضاف الى أبوابه بابا سابعا دعاه « باب الاخبار العلمية » درج فيه ما كان يحدث فى العلم والصناعة من المبتكرات والاختراعات والاكتشافات . وذلك تحقيقا لما وعد به القراء من الزيادة والتحسين كلما رأى منهم اقبالا وتشجيعا

وفى السنة الرابعة زادت أبواب الهلال بابا ثامنا درج فيه قسما من فصول رواية تاريخية غرامية بعنوان « أرمانوسة المصرية » وصار ينشرها تباعا . ولا بد من ملاحظة أن هذا الباب سبق أن وعد به فى افتتاحية الجزء الاول من السنة الاولى . ولكن لكثرة أعماله واحتياج هذا التأليف الروائى الى طول البحث اضطر الى الاستعاضة عن هذا الباب فى السنين الثلاث الماضية بباب آخر سماه « باب المراسلات » . ثم لما اشتد الحاح القراء عليه فى اضافة هذا الباب الى الابواب الاخرى لم يسعه الا أن يجيبهم الى رغبتهم

وزاد فى السنة الخامسة بابا جديدا وهو « باب مشاهير العصر » وفيه رسوم مشاهير العصر الاحياء فأصبحت الابواب تسعة . وما انتهت هذه السنة حتى كان « الهلال » قد انتشر فى مشارق الارض ومغاربها وأصبح له كثير من القراء فى سورية والعراق وفارس والهند واليابان وتونس والجزائر ومراكش وغربى أفريقيا الى أمريكا الشمالية والجنوبية وجزائر الهند الغربية وجزائر الهند الشرقية واستراليا وزيلاندا وأواسط السودان وجنوبه وشرقيه وغربيه وفى زنجبار والترنسفال وفى أكثر مدائن أوربا

واستمر « الهلال » فى تقدمه ونموه حتى كان العام الاخير من العقد الاول من حياته ، وهو العام العاشر فدخل فى طور جديد من التقدم والنمو يظهر فيما يأتى :

١ ـ العناية بشؤون الصحة . ففتح لها بابا خاصا سمى « صحة العائلة »

٢ ـ زيادة عدد الرسوم مع اتقان حفرها وطبع بعضها على ورق خاص

٣ ـ العناية بجودة الورق

٤ ـ تقديم هدايا الى المشتركين . وكانت هدية السنة العاشرة « تاريخ التمدن الاسلامى » لمؤسس الهلال


الهلال

G. ZAIDAN

العدد الأول من « الهلال »

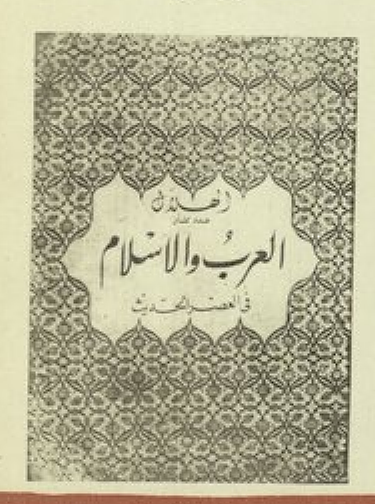
العقد الثانى

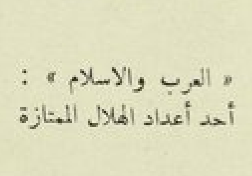
هذا مجمل نمو الهلال وتطوره فى العقد الاول من حياته . وفى العقد الثانى ظهر النمو والتطور بمظهر أكبر وأحسن . ففى السنة الحادية عشرة زادت العناية بطبع الهلال واختير له ورق أجود مما كان يطبع عليه فى السنين الماضية ، وزين كثير من الصفحات بعدد من الرسوم الواضحة ، وجعل لكل صفحة اطار جميل يفصل الكلمات عن الهامش ، وبقى يصدر مرتين فى الشهر . ولكن نظرا لهذه التحسينات رؤى أن تعود صفحات كل جزء الى ٣٢ صفحة ، وزيدت قيمة الاشتراك عشرة قروش

غير أن مؤسس الهلال أراد أن يعوض قراء الهلال من نقص الصفحات وزيادة الاشتراك بشىء يفيدهم علاوة على التحسينات المطبعية ، فأنشأ بابا جديدا من أول تلك السنة عرض فيه بالتوالى أعجب وأغرب ما فى الطبيعة من المخلوقات ، وهو باب « عجائب المخلوقات »

وما كادت تبدأ السنة الثانية عشرة حتى أعد مجموعة من الحروف الاسلامبولية الجميلة ، وهى أجمل أنواع الحروف فى ذلك الوقت ، وتمتاز بصغرها عن الحروف التى كان الهلال يطبع بها ، وبذلك أمكن أن يستوعب الهلال كثيرا من المواد والموضوعات

وفى هذه السنة نفسها رأى مؤسس الهلال أن يصدره عشرة أشهر فى السنة مع بقائه مرتين فى الشهر ،




« العرب والاسلام » :
أحد أعداد الهلال الممتازة

وان يعوض المشتركين عن الشهرين الباقيين بكتاب يهدى اليهم بحجم أجزاء الشهرين

وفى السنة الثالثة عشرة شكا قراء الهلال من قلة الصفحات مع كثرة الموضوعات التى تستلزم زيادة عدد صفحاته ، واستحسن أغلبهم ضم الجزأين الى بعضهما وصدورهما جزءا واحدا فى آخر كل شهر . فلم يسع مؤسس الهلال الا اجابة رغبة الاكثرية ، وعاد الهلال يصدر مرة فى الشهر على أن تكون صفحاته ثمانين صفحة ، وسنته عشرة أشهر وأن يعوض القراء عن جزأى الشهرين بكتاب

وفى خلال السنين الماضية كانت المقالات الخارجية التى تأتى اليه من بعض العلماء والأدباء للنشر فى الهلال نادرة . ولكن فى العقد الثانى من حياة الهلال ظهر على صفحاته أسماء لبعض العلماء والأدباء الشرقيين كالمرحوم « المقدسى » صاحب كتاب « علم الأدب عند الافرنج والعرب » وطالما أتحف هذا العالم قراء الهلال بمقالات تاريخية وفلسفية وعمرانية جيدة ، وكذلك الدكتور نقولا فياض ، وأخوه المرحوم الياس فياض ، وحافظ بك ابراهيم والدكتور شبلى شميل

وأخذ الهلال فى هذه المرحلة ينشر بقلم مؤسسه مقالات اجتماعية واقتصادية فضلا عن المقالات التاريخية مثل « النهضة المالية المصرية » و « الاحصاء المصرى » و « اللغة العربية والمدارس » و « تاريخ التعليم فى مصر » ونحو ذلك مما يحتاج الى درس وتنقيب

العقد الثالث

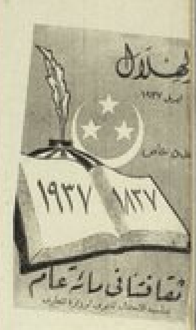
بدأت السنة الاولى من العقد الثالث ، وهى السنة الحادية والعشرون للهلال . وكانت قد نشأت طبقة جديدة من المتعلمين تثقفوا بالعلوم الحديثة وتأدبوا بالادب الجديد ، وظهر فيهم ميل الى البحوث الفلسفية فى التاريخ والاجتماع والاقتصاد . ومع ما كان ينشره الهلال من هذه الموضوعات فقد بدت الحاجة الى التوسع فيها وادخال بعض الابواب الاخرى . لذلك كثرت الابواب ووصلت فى (السنة ٢٢) التى صدرت فى (١٩١٣ ـ ١٩١٤) الى ١٢ بابا عرضت فيها موضوعات قيمة وبحوث نفيسة لبعض المشهورين ، ونشرت مناظرات لبعض العلماء والادباء ، وزادت صفحات الهلال هذه السنة ١٦ صفحة

وفى ٢٢ يوليه من تلك السنة فاجأت المنية المرحوم جرجى زيدان بعد أن أعد وكتب وراجع آخر جزء من السنة الثانية والعشرين للهلال . فطويت آخر صفحة من عهد الهلال فى حياة مؤسسه ، وبدأ عهد نجليه الاستاذين اميل وشكرى زيدان . والاستاذ اميل هو النجل الاكبر لمؤسس الهلال . ولذلك تسلم شؤون تحريره على أثر وفاة والده وأخذ يحافظ على تلك الأمانة (الهلال) التى سلمه اياها والده وأوصاه قائلا : « حافظ على الهلال ، فهو الاثر الذى وقفت له حياتى ونشاطى » . وسار على الخطة التى رسمها له وهى تتلخص فى قوله : « كلما زادنا القراء اقبالا ، زدناهم اتقانا وتحسينا » . وقد بدأ هذا التحسين فعلا من العدد الاول الذى صدر فى أول هذا العهد ، اذ كان يزيد على سابقه ثمانى صفحات . واستمر على ذلك فى الاشهر التالية . هذا الى تحسين الورق واتقان الطبع وتجديد الحروف . ولما نشبت الحرب الكبرى وأغلقت أبواب التجارة الاجنبية اضطر الاستاذ اميل زيدان ان يصدر الهلال فى ورق أقل جودة ، ولكنه أكثر نفقة

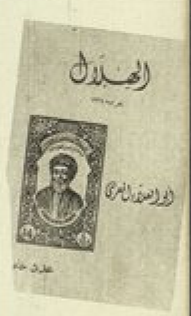
واذا كانت مادة الورق قد ضعفت فى خلال الحرب الكبرى فان مادة الموضوعات قد غزرت وتنوعت اكثر من قبل . على أن مسألة الورق ما لبثت أن انتهت بانتهاء الحرب الكبرى ، وعاد الهلال يصدر على ورق جيد محتويا على الموضوعات الشائقة والبحوث الممتعة ، ومزينا بكثير من الصور والرسوم الهامة

العقد الرابع

فى هذا العقد دخل الهلال فى طور يمتاز عن سابقه بكثرة التحسين تمشيا مع التطور الحديث وتيار الرقى والتقدم الراهن وقد ألغيت منه بعض الابواب ، واستعيض عنها بأبواب جديدة وموضوعات أجل فائدة وأكثر ملاءمة للتطور المادى والادبى والعلمى فى السنين الاخيرة





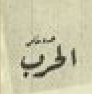


أما الابواب الاخرى فقد نالها كثير من التعديل ، فغيرت عناوينها ، واختير لها عناوين أخرى واصطبغت بصبغة جديدة فى الاسلوب والاختيار والترتيب . ومن ذلك « باب السؤال والاقتراح » فتغير عنوانه باسم « بين الهلال وقرائه » و « باب التقريظ والانتقاد » أصبح عنوانه « عالم الادب » و « الاخبار العلمية » صار باسم « سير العلوم والفنون » وفيه من الصور ما لم ينشر من قبل ، و « أخبار اجتماعية » باسم « من هنا وهناك » و « صحة العائلة » باسم « شؤون الدار » أما « باب عجائب المخلوقات » فقد استعيض عنه بعرض صور مختلفة لهذه المخلوقات العجيبة مع التعليق عليها

وقد ألغى « باب تاريخ الشهر » ثم أعيد أخيرا بمظهر جديد وذلك باسم « معرض الشهر » ويشتمل على صور أهم الشخصيات والحوادث التى شغلت الاذهان فى الشهر المنصرم . هذا فضلا عن التجديد فى الورق والتحسين فى الطبع والتصوير . ومنذ جلبت دار الهلال مكنات الطبع بالروتوغرافور صارت صفحات هذه المجلة تزدان بصور جميلة تضاهى الصور الفوتوغرافية فى وضوحها وحسن طبعها

وقد اتجه الهلال وجهة جديدة باتجاه الافكار الآن نحو الغرب وعلومه وآدابه . ولكنه ما زال صورة واضحة لتطور الشرق وتقدمه . وقد حاز من تقدير العلماء والادباء ما جعله مجالا لبحوثهم القيمة وآرائهم الناضجة ، وأخذ نخبة منهم ينشرون فيه مقالاتهم وقصائدهم وآراءهم

فأصبح الهلال بذلك معرضا حافلا للعلم والادب والاجتماع . وميدانا تتبارى فيه أقلام العلماء والادباء



العقد الخامس

بدأ الهلال عقده الخامس سنة ١٩٣٢ وكانت فى مصر وسائر بلدان العالم أزمة مالية استحكمت حلقاتها ، وعانت منها جميع الامم متاعب مادية ومشاكل اقتصادية عدة . ويختتم هذا العقد فى ابان أزمة أخرى أشد وأروع ، وهى أزمة الحرب الراهنة التى هدمت كثيرا من معالم المدنية الحديثة ، ورزأت الامم بضائقة خطيرة . وكما صمد الهلال فى تلك الازمة الاقتصادية وفى أزمة الحرب العالمية الماضية التى مر بها ، يصمد الآن لازمة هذه الحرب مؤديا رسالته فى خدمة الشرق وخدمة النهضة الشرقية



وقد امتازت السنوات العشر الاخيرة من حياته بما أصدره من اعداده الخاصة المتعددة ، تمشيا مع النشاط الفكرى والاجتماعى والسياسى فى مصر والاقطار الاخرى . وقد بلغت هذه الاعداد ١٨ عددا تتناول أهم الموضوعات التى تشغل الاذهان فى المناسبات العلمية والادبية والسياسية أيضا . ونذكر من هذه الاعداد : « الفاروق عمر بن الخطاب » . « حياتنا الجديدة » . « أبو الطيب المتنبى » . « المرأة والحب » . « أبو نواس » . « ابو العلاء المعرى » . « العرب والاسلام » . « العالم العربى والحرب » . « الانجليز » . « الحرب » . « العرب والديمقراطية » الى آخر هذه الاعداد الممتازة فى تحريرها ، وفى تنسيقها ، وفى طبعها . وقد صادفت نجاحا وتقديرا من جميع القراء . وكانت سجلا لجانب كبير من الحياة العلمية والادبية وصورة واضحة للنهضة الفكرية وجهود العاملين فيها

وقد اضطر الهلال فى السنتين الاخيرتين أن يدمج عددين فى عدد واحد تحت تأثير الازمة الحربية الحاضرة ، ولكن ذلك لم ينقص من قوة تحريره والرقى الفنى فى طبعه ، ولا من الرسالة التى أنشىء لاجلها ، ولم يخمد من هذه الشعلة التى أوقدها مؤسسه ، وتعهدها الذين جاءوا من بعده . ولا ريب أن تلك الازمة ستمر كما مرت الازمتان السالفتان ، وسيعود الهلال كما كان ، وخيرا مما كان ، وسيبقى كما بقى فى الخمسين عاما الماضية مؤديا واجبه فى خدمة العلم والادب والاجتماع



طاهر الطناحى

١٨٩٢ : سنة ميلاد الهلال

بقلم الأستاذ عبد الوارث كبير

خمسون سنة إلى الوراء .. وخمسون سنة إن تكن شيئاً ذا قيمة في عمر الانسان ، فما هي بشيء بالنسبة إلى عالم أفنى القرون ومابرح شبابه يتجدد كلما هرم الزمان . فلننظر أين هو فى أمسه البعيدالقريب ، منه في حاضره العجيب الغريب ؟

خمسون سنة إلى الوراء .. العالم كله يسير نحو الحضارة ولكن بخطى اذا ما قورنت بما نرى اليوم كانت أشبه بحبو الاطفال أو وئيد الجمال ! ومع ذلك فقد كان ينعم بنوع من الاستقرار ليس له اليوم وجود ، ويتمتع بلون من الطمأنينة ما أشد افتقاره اليه في العصر الجديد ، عصر المدنية والنور والنار والحديد

كان « مارس » إله الحرب ، قد أخذته سنة من النوم بدأت قبل عامنا ذاك ببضع سنوات ، فأخلد العالم الى راحة مؤقتة ، بعد سلسلة من العواصف والاعاصير خلفت دوله وبعضها فى ذروة مجده وأوج عظمته ، وبعضها قد أنهكته الهزيمة فراح يستجم ويعمل على استرداد قوته ، فى حين قنعت البقية الباقية بالحياة على هامش الحياة ، وهى ترى غيرها يقتسم الغنائم والاسلاب فلا تنبس ببنت شفة ، مخافة أن تغدو بعض هذه الغنائم والاسلاب !

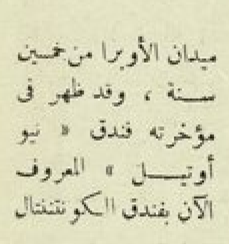
سكون ظاهر ، وهدوء مصطنع ، والكل واقف بالمرصاد ، لأن العالم بدأ يفكر فى السياسة عن طريق الاقتصاد ..

مصر بين عهدين

وكان القدر قد قال كلمته فى شأن مصر من عشر سنوات ، فترك فيها أمة ثارت لتقرير حقوقها السياسية والدستورية فاذا ثورتها تنتهى بضياع ما كان لها من قبل من هذه الحقوق ! فالدستور قد ألغي . والبرلمان قد حل . . وعلى أطلال هذا وذاك قام النظام الجديد ، فأنشىء « مجلس شورى القوانين » و « الجمعية العمومية » ، ولكن رأيهما كان استشاريا بحتا ، للحكومة أن ترفضه دون أن يكون لأيهما حتى حق الاستفسار عن سبب الرفض أو المناقشة فيه !

ومع أن مصر كانت قد أمضت فى ظل الاحتلال البريطانى عشر سنوات ، الا أنها كانت ما تزال - اسمياً - تحت السيادة التركية . لذلك لم يكن عجيباً أن يكون لتركيا فيها « مندوب سام » هو يومئذ أحمد مختار باشا الغازى ، الذى كان « الباب العالى » قد أوفده - سنة ١٨٨٥ - كما أوفدت بريطانيا من جانبها « السير دراموند وولف » تنفيذاً لاتفاق وقعته الدولتان على أن توفد كل منهما « مندوباً سامياً » يشترك مع الخديو فى إعادة تنظيم الجيش وبحث





ميدان الأوبرا من خمسين سنة ، وقد ظهر فى مؤخرته فندق « نيو أوتيل » المعروف الآن بفندق الكونتنتال



إحدى سيدات الطبقة الراقية في الجيل الماضي تهم بالنزول من عربتها

التغييرات التي يحسن إدخالها على نظام الادارة المصرية . ولكن المندوبين اختلفا وأخفقت المحاولة ، فعاد «وولف» الى بلاده . وبقي مختار باشا في مصر كرمز صامت لسيادة السلطنة العثمانية ، والسلطنة العثمانية يومئذ تؤذن شمسها بالمغيب . .

أما « العميد » البريطاني فكان في ذلك العهد « السير افلين بارنج » ، الذي منح في تلك السنة لقب « Pair » فصار يعرف باسم « لورد كرومر ». ذلك الاسم الذي سيظل مقترناً بتاريخ مصر في تلك الفترة لا لأن صاحبه لبث يشغل هذا المنصب ثلاثاً وعشرين سنة فحسب ، بل لأهمية الدور الذي لعبه على مسرح السياسة المصرية البريطانية كل هذه السنوات

عام جديد . . وخديو جديد

وجاءت سنة ١٨٩٢ وعلى عرش مصر الخديو محمد توفيق باشا . لكن شمس العام الجديد لم تكد تشرق حتى سرى في البلاد نبأ إصابة سموه بالحمى الوافدة..وكان الظن يومئذ أنه مرض عارض لن يلبث حتى يزول ، لكنه بعد أن أحس بالتحسن انتكس نكسة شديدة ، فلم تأت الساعة السابعة والثلث من مساء يوم الخميس ٧ يناير حتى لفظ النفس الأخير

وكان العميد البريطاني قد اجتمع برئيس النظار وناظر الخارجية والمستشار المالي البريطاني للبحث فيما يجب اتخاذه إذا مات الخديو ، فاستقر الرأى على وجوب إعلان تولية « البرنس عباس » ولى العهد الشرعى في الحال مخافة تدخل السلطان .. فلما توفى الخديو اجتمع كرومر بالنظار من جديد ليبحثوا هل البرنس عباس ـ الذي لم يكن قد بلغ يومئذ ثمانية عشر عاماً ميلادياً ـ يصلح للحكم بنفسه ، أم يجب تعيين نائب له ؟ ولكن البحث انتهى الى أن التاريخ الهجرى هو الذي يجب العمل به ، خصوصاً وقد أعلن بلوغ ولى العهد ـ عباس ـ سن الرشد على حسابه قبل وفاة والده بشهور

وكان « عباس » يومئذ يتلقى علومه في « فيينا » عاصمة النمسا فطلب اليه الحضور على أول باخرة ، ولكن الامبراطور « فرانسوا جوزيف » أمر بوضع اليخت «فرديناند مكسيمليان» تحت تصرف الخديو الشاب ليعود به إلى بلاده عندما يشاء . فلما كان صباح يوم السبت السادس عشر من يناير ، كان اليخت يشق طريقه في المياه المصرية ، فخرجت لاستقباله في عرض البحر أربع قطع من الأسطول البريطاني تحمل العلم المصرى ، وهى تطلق مدافعها في الهواء ، وحذت حذوها السفن الحربية الايطالية التي كانت قد وصلت الى ميناء الاسكندرية لتشترك في هذا الاستقبال ، فأخذت طوابى الميناء ترد التحية بمثلها ، بينما الموسيقات تعزف والبحارة يهتفون بحياة الخديو الجديد

الحالة الاقتصادية

بين هذه المظاهر وأمثالها استقبلت مصر العام الجديد وهى ترجو أن يكون فجر عهد جديد . . فقد ولى عباس العرش وميزانية الدولة لا تزيد على عشرة ملايين بينما ديون الحكومة قد بلغت ٩٥ مليوناً أو تزيد . . وكانت رؤوس الأموال الأجنبية قد تدفقت على البلاد بقصد استثمار مواردها الطبيعية في الزراعة والصناعة والتجارة والتسليف ، فأسست عدة بنوك أجنبية وشركات للرهون ، وأربى ما كان يستثمر يومئذ من هذه الأموال على ستين مليوناً ، حتى

كانت النتيجة – كما يقول لورد كرومر نفسه فى كتابه « مصر الحديثة » – أن اختفت حوانيت أرباب الصناعات والحرف المصريين التى كانت تملأ الشوارع ، وقامت على أطلالها حوانيت وحانات مملوءة بالبضائع الأوربية والخمور !

أما طبقة الأغنياء والكبراء والمتوسطين فقد انصرفت الى مفاسد المدنية الغربية دون محاسنها ، فأتاحت بذلك الفرصة للمرابين الأجانب كى يتغلغلوا فى مختلف الأوساط وجيوبهم ملأى بالنقود يلوحون بها لكل من يريد ، حتى لقد بلغت الديون الخصوصية المسجلة فى المحاكم فى أوائل ذلك العام عشرين مليوناً من الجنيهات ، ضاع فى سبيل سدادها كثير من الثروات ، أصبح أصحابها أجراء يعملون لحساب دائنيهم فيما كانوا بالأمس يملكون !

التعليم والجيش

ولم تكن حالة التعليم يومئذ خيراً من الحالة الاقتصادية . . وحسبك أن تعرف أن مدرسة الهندسة لم يدخلها خلال السنوات الثلاث السابقة لعام ١٨٩٢ إلا خمسة تلاميذ ، وبكل مشقة . وأن مدرسة الطب اضطرت لاغلاق أبواب الفرقتين الأوليين ، إذ لم يقبل على دخولها تلميذ واحد جديد !

وكان التعليم الصناعى غير مرغوب فيه فلم يكن يقبل عليه إلا أبناء الفقراء . . أما تعليم الفتاة فكان « بدعة » تقابل بكثير من الزراية والامتعاض ، لأن كرامة الفتاة كانت يومئذ فى أن تظل جاهلة حتى بمبادىء القراءة والكتابة !

وكان لانحطاط مستوى التعليم أثره الطبيعى فى النهضة الأدبية . فلم يكن ثمة مثل حى للثقافة فى البلاد إلا « الصحافة » ، إذ كانت تصدر فى ذلك الحين مجموعة من الصحف اليومية والأسبوعية ، شجع اهمال العمل بقانون المطبوعات يومئذ على زيادة عددها حتى بلغت نحو مائة وسبعين جريدة ومجلة ، أهمها « الأهرام » ، و « المقطم » ، و « المؤيد » ، ثم مجلة « الأستاذ » التى أصدرها السيد عبد الله نديم قبل مولد « الهلال » بشهور

أما الجيش فكان هو الآخر قد تضاءل الى عشرة آلاف بين ضباط وجنود ، وهو الذى بلغ فى عصر اسماعيل ثمانين ألفاً أو يزيد . . ولم تكن فى البلاد غير مدرسة حربية واحدة لا يزيد عدد تلاميذها على مائة ، حلت محل تسع مدارس فى عهد إسماعيل كان عدد طلابها يزيد على ألف ومائة !

وكانت البحرية المصرية التى جدد اسماعيل شبابها قد انحطت بسبب التدخل الأجنبى ، فعطلت مصانعها ، وبيعت سفنها ومهماتها ، ولم يبق من أسطول مصر العظيم إلا « المحروسة » التى جعلت « يختاً » لركوب الخديو ! !

الحياة الاجتماعية

وكانت الحياة الاجتماعية يومئذ تختلف عنها اليوم أيما اختلاف . . كان الجهل متفشياً كما رأيت ، ولكن الحالة الخلقية كانت أقرب الى الفضيلة والاحتشام . وكان الحجاب من تقاليد المرأة فلم يكن أحد يراها فى الحفلات العامة ، ولم تكن تخرج كما تخرج الآن سافرة مكشوفة الذراعين والساقين ، وانما كانت تخرج مؤتزرة متحجبة ، قد غطى « اليشمك » أو « البرقع » وجهها فلم يبد منه إلا العينان . . وكانت أزياء الطبقة الراقية فى ذلك العهد تختلف عن أزياء هذا الزمان . فالرجال يرتدون « الياقة » العالية والجاكتات الطويلة ذات الأزرار الثلاثة ، والسيدات يرتدين « الشنتيان » وهو سروال واسع جداً يضيق عند القدمين بحيث تستطيع السيدة أن تجلس على « الشلتة » ثم « اليلك » وهو رداء طويل من الحرير المزركش ، وفوق هذا وذاك « الفرجية » ذات الاكمام الواسعة المفتوحة ، وعلى الرأس « عزيزية » يزينها إطار من الورود الصناعية ، يسدل عليه « تل » شفاف لا يحجبه ولا يخفيه . . أما سيدات الطبقة الوسطى فكن يرتدين « السبلة » بدل « الفرجية » – وهى قميص من الحرير بغير أكمام – و« الحبرة » و« البرقع » بدل « اليشمك » ، ويربطن رؤوسهن بالمناديل المطرزة بالحرير « القوية » مما لا يزال يشاهد حتى اليوم فى الارياف

وكان من مظاهر الوقار عند كبريات السيدات ارتداء الطربوش المغربى ذى « القرصة » المرصعة « بالجيريات » الذهبية ، التى كانت تزيد وتنقص تبعاً للمكانة ودرجة الثراء

***

أما فى الزواج فكانت الأسرة فى الغالب هى وحدها التى تختار لابنها عروسه ، دون أن يكون لها أو له رأى أو إرادة . . وكان الكبراء يبالغون فى نفقات الأفراح ويبذرون فيها الاموال بلا حساب . حتى اذا جاءت ليلة الزفاف قصدت أم « العريس » فى رهط من سيدات الأسرة وصديقاتها الى دار العروس فى عربة فاخرة مزينة بالورود



« التختروان » الذى كانت تركبه عرائس الجيل الماضى ، يتقدمه الطبل البلدى والزمار

والشيلان الكشمير ، يحيط بها الأغوات والسياس ، ويتبعها رتل من العربات يحمل المدعوات ، فيأخذن العروس فى أبهى زينتها ، ويطفن بها أهم شوارع المدينة ، حتى اذا ما وصلن بيت الزوج نحرت الذبائح وصدحت الموسيقات ، وسارت العروس بين حاجزين من الشيلان الكشمير يحجبانها ومن معها عن أعين الرجال

أما العريس فكان يخرج بعد تناول العشاء فى رهط من أصدقائه الى « الجامع » تتقدمهم الموسيق وحملة « الفنابير » والزهور ، فاذا وصل به الموكب المسجد دخل فصلى ركعتين ، يعود بعدهما أدراجه بموكبه الى حفلة الزفاف

ولم تكن أفراح الطبقة الفقيرة تختلف عن أفراح الاغنياء إلا باستعمال المشاعل و « الطبل البلدى » بدل الموسيق . أما العروس فكانت تنقل إما فى « التختروان » أو تحت «الناموسية» يتقدمها الطبل البلدى ، وغالباً ـ بعض الفتوات !

***

وكما كان أهل ذلك العصر مسرفين فى أفراحهم كانوا مسرفين فى أحزانهم . . فكان من تقاليد الجنائز عند الموسرين ان تتقدمها « الضحايا » من الأبقار والجاموس لتذبح عند القبر ساعة الدفن ، ثم « الكفارة » وهى « سحاحير » كبيرة مملوءة بالبلح والخبز المعجون بالسمن محمولة على الجمال ، وعلى كل جمل رجل يوزع هذه « الكفارة » طول الطريق. ثم يجىء بعد ذلك رجال البوليس فأرباب الطرق والمولوية وقراء دلائل الخيرات ، فحملة القماقم والمباخر ينثرون ماء الورد ويشعلون البخور ، ثم أطفال الكتاتيب . أما مآتم الطبقة الفقيرة فكانت تقاليدها مفجعة مؤلمة

***

ولم تكن البلاد قد عرفت الترام أو السيارات . ولذا كان « الذوات » ينتقلون فى « الدوكار » أو فى « الكاريتة » أو « الفيتون » بينما كان غيرهم يركبون الحمير التى كان بعضها يعد إعداداً خاصاً لركوب السيدات

ولم تكن المقاهى والحانات قد انتشرت هذا الانتشار الكبير ، كما كان جل روادها من أهل الطبقة الوسطى وصغار الموظفين والعامة . أما « الذوات » فكانوا يمضون سهراتهم فى البيوت .. وكان عدد هذه المقاهى فى ذلك العهد لا يتجاوز الخمسمائة ، كان معظمها فى حى الأزبكية ، فى حين لم يكن عدد الحانات ليزيد على المائتين ..

وكان بالقاهرة فى ذلك العهد خمسون حماماً عمومياً ، وثلثمائة « وكالة » للنوم ، عدا خمسة عشر فندقاً للسائحين

***

ولم تكن السينما الناطقة قد عرفت عندما ولد « الهلال » . . ولم يكن يخطر ببال أحد يومئذ أن الحديد يمكن أن يطير آلاف الأميال . . أو أن يصبح فى مقدور الانسان أن يتحدث ـ أو يستمع ـ إلى العالم كله فى لحظة ، عن طريق « الراديو » ، ومن وراء المحيطات والصحارى وشواهق الجبال ...

عبد الوارث كبير

مقتطفات مما قيل في تأبين مؤسس الهلال

من مقال للمرحوم مصطفى لطفى المنفلوطى

تطلع الشمس في كل صباح من مشرقها على هذه الكائنات ناطقها وصامتها ، حيها وميتها ، جامدها وسائلها ، فتستمد منها كل مادة حياتها التى تقومها أو صورتها التى تتشكل بها ، وكذلك كان جرجى زيدان فى سماء هذا البلد

لقد كان جرجى زيدان روحاً عالية تمنيناها فلما وجدناها نعمنا بها قليلا ثم فقدناها أحوج ما كنا اليها

من قصيدة للمرحوم حافظ ابراهيم

أيا قبر زيدان طويت مؤرخا ... تجلى له ما أضمر الفتيان
وعقلا ولوعاً بالكنوز كأنه ... على الدر غواص ببحر عمان
وعزماً شآمياً له أينما مضى ... شبا هندوانى وحد يمانى
وكفاً إذا جالت على الطرس جولة ... تمايل إعجاباً بها البلدان
أشادت بذكر الراشدين كأنما ... فتى القدس ممن ينبت الحرمان
سألت حماة النثر عد خلاله ... فمالى بما أعيا القريض يدان

من مقال للمرحوم جبران خليل جبران

لقد مات زيدان وممات زيدان عظيم كحياته ، جليل كأعماله

لقد رقدت تلك الفكرة الكبيرة وحول مضجعها تحوم الآن سكينة توحى الهيبة والوقار وتترفع عن الحزن والبكاء

فمن شاء أن يكرم زيدان فليرفع نحو روحه ترنيمة الشكر وعرفان الجميل بدلا من ندبات الحزن والأسى ، وليطلب قسمته من خزائن المعارف والمدارك التى جمعها زيدان وتركها إرثاً للعالم العربى

لا تعطوا زيدان ندباً ورثاء ، بل خذوا من مواهبه وعطاياه ، وهكذا تخلدون ذكره

من كلمة للمرحوم الدكتور شبلى شميل

فقدت لغة العرب بفقد جرجى زيدان عاملا من أكابر عمالها ومؤرخاً من أكبر مؤرخيها وأديباً روائياً من أشهر روائييها . ولقد كانت الخسارة به على هذه اللغة وآدابها فادحة ولا سيما أن الطريقة التى خدمها بها ليست من الطرق المبتذلة التى يجرى عليها اكثر الكتاب والمؤرخين . فهو مبتعد وطريقته لم يسبقه اليها أحد فى هذه اللغة

من قصيدة للمرحوم ولى الدين يكن

زيدان فضلك ليس يحجبه الثرى ... الفضل من تحت الجنادل يسطع
كالرديوم الوهاج إلا أنه ... أمضى شعاعاً فى العيون وأبدع
ولك المآثر خالدات كلها ... ذكراك من أثنائها تتضوع
تضمنت كتب الزمان وشرحه ... فيها فصول كالوجود وأوسع
أحييت ذكر السالفين أولى النهى ... إن الكريم لمثله يتشيع

من كلمة للمرحوم سليم سركيس

جلس مخارق ـ وهو المنشد الشهير ـ فى مجلس هرون الرشيد وكان يتخير أبياتاً يطرب لها الخليفة فأنشد :

وانى لمحتاج الى ظل صاحب ... يروق ويصفو ان كدرت عليه

فقال الرشيد : « يا مخارق جئنى بهذا الصاحب ولك نصف الخلافة »

ولو أننى عاصرت الرشيد لأخذت نصف خلافته إذ أقدم اليه جرجى زيدان فقد كان ضالة الأمير

من قصيدة للمرحوم حفنى ناصف

أزيدان ما أنصفتنا إذ تركتنا ... عليك بكياً بينما أنت تبسم
نسيت ولم ننس الوداد وانتا ... عليك لفى بؤس وأنت منعم
وفارقتنا عمداً ونحن بحاجة ... لمن ينصف التاريخ فينا ويحكم
ففاخر بدار ليس فيها تباغض ... ونافس بحكم ليس فيه تحكم

من كلمة للمرحوم رفيق العظم

إننى عانيت من تاريخ العرب ما يعانيه المؤرخون وعرفت من صعوبته ما لم يعرفه إلا من عانى ما عانيت من المشقة فى انتقاء الحوادث والأخبار ، فلم أر أحسن من الأسلوب الذى اتبعه فى كتبه المرحوم جرجى زيدان ، ولا أدق ترتيباً للمواضيع واختياراً للحوادث خصوصاً فيما يتعلق بالمدنية الاسلامية . فحق على كل مؤرخ أن يعترف بفضل جرجى زيدان على التاريخ العربى ببيان ما لم يسبق اليه من آثار المدنية العربية وتاريخها

من قصيدة للمرحوم أحمد شوقى

رثيت قبلك أحباباً فجعت بهم ... ورحت من فرقة الأحباب يرثى لى
أرحت بالك من دنيا بلا خلق ... أليس فى الموت أقصى راحة البال
قد أكمل الله ذياك « الهلال » لنا ... فلا رأى الدهر نقصاً بعد إكمال
فيه الروائع من علم ومن أدب ... ومن وقائع أيام وأحوال
وفيه همة نفس زانها خلق ... هما لباقى المعالى خير منوال
علمت كل نؤوم فى الرجال به ... أن الحياة بآمال وأعمال

من خطبة للمرحوم داود بركات

جرجى زيدان يبتدىء فضله بأنه علم نفسه ، ويتضاعف هذا الفضل ويعظم ويفخم ويسمو بأنه كان فى مدى حياته كلها

معلماً لغيره ، ويدوم هذا الفضل غير منته الى حد ولا منقطع الى مدى بهلاله ، وهو وحده مكتبة ضخمة لا ينقصها علم ولا يفوتها فن ، حتى يصح أن يقال لكل طالب : « عد الى الهلال تلق ضالتك » وبتآليفه التي تستنفد قراءتها شطراً كبيراً من عمر القارىء اذا قرأ فكيف بعمر المؤلف اذا كتب

من قصيدة للمرحوم الدكتور ابراهيم شرودى

مقامك فوق العلى صاعد وجسمك تحت الثرى راقد
وصيتك يجتاز عرض البحا ر وأنت طويل الكرى هامد
وجيل يبيد وجيل يجىء وذكرك ما بينهم خالد
وفضلك بين بنى الشرق رغم تباين أديانهم واحد
ولست بمفتقر للشهو د فنى كل مكتبة شاهد

من مقال للأستاذ خليل مطران

ما عرفت رجلا أجمع منه للنقيضين : الكبر والاتضاع

لم أشهده ولم أسمع عنه أنه شكا دنياه بمحضر من أحد ولا أنه تمنى على أحد شيئا باشارة أو بمصارحة

كما أنى لم أجده مرة مستفزاً للأخذ بثأره من متهجم عليه فى الصناعة التى هى مدار رزقه ومحور شهرته لاعتقاده شرف غايته وسلامة صنيعه من شبهة المتشبهين

أما آدابه فقد وازنها وهيأها بحيث يرضى الامير ويقرب الصديق ويعجب الغريب من غير تكلف أو تصنع

من خطبة لأنطون الجميل بك

فى هذا الجمع الموقر ــ الذى التف حول الهلال ــ كثيرون هم زملاء الفقيد ورصفاؤه فى معاناة صنعة القلم ، فهم أدرى من سواهم بما يكابده المؤلف فى الشرق من العناء فى جمع مواده وتأليفها فى أى فن من فنون الكتابة . لذلك يدرون كم كانت لغتنا مدينة لجامع أشتات تاريخها وتاريخ آدابها وتاريخ شعوبها فيشعرون بأن وفاته أشبه شىء بقطع شريان كان يحمل الحياة الى جسم النهضة الأدبية الحديثة ، لذلك شعرنا أننا :

« لم نرزه لما رزينا وحده وان استقل به المنون وحيداً »

من كلمة لأحمد حافظ عوض بك

لا أظن أنه وجد فى العالم العربى فى العصر الأخير من ترك كمية كبيرة من العمل العلمى والأدبى الجدى مثل منشىء الهلال . فان رواياته ومجلدات الهلال ومؤلفاته التاريخية واللغوية والأدبية تكون فى مجموعها موسوعات كبيرة . ولولا أننا ونحن المعاصرين له نعلم علماً لا مسرب للظن فيه أن الفقيد هو الذى كتب بقلمه كل هاتيك المنشآت ورتب أبوابها ، وابتكر موضوعاتها وراقب بنفسه طبعها ووضعها ، منفرداً لا يعتمد على محررين مأجورين ، ولا يشترك مع طائفة من الأدباء الكاتبين ، لولا ما نعلمه عن يقين صحيح ، لداخلنا الشك أو تسربت الينا بعض الظنون بأنه لم يكن فيه منفرداً . ذلك لأنه عمل كبير مستعظم على كاتب واحد

بعض ما قيل فى الهلال

المرحوم أحمد زكى باشا

هلال السماء ينتقل من نقص إلى زيادة ، ومن زيادة إلى نقصان ، وأما هلال « زيدان » فدائماً فى ازدياد

المرحوم أحمد شوقى بك

أعجب ما أعجب له أن أرى « هلالا » ملأ الشرق سناء ، وزاحم بأشعته كل كوكب من كواكب العلوم والآداب ، ثم ما زال يكبر حتى فاق البدور ونافس الشمس فى توابعها المنيرة التى كلما اكتشف العلم منها تابعاً زاد من توابع « الهلال » مثله

المرحوم حافظ ابراهيم بك

الهلال مجلة سائرة فى طريق الرقى المستمر وتقدم الآداب المصرية والاجتماعية

المرحوم أمين سامى باشا

من الذى لا يعترف بفضل الجهود التى يبذلها القائمون بأمر مجلة « الهلال » الممتازة بمباحثها العلمية العالية والأدبية الراقية التى هى من خير ما يقتدى به

المرحوم عبد القادر حمزة باشا

كل ما يقوله الانسان عن مجلة الهلال من مدح وثناء فهى تستحقه بل تستحق أكثر منه

الآنسة مى

الهلال صورة واضحة للتطور الحديث

الأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق باشا

كان الهلال مجلة الشيوخ فصار مجلة الشيوخ والشبان

الدكتور طه حسين بك

كانت مجلة الهلال مثال الجد فى العمل والاخلاص للعلم ، ثم أصبحت ــ إلى ذلك ــ مثال الفطنة لأذواق القراء والنشاط لارضائهم ، وهى على كل حال أخف المجلات العربية ظلا

الأستاذ عباس محمود العقاد

الهلال ييسر المعارف ولا يبتذلها

الأستاذ محمد فريد وجدى

مجلة الهلال من أجمع المجلات لثمرات العقول الناضجة ، فهى من أنفع العوامل لامداد النهضة الفكرية الراهنة بما تحتاج اليه

الأستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

الهلال مجلة من يدرسها يدرس عناصر النجاح فى الحياة

دار الهلال



قسم التصوير حيث تنقل الصور وتكبر وتعد للطبع

يوم أنشأ المرحوم جرجي زيدان « الهلال » في سنة ١٨٩٢ كانت الغاية التي جعلها نصب عينيه المساهمة في رفع المستوى الثقافي في مصر والأقطار العربية . وكانت خطته في عمله لتحقيق هذه الغاية التوفيق بين القديم والحديث ، والجمع بين محاسن الشرق ، ومحاسن الغرب ، أي بين ميراثنا المعنوي وما تنتجه القرائح في البلاد الناهضة ، وهي الخطة التي ظلت « دار الهلال » تلتزمها طوال السنوات الخمسين التي انقضت على انشائها ، عن طريق المجلات التي أصدرتها ، والتي كان لها – ولا فخر – نصيب مشكور في نشر الثقافة وبث المبادىء القويمة والآراء الصالحة ، والعمل على ترقية العقول وتهذيب النفوس . وإلى هذه الخطة الحكيمة يرجع الفضل في هذا النمو الذي تمته « دار الهلال » والذي يتجلى في اتساع أقسامها وتعدد منتجاتها

ولقد ظل عمل « دار الهلال » في حياة مؤسسها ، وفي السنوات العشر الأولى التي أعقبت وفاته ، مقصوراً على إصدار « الهلال » ومؤلفات مؤسسه التي حازت من الشهرة والانتشار ما لم يحزه غيرها من الكتب العربية . فلما كانت سنة ١٩٢٤ أثمرت « شجرة الهلال » ثمرة جديدة يانعة هي « المصور » ، ابنها البكر ، وأول مجلاتها الأسبوعية .. واقترن مولد « المصور » بحادث آخر له أهميته ، هو ما أقدم عليه صاحبا هذه الدار من إدخال أهم تجديد في فن الطباعة في مصر ، هو الطبع « بالروتوغرافور » ، فكان « المصور » أول مجلة عربية طبعت على هذه الطريقة في الشرق كله ، كما كان أول مجلة عربية عنيت بفن « الريبورتاج » المصور ، فأصبحت تنشر صور الأشخاص وهم يتحركون ويتكلمون ، بعد أن كانت تنشر قبل ذلك وهم جالسون أمام آلة التصوير كالأصنام !

***



« المونتاج » ترتيب الصحائف على البلور قبل طبعها على الورق الحساس

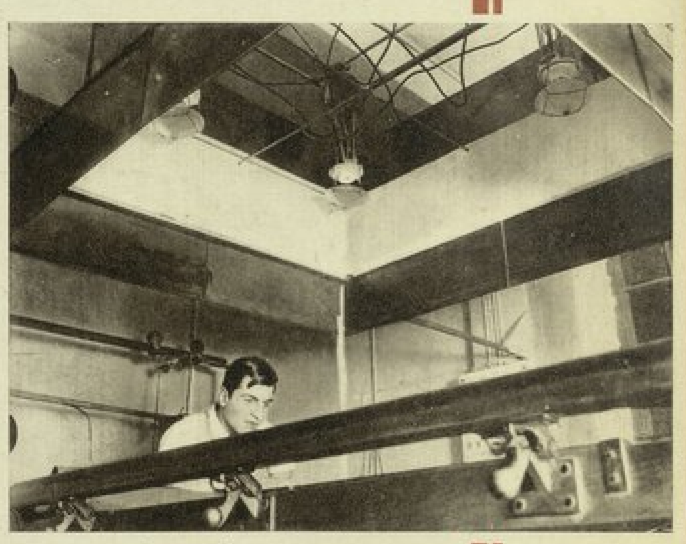
وتعددت بعد ذلك ثمار تلك الشجرة . . فقد رأى صاحبا الدار أن الجمهور تنقصه مجلة جامعة ، سهلة التناول راقية الأسلوب متنوعة الموضوعات ، فيها علم وأدب وفن وفكاهة ، تقرأ في المنزل وفي النزهة وفي القطار وفي كل مكان ، فأصدرا بعد سنة واحدة من ميلاد « المصور » شقيقته « كل شيء » في ١٦ نوفمبر سنة ١٩٢٥ ، فما لبثت أن احتلت مكانتها في عالم الصحافة والأدب والاجتماع

***

ولم يمض على ذلك إلا سنة أخرى حتى صدر العدد الأول من مجلة « الفكاهة » – أول ديسمبر سنة ١٩٢٦ – لتكون وسيلة لبهجة القارىء وسروره ، فلم تترك شيئاً من طرق التسلية إلا استخدمته ، كالرسوم الفكاهية ، والمقالات الهزلية ، والأزجال ، والتعليقات ، والنكات ...

وكما تطور « المصور » و « كل شيء » في حجمهما وموضوعاتهما وصورهما وطريقة طبعهما تطورت « الفكاهة » ، فأصبحت تصدر في ٥٢ صفحة بالروتوغرافور بعد ان كانت تطبع في عشرين صفحة فقط ، وبالطريقة العادية ، وأضيف الى أبوابها المسلية قسم روائي حوى أحسن القصص الموضوعة والمترجمة

***

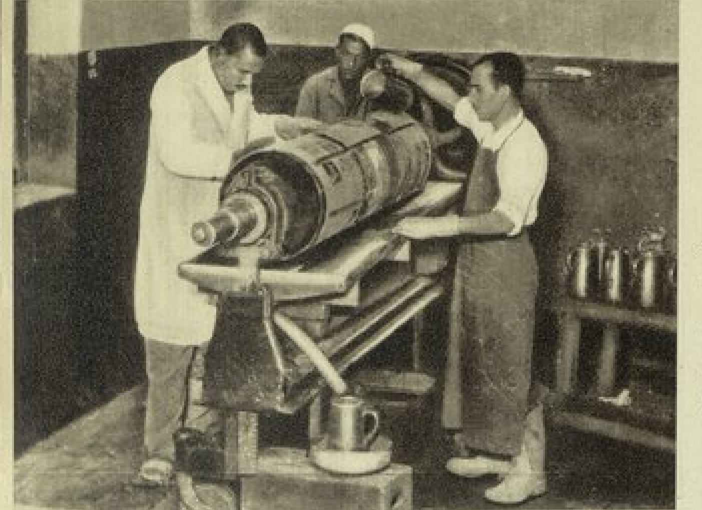


الطبع على الورق الحساس : إحدى عمليات الطباعة بالروتوغرافور

وما كاد ينقضي على صدور « الفكاهة » سنتان ونصف السنة حتى أثمرت شجرة « الهلال » ثمرة جديدة بصدور مجلة « الدنيا المصورة » ، فكانت فتحاً جديداً في عالم الصحافة الأسبوعية في مصر ، إذ طرقت أبواباً لم يطرقها غيرها من قبل ، ولبثت تؤدي رسالتها في خدمة الجمهور بضع سنوات ، أدمجت بعدها في زميلتها « كل شيء » وأصبحتا تصدران في مجلة واحدة باسم « كل شيء والدنيا »

***

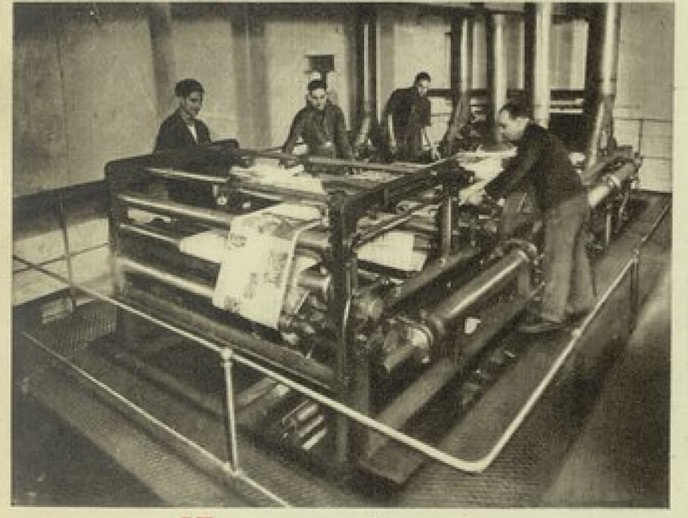
فى خمسين سنة


قسم الحفر : وترى إحدى الاسطوانات النحاسية أثناء حفرها

وفى السنة عينها ـ ٢٥ أغسطس سنة ١٩٢٩ ـ صدرت مجلة « إيماج » « Images » الفرنسية فكانت صلة بين مصر والخارج ، ومنذ ذلك التاريخ وهى توافى قراءها بكل ما يهم الشرق عن الغرب ، وما يهم الغرب عن الشرق ، من موضوعات وصور وبحوث ، تجمع بين الأدب والاجتماع والتاريخ والفن والرياضة والفكاهة ، حتى أصبحت لا تختلف فى مظهرها ومحتوياتها عن أحسن المجلات الغربية ، كما أصبحت فى الأوساط الفرنسية مجلة الطبقة الراقية ، فضلا عن كونها خير مرآة لمصر فى الخارج

***

وولدت « إيماج » فى سنتها الثالثة ملحقاً سينمائياً هو « سنى إيماج » « Cine Images » التى خصصت لكل ما يتعلق بالسينما فى مصر والخارج ، فما لبثت أن نافست فى ذلك المجلات الاجنبية التى من نوعها ، لولا أن حالت ظروف الحرب دون الاستمرار فى اصدارها

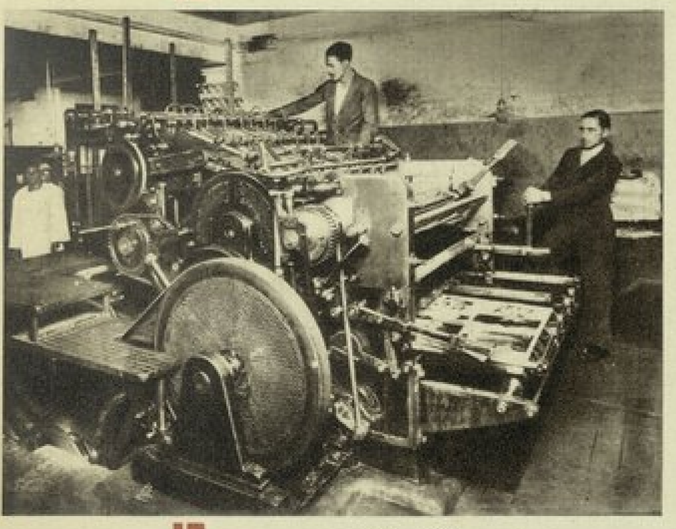

ماكينة الروتاتيف الكبيرة : أهم آلات الطباعة بدار الهلال

وفى سنة ١٩٣٢ رأت « دار الهلال » أن بابى التمثيل والرياضة فى مجلة « المصور » قد ضاق نطاقهما عن احتواء كل ما يهم جمهور المسرح والسينما والرياضة من أخبار ، فرأت أن تصدر لكل منهما ملحقاً خاصاً منفصلا عن « المصور » . فصدرت « الكواكب » فى ٢٨ مارس سنة ١٩٣٢ وخصصت للمسرح والسينما ، وصدرت « الابطال » فى ديسمبر من تلك السنة ، وخصصت للرياضة ، ثم أدمج الملحقان أحدهما فى الآخر باسم « الكواكب والأبطال » بعد سنة من صدورهما ، ثم أدمجت « الكواكب والأبطال » بعد ذلك فى « الفكاهة » وظلتا تصدران بضع سنوات باسم « الاثنين : الفكاهة والكواكب » ، ثم باسم « الاثنين والدنيا » بعد أن أدمجت فيها مجلة « الدنيا وكل شىء » ، وبذا أصبحت مجلات « دار الهلال » التى تصدر فى الوقت الحاضر : « الهلال » ـ « المصور » ـ « إيماج » ـ « الاثنين »

***

أما « تقويم الهلال » فليس مجلة مستقلة ، إنما هو كتاب سنوى صدر لأول مرة فى سنة ١٩٣٠ ليكون مرجعاً يستطيع القارىء أن يجد فيه ضالته من مختلف المعلومات والاحصاءات والوثائق ، مما لا غنى له عنه ، فأكمل إصداره نقصاً كان يحسه الكثيرون لم تحاول التقاويم الرسمية أن تسده ، وأصبح بذلك صديق كل راغب فى توسيع أفقه الثقافى ، بما يحوى من البحوث والمقالات

***


إحدى ماكينات الطباعة بدار الهلال أثناء العمل

وقد أصدرت كل واحدة من مجلات « دار الهلال » مجموعة من الاعداد الخاصة فى مختلف المناسبات لجاء كل منها سجلا وافياً للموضوع الذى صدر من أجله ، سواء بصوره النادرة ، أو بموضوعاته وبحوثه التى يساهم فى تحريرها أقطاب السياسة والاقتصاد والاجتماع

وهذا كله عدا ما أصدرته « دار الهلال » من مؤلفات قيمة اشترك فى تأليفها وترجمتها نفر من كبار الكتاب فى مصر والشرق

***

وها هى « دار الهلال » مابرحت تؤدى رسالتها ، وتعمل على تحقيق غاية مؤسسها ، فى صدق ونزاهة وإخلاص ، وشعارها ما يزال اليوم كما كان بالأمس : « إلى الامام . والى الامام دائماً »

فهرس

تطور مصر فى خمسين سنة

مباحث عربية وغربية : عن الماضى والمستقبل

الهلال ودار الهلال